



كلية الدراسات العليا - الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

دور المؤسسات غير الحكومية في تسليح وتسويق الذوات الفلسطينية  
للدول المانحة في ظل السياق الاستعماري  
(مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب نموذجاً)

**The Role of NGOs in the Commodification and  
Marketing Of the Palestinian Subjectivities To  
Funding States in the Colonial Context**

رسالة ماجستير مقدمة من

هناء مسعود

إشراف: د. لينا ميعاري

بيرزيت - فلسطين

2015



كلية الدراسات العليا - الآداب  
دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

دور المؤسسات غير الحكومية في تسليع وتسويق الذات الفلسطينية للدول  
المانحة في ظل السياق الاستعماري

**The Role of NGOs in the Commodification and Marketing Of  
the Palestinian Subjectivities To Funding States in the  
Colonial Context**

هناء مسعود

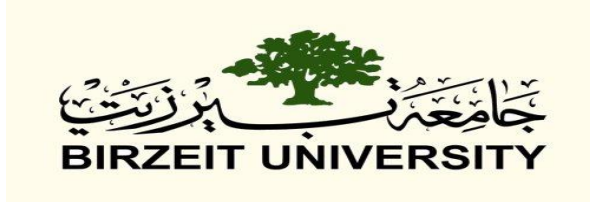
نوقشت بتاريخ: 2015/5/20

لجنة النقاش

د. لينا ميعاري، رئيسة اللجنة د. أيلين كتاب، عضواً

د. مصلح كناعنة، عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في علم النفس المجتمعي  
برنامج العلوم الاجتماعية والسلوكية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين



كلية الدراسات العليا - الآداب  
دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

دور المؤسسات غير الحكومية في تسليع وتسويق الذات الفلسطينية للدول المانحة في  
ظل السياق الاستعماري

**The Role of NGOs in the Commodification and Marketing Of the  
Palestinian Subjectivities To Funding States in the Colonial Context**

هناء مسعود

نوقشت بتاريخ: 2015/5/20

بإشراف: الدكتورة لينا ميعاري

لجنة النقاش

د. لينا ميعاري، رئيسة اللجنة .....

د. أيلين كتاب، عضواً .....

د. مصلح كناعنة، عضواً .....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في علم النفس المجتمعي برنامج  
العلوم الاجتماعية والسلوكية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

## الملخص باللغة العربية

جاءت هذه الدراسة للوقوف على الدور الذي تلعبه المؤسسات غير الحكومية الفلسطينية العاملة في القطاع الصحي النفسي في المجتمع الفلسطيني، التي تحصل على تمويلها من الجهات المانحة، وتأثير هذا الدور على تشكيل صورة عن الذات الفلسطينية، في ظل السياق الاستعماري، تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي الاستيطاني وممارساته القمعية بحق أبناء الشعب الفلسطيني، في سياق مرحلة ما بعد أوسلو، التي غلب على طابعها السعي الى توفير "حصانة نفسية" وجلّد نفسي مجتمعي للأفراد، إثر العدوان والعنف السياسي والعسكري الاسرائيلي. على امتداد صفحات الدراسة جرى فحص طبيعة الخدمات النفسية والتوجهات العلاجية المستخدمة، بالإضافة الى البحث فيم وراء هذه الخدمات، وخطابها النفسي، والاسقاطات التي تفرزها على مفهوم الذات لدى الانسان الفلسطيني الذي يتلقى هذه الخدمات.

جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، عرض الفصل الأول إشكالية الدراسة وأهميتها والإطار النظري فيما تطرق الفصل الثاني لمنهجية الدراسة والأدوات المستخدمة لجمع البيانات. جرى تكريس الفصل الثالث الى الجانب التحليلي للدراسة والذي اشتمل على سبعة أبواب: تعريف المركز، التناقضات حول النشأة، قضية التمويل، آلية عمل المركز، التوجهات النفسية، الإسقاطات النفسية لعمل المركز ومناهضة الاستعمار، وإفرازات الخطاب الاستعماري وأثره على الصحة النفسية. واختتمت الدراسة بالفصل الرابع والأخير بالنتائج والاستخلاصات.

لتحقيق ذلك، قامت الباحثة باتباع المنهج الكيفي، من خلال دراسة حالة المؤسسة غير حكومية فلسطينية تعني بالصحة النفسية، وذلك باستخدام أدوات متنوعة كالمقابلات مع الموظفين (الأخصائيين النفسيين) ورؤساء الدوائر بالمؤسسة، والملاحظة بالمشاركة وتحليل المضمون للأدبيات الصادرة عن المركز؛ وذلك للتعرف على ملامح الدور الذي تقوم به المؤسسات غير الحكومية الفلسطينية العاملة في مجال الصحة النفسية، في تغييب مفاهيم الصمود والنضال، وتكثيف عملها على تأهيل وعلاج ضحايا العنف والتعذيب في المجتمع بتجريد من البعد النضالي الوطني التحرري.

خلصت الدراسة إلى أن المؤسسات الفلسطينية التي تقدم خدمات الصحة النفسية المتعلقة بالعلاج النفسي والتأهيلي للإنسان الفلسطيني، عقب تعرضه للعنف والتعذيب من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي تُظهر صورة عن الإنسان الفلسطيني بوصفه ضحية غير مقاومة وغير مدركة و /أو متقبلة لخضوعه للتعذيب وتحمله له كفعل نضالي وطني فلسطيني تلك الصورة التي تتبنى بالكامل الرؤية الليبرالية في العلاج النفسي التقليدي، الذي ينكر النية النفسية المقاومة والصامدة وبذلك فإن هذه المؤسسات تعمل - من خلال برامجها- على تحويل وتفريغ الذوات من هذا الإطار السياسي الوطني المقاوم، وتضعها في قالب الضحية كذات مسلوقة الإرادة بحاجة إلى بناء مقومات يراها ويحددها الممول. بحيث يكمن الدور الحقيقي للمؤسسات غير الح كومية الفلسطينية في " تسليع وتسويق" الذوات الفلسطينية للدول المانحة في ظل السياق الاستعماري.

ان هذا التوجه لدى المراكز غير الحكومية الفلسطينية التي تعنى بالصحة النفسية للانضمام ( عن قصد أو غير قصد) إلى السوق الاستعماري والنزعة الانسانية النفسية الفردية المحضة بعيدا عن السياق الوطني الكفاحي المقاوم تخلق وتعزز ثقافة "الصحة النفسية" الزائفة بوجهها الاستعماري هذا بغية "استدخال" قيم جديدة، حيث ان القيم الوطنية النضالية والصمود المناهضة للاستعمار لا تناسب حقيقة تواطؤ الممولين مع المشروع الاستيطاني الكولونيالي التوسعي الصهيوني. وحيث أن هذه القوى المتواطئة لا تستطيع ان تلغي و/أو تستوعب الذات النضالية الوطنية الكفاحية المقاومة، كان لا بد من ابتكار طريقة جديدة من خلال تمويلهم المدروس بعناية ودعمهم لمراكز الصحة النفسية الفلسطينية غير الحكومية وتوظيفهم الذكي لمناهج علم النفس التقليدي التي هي بالأساس خلقت لتخدم التوجهات الايديولوجية للكيان الاستعماري وللنظام العالمي المتنكر لحقوق الشعوب في الحرية والاستقلال والاعتراف من التبعية.

## Abstract:

This research was conducted to examine the role of Palestinian Non-Governmental Organizations (NGOs) working in the mental health sector. It has examined the impact of these organizations, that have received funding from donor states, in shaping Palestinian subjectivities in the colonial context of Israeli colonial occupation and oppressive practices against the Palestinian People. The changes in such organizations has occurred in the context of post-Oslo agreement. This was dominated in providing the so called “Psychological immunity” for the Palestinian individuals, suffering from the Israeli Military aggression and Israeli political violence.

In this research, the nature of the psychological health services and the use of therapeutic approaches were investigated. In addition, this thesis has explored the psychological discourse that formed such services, and its effects on the production of subjectivities of the Palestinians who have received such services.

The research’s case study was The Treatment and Rehabilitation Center for Victims of Torture (TRC) and presented in four chapters:

Chapter (I) has outlined the scope of The Research, its importance, and the theoretical framework.

Chapter (II) has described the methodology and its tools employed in the data collection.

Chapter (III) was devoted to data analysis and comprised in seven sections: the definition of the organization; the historical contradictions regarding the development of the organization; funding issues the organization’s working; the psychological approaches; the psychological impact of the organization; anti-colonialism; and the has resulted of colonial discourse, and its impact on the psychological health of beneficiaries.

Chapter (IV) has revealed the results, recommendations and conclusions.

The researcher has utilized a qualitative methodology to study a Palestinian Non-Governmental Organization. They have worked to promote psychological/mental health wellness. A range of instruments were used in data collection, such as interviews with TRC employees (psychologists) and TRC heads of departments. The researcher had also used participant observation and content analysis of

**Comment [DD1]:** I don't know what you mean here ... might be easiest to delete the last part of the senten

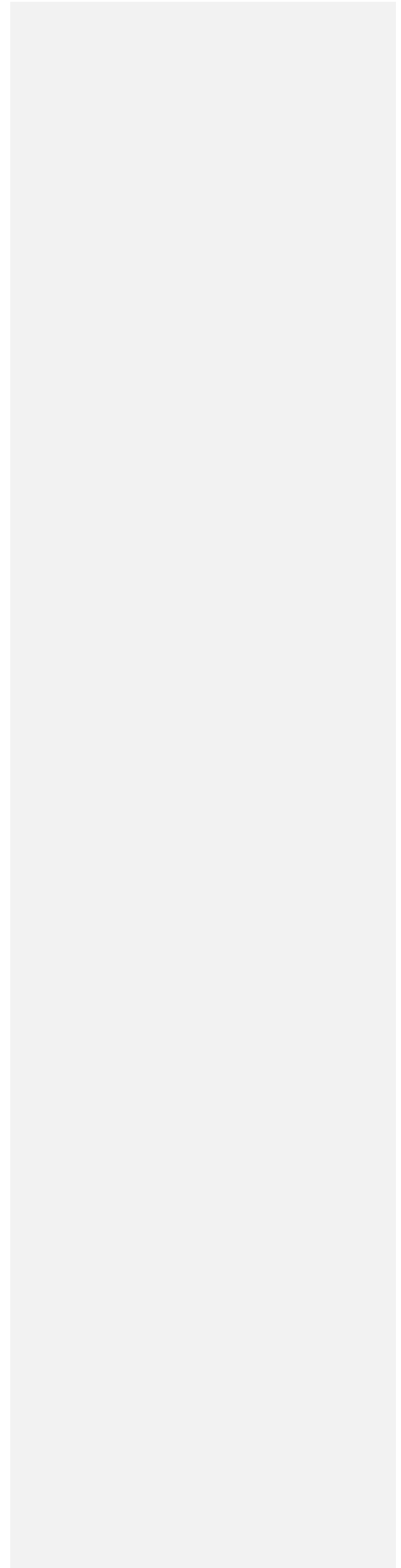
literature published by the center to identify how certain features of Palestinian Non-Governmental Organizations work in the psychological health services. To marginalize, and/or ignore, and/or undermine concepts and values of resistance Via has focused on the 'treatment' and 'rehabilitation' of victims, violence, torture, ignorance and/or marginalizing the national liberation/resistance dimensions from the work as an inspiring motive for tortured survivors.

The research has concluded that Palestinian Non-Governmental Organizations have offered psychological health services related to treatment and rehabilitation of Palestinian individuals. After being exposed to violence and torture by the Israeli occupation, have revealed and produced an image of the Palestinian individual as a passive victim of torture. This image entirely has adopted the liberal perspective of traditional psychological treatment which, in turn, has denied the psychological structure of resistance and resilience. Thus such organizations have worked (through their programs) on converting and emptying Palestinian subjectivities from the national liberation resistance, and put/set them in the mold of victim – a subjectivity/self deprived of will. This has occurred through a need to construct the elements that have met donor targets. The actual role of such non-governmental organizations therefore have involved the "marketing and commoditization" of Palestinian subjectivities to the requirements of donor states in the colonial context.

This approach of Palestinian Non-Governmental Organizations, working in psychological health sector, has aimed (intentionally or unintentionally) to join the colonial market, and apply the psychological individual humanistic modality purely away from the national militant resistant context, in which they reinforced and created fake "psychological health" in its colonial face. Thus has resulted in creating and "obtrusion" new values, whereas the national, anti colonial resistant. Resilience values have not fit the reality of the collusion and cooperation of the donors with expansive colonial Zionist project. As long as these collusion powers cannot eliminate or accommodate the national militant resistance subjectivity will be necessary to invent a new way through their deliberate funding. To support Palestinian in working in psychological health centers, and

5

through brilliant implementation of traditional psychological curriculum ,it will be mainly created to serve the ideological orientations of the colonial entity and its global system that has denied the people of Palestine.





## قائمة المحتويات

.....ج	الملخص باللغة العربية
.....أ	<b>Abstract:</b>
.....ج	قائمة المحتويات
.....1	<b>الفصل الاول</b>
.....1	المقدمة
.....4	إشكالية الدراسة:
.....7	أسئلة البحث الفرعية:
.....8	أهمية البحث
.....9	الاطار النظري
.....10	الرؤية النقدية للمؤسسات غير الحكومية
.....11	المنظمات غير الحكومية
.....12	نشأة المنظمات الأهلية في السياق الاستعماري
.....13	تاريخ المنظمات غير الحكومية في فلسطين
.....15	مسألة التمويل
.....17	حجم التمويل
.....18	مجتمع المانحين
.....19	علم النفس التقليدي داخل السياق الاستعماري
.....20	تعريف علم النفس التقليدي وميادينه
.....22	الاستخدامات السياسية لعلم النفس
.....24	أبرز المفاهيم المتداولة في علم النفس التقليدي والتعاطي مع الصدمة النفسية

.....26.....	الصدمة
.....32.....	توظيف المؤسسات غير الحكومية لعلم النفس التقليدي لاستمرارية الحالة الاستعمارية
.....33.....	المنظمات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي في فلسطين
.....34.....	نماذج بديلة تحررية في السياق الاستعماري
.....36.....	تجربة جنوب افريقيا لممارسة علم نفس تحرري مجتمعي
.....39.....	<b>الفصل الثاني</b>
.....39.....	المنهجية
.....39.....	تحليل المضمون
.....40.....	الملاحظة المباشرة
.....41.....	المقابلة
.....42.....	عينة البحث
.....43.....	خطوات الدراسة
.....45.....	المبحوثون في المقابلات
.....46.....	تحليل المقابلات
.....47.....	<b>الفصل الثالث</b>
.....47.....	مدخل للتحليل
.....49.....	الباب الأول: تعريف المركز
.....52.....	جوهر الاختلاف في التعريفات عن المركز
.....56.....	اقتصاد الصدمة
.....58.....	قضية التعذيب

.....61.....	مفهوم التعذيب
.....65.....	الباب الثاني: التناقضات حول النشأة
.....65.....	السياق العام الذي تأسس فيه المركز
.....68.....	التحولات على رواية النشأة
.....69.....	في مقابلة مع أحد المؤسسين، جاءت رواية أخرى للنشأة، حيث قال:
.....74.....	التناقض في رواية النشأة
.....76.....	الباب الثالث: قضية التمويل
.....76.....	بدايات التمويل
.....81.....	جهات التمويل
.....82.....	التعاون المهني مع الجهات المانحة
.....87.....	رؤية وأهداف المركز
.....87.....	التخطيط الاستراتيجي
.....91.....	الباب الرابع: آلية وتنفيذ العمل
.....91.....	مجالات عمل المركز
.....91.....	فلسفة العمل
.....92.....	المسح والتقييم
.....94.....	التوثيق
.....97.....	واقع العمل الميداني
.....98.....	الأدبيات الصادرة عن المركز
.....100.....	المنشورات ذات العلاقة بموضوع حقوق الانسان
.....101.....	منشورات الصحة النفسية
.....102.....	الدراسات التي قام بها المركز

.....107.....	الباب الخامس: التوجهات النفسية
.....107.....	الأدوات المستخدمة في المركز وتبيان النظرة إلى الصحة النفسية
.....108.....	علم النفس في السياق الاستعماري
.....109.....	التوجهات النفسية في العلاج النفسي
.....112.....	النقد على هذه التوجهات
.....114.....	الباب السادس: الإسقاطات النفسية ومناهضة الاستعمار
.....117.....	حقيقة الاختبارات
.....119.....	تحويل الحالات
.....122.....	واقع العمل في المركز: التحديات والتفردات
.....124.....	الوعي بالخصوصية الثقافية للمجتمع الفلسطيني
.....126.....	إسقاطات عمل المركز على مناهضة الاستعمار
.....128.....	النظرة إلى الذات ومعنى الصحة النفسية في السياق الاستعماري المعمول به في المركز
.....131.....	الباب السابع: إفرازات الخطاب الاستعماري وأثره على العاملين في المؤسسة
.....131.....	العلاقة بين صانعي القرار في المؤسسة والعاملين فيها
.....132.....	نظرة العاملين للفئة المستهدفة ولذواتهم والتحديات التي يواجهونها
.....138.....	طبيعة العلاقة مع السلطة الوطنية الفلسطينية
.....139.....	اشكالية السلطة ومواقفها
.....142.....	<b>الفصل الرابع</b>
.....142.....	الإستخلاصات والتائج
.....151.....	قائمة المراجع والمصادر

## الفصل الاول

### المقدمة

ان ظاهرة المؤسسات غير الحكومية في مجتمعنا الفلسطيني ليست جديدة. لكنها في الماضي أخذت طابعاً جماهيرياً مجتمعياً، حيث وجدت هذه المؤسسات أو الجمعيات لتساعد في عمليتي النمو والتطور لمجتمع وأكبر العديد من التحديات والصعوبات تحت نير الاستعمار الصهيوني. استطاعت هذه المؤسسات، بأعمالها الطوعية والخيرية، تقديم الكثير من الخدمات والمشاريع المجتمعية للفئات الشعبية المحتاجة، جنباً إلى جنب مع الأحزاب السياسية التي مولت أعمال بعضها في فترات تاريخية مختلفة، وقد كانت مهامها تنصب على تلبية إحتياجات أساسية أولية للناس في إطار سياسي قبل الإتفاقيات الفلسطينية الاسرائيلية؛ التي تعرف بإسم "إتفاقيات أوسلو".

لقد اتخذت فلسفة وإستراتيجية العمل لهذه المؤسسات، التي اتسم عملها بالطابع الجماهيري، طابعاً مختلفاً مع تغيرات الحقل السياسي التي مر بها المجتمع الفلسطيني في صراعه مع الاحتلال (خليل الزين، 1999)، وبالأخص بعد مرحلة أوسلو؛ إذ ارتفع عدد المنظمات غير الحكومية في الضفة الغربية من (272) إبان الانتفاضة الأولى، إلى ما يقارب الضعف أي حوالي (444) غداة توقيع إتفاقيات أوسلو (قسوم، 2002. (أورد في: بكير، 2012)). مرجع ثانوي.

أما بخصوص المؤسسات غير الحكومية العاملة في الحقل النفسي فقد عملت وتعمل على صياغة مفهوم الذات والهوية الجديدة للأفراد بعيداً عن سياقها العام. إذ ان تشكل أي هوية وطنية أو اجتماعية أو غيرها مرتبط بشكل مباشر بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع حيث تختلف وتنتقل من حالة إلى أخرى بناء على هذه الظروف. ان الحالة الفلسطينية لا تختلف أبداً في كيفية تشكل هويتها وتأثرها نتيجة هذه الظروف. فالهوية الفلسطينية ووجودها يتأثر بالعوامل السياسية التي تعرضت وما زالت تتعرض لها. وتحمل الهوية الفلسطينية في طياتها الرواية والذاكرة الجماعية حول مختلف الأحداث التي مرت بها فلسطين أو ما أطلق عليه ندع روحانا

"الضمير الجماعي الفلسطيني"<sup>1</sup> حيث ان مجمل هذه الظروف هي التي شكلت وتشكل الهوية والذات الفلسطينية (أبو مطر، 2013).

ان كل ما يدور من أحداث في المجتمع ينعكس ويؤثر على سيكولوجية الأفراد بداخله، فنرى أن هناك ارتباطا وثيقا بين البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وبين البنية النفسية للأفراد، فلا يمكن تفسير الأمراض النفسية أو الحالة النفسية للمجتمع ما دون التطرق والتنبيه للبعد الإنتاجي والاجتماعي فيه على حد تعبير عالم النفس إريك فروم (جمعة، 2011)، فكل ما هو مادي ينعكس بالضرورة على كل ما هو نفسي وفكري ومعنوي من خلال عملية جدلية دائرية تبدأ من المادي وتعود إلى المادي بلقمة تأثير متواصلة، الأمر الذي يجعلنا لرؤية المشهد الفلسطيني بعيد وزاوية اقتصادية اجتماعية. لكن هذه الرؤيا لا تعني بناتاً أننا ننفي وجود عوامل غير العوامل المادية، وإنما نسعى - عبر هذه الدراسة - إلى دراسة هذه العوامل عامة من خلال تسليط الضوء على الخدمات النفسية المقدمة للأفراد في المؤسسات غير الحكومية ومحاولة تفسير لماذا يتم استخدام قيم جديدة هجينة و/أو دخيلة على ثقافة المجتمع الفلسطيني. وعلى سبيل المثال يبدو غريبا ان من كان يقاوم ويناضل ويرفض التطبيع مع الاحتلال وينادي بالتححر وممارسة الكفاح المسلح يصبح اليوم ضحية بحاجة لتدخل نفسي واجتماعي من قبل "الجهات المتخصصة علميا ومهنيا".

يرى ابن خلدون أن الذات المتشكلة التي تتميز عن باقي الذوات أو المواضيع بماهيتها الخاصة، لا تنفصل نهائياً عن الهوية كونها ترتبط بها بعلاقة تفاعلية جدلية، وتتأثر بكل ما يحيط بها من واقع سياسي اقتصادي ثقافي اجتماعي.. الخ يؤثر ويتأثر بدوره بعلاقته مع هذه الذات (ابو مطر، 2013).

يهتم هذا البحث بقراءة التشكلات والتحويلات التي طرأت على الهوية والذات الفلسطينية في السياق التاريخي سعياً إلى تسليط الاهتمام نحو فهم التشكلات الحالية (مرحلة ما بعد أوسلو) على الذوات قيد الدراسة في هذا البحث.

<sup>1</sup> انظر ندم روحانا: الهوية الوطنية الفلسطينية والحلول السياسية

ان الممارسات المتواصلة وكذلك العنف السياسي الممنهج من قبل الاحتلال الاسرائيلي الاستيطاني هو بالنهاية ينشد طمس الهوية الفلسطينية واستدخال الهزيمة المادية والنفسية على مهتوى الفرد والجماعة بمهدف خلق حالة اغتراب عن الواقع الحقيقي لهم.

يمارس الإنسان المقهور كافة الآليات التي من الممكن أن تبسط لديه شعور من الراحة والسكينة حتى ولو لبعض الوقت كالانكفاء على الذات وعدم تقبل أي شيء خارجي، أو اللجوء للعنف الأفقي داخل المجتمع بدلاً من العمامودي على المستعمر، من خلال تزايد العنف المجتمعي كالقتل والمشاكل والنزاعات العنيفة لحل أي إشكاليات بسيطة، أو التماهي مع المتسلط والتشبه به (حجازي، 2005) لكن سرعان ما تبطل مفعول هذه الآليات عند اكتشاف الإنسان ذاته اللاواعية وربطها بالوعي ويتأتى ذلك إما صدفةً من خلال أحداث قد تحدث أمامه وتبين عجزه، وإما من خلال الحوار والتوعية ال تي يقوم بها أصحاب الرسالة الثورية بالمجتمع (فريري، 2005) عندها يقف الإنسان أمام ذاته، ويعيها فيتصدى لقهره وينتفض بقوة محطماً كل الأصفاد التاريخية التي تكبل عقله ويديه. في سياق هذا الوعي والتحول لمفهوم الذات والهوية الفلسطينية يقول (خ، ب) وهو فلسطيني انخرط في النضال الوطني الفلسطيني خلال مقابلات البحث واصفاً هذا التحول في تشكل الذات الوطنية : أنه وعلى الرغم من عدم وجود ما هو مطلق فيما يتعلق بالشخصية النمطية للمعتقلين الفلسطينيين في ا لسجون الاسرائيلية ما قبل أوسلو، إلا أن غالبية الصورة النمطية كانت ترى في المعتقلين من عام 1967 ولغاية إتفاقيات أوسلو، بوصفهم مناضلين حرية يعملون بنكران مطلق للذات ودونما إنتظار لأي مردود مالي و /أو وظيفي، و من كان يشذ عن هذه الصورة كان يعتبر خارجاً عن الصف الوطني بل وإلى أبعد من ذلك، جرى تصنيف البعض منهم على أنهم يخدمون سلطات الاحتلال إلى درجة وصلت إتمام بعضهم بالعمالة والقيام بتصفيتهم جسدياً داخل السجون والمعتقلات الاسرائيلية.

يتناول هذا البحث ظاهرة المنظمات الأهلية الفلسطينية بشكل عام وتلك العاملة في المجال النفسي بشكل خاص، ببنيته ودورها وتمويلها وتبعيته ا وخصوصيتها في السياق الفلسطيني . مع الأخذ بالحسبان أن عمل المنظمات الفلسطينية المتخصصة في المجال النفسي يتقاطع عملها مع منظمات الصحة النفسية العالمية. يهدف البحث إلى تتبع وكشف الكيفية التي تعمل بها هذه المنظمات (ببنيها التابعة والاعتمادية) في عملية تشكيل مجموعة من المفاهيم حول أنماط الشخصية أو الذوات في السياق الفلسطيني ، من خلال فلسفة العلاج النفسي وإستراتيجيات التدخل وقت الأزمات باستخدام المنهج النفسي الغربي التقليدي الذي لا يحاكي الواقع الاجتماعي الفلسطيني. ومن هنا يهتند البحث إلى الرؤية النقدية لعمل هذه المنظمات، لسُتكمّل بعملية نقدية تفحصية للنظريات النفسية الغربية والتوجهات في العلاج المتبع في هذا الإطار ؛ بغية تأكيد أن هذه النظريات والتوجهات حول تشكل الذوات الخاضعة للعنف تعكس صورة عن الذات الفلسطينية (سلبية و/أو إيجابية)، ويتم تبني هذه الصورة ونقلها من قبل المنظمات غير الحكومية الفلسطينية إلى العالم بطريقة مشوهة . وتهدف الدراسة أيضاً إلى إظهار كيف أن هذين المجالين، الأول عمل المنظمات الأهلية وحطابها والثاني النظريات النفسية المبنية على أساس فردي، يشكلان مدخلاً مفاهيمياً لبناء نماذج الهيمنة والسيطرة الاستعمارية من خلال بصمة أو لمسة تبدو وكأنها إنسانية نفسية.

### إشكالية الدراسة:

تمحور إشكالية الدراسة حول وجود مؤسسات تعمل في مجال الصحة النفسية وتعزّف نفسها على أنها مؤسسات غير حكومية ظهرت بعد إتفاقيات أوسلو ، وتقدم هذه المؤسسات خدمات نفسية لأفراد المجتمع الفلسطيني بفرائحه المختلفة؛ من دورات توعوية وترويجية حول الصحة النفسية وحقوق الإنسان وانتهاكاتها، وخدمات علاجية إرشادية وطبية... الخ.



لو نظرنا بعمق إلى هذه المؤسسات لوجدنا أنها حديثة ، نوعاً ما ، رغم قدم القضية الفلسطينية لفلسطينية، حيث أن ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد الإنسان الفلسطيني بدأت ما قبل تحرير الفلسطينيين في العام 1948 ونشوء الكيان الصهيوني، ولكنها ازدادت بعد نكبة العام 1948. ولبلقابل فإن المؤسسات الخدمية، التي كانت في الغالب تقتصر في عملها على الجانب الحقوقي الصرف لمتلقي الخدمة، شرعت بالعمل منذ مطلع الثمانينات، بينما وبعد اتفاقية أوسلو، إزداد وجود هذه المؤسسات الخدمية وتعدت خدماتها الحقوقية والقانونية لتمتد وتشمل خدمات تتعلق بالدعم النفسي والتأهيلي للإنسان الفلسطيني كي يتأقلم مع مجتمعه عقب تعرضه للعنف أو التعذيب<sup>2</sup>.

من هنا، سلطت هذه المنظمات الضوء على الإنسان الفلسطيني بوصفه ضحية بحاجة إلى علاج وتأهيل نفسي. والسؤال الذي يطرح نفسه : كيف استطاع الإنسان الفلسطيني تحطّي آثار العنف الممارس ضده من الاستعمار قبل وجود هذه المؤسسات والتغلب علىها؟! فهذه المؤسسات ولدت بعد إتفاقيات أوسلو، عندما فُتحت الأبواب أمام الممولين لإقامة مشاريعهم وضح أمواهم إلى المجتمع الفلسطيني. فعلى الرغم من إنفتاح هذه المؤسسات وتشغيل أيدي عاملة، والتخفيف من البطالة بين الخريجين في المجتمع، إلى حد ما، بمن خلال توفير فرص عمل في هذه المؤسسات، إلا أن هذه المؤسسات وضعت وقولبت برامجها ومشاريعها وفقاً لأجندة الممول، ووفقاً لرؤية محددة للذات والتكوين النفسي، المتكثرة للبنية النفسية المقاومة والساعية إلى تحويلها إلى بنية نفسية غيبسية وغير مسلحة ايديولوجيا ضعيفة بحاجة إلى بناء ضمن مقومات يراها الممول، ويضعها في قالب الإنسان الضعيف الذي يحتاج إلى البحث عن مصادر قوتها وفقاً لمعايير ومقاييس الترويض للبنية النفسية في ظل الاستعمار.

ان هذه المشاريع تتطابق مع وجهة نظر الممول، الذي يسعى عبر هذا التمويل (بخطابه التنموي) إلى تشكيل رؤية محددة حول الذات وطبيعته. وهذه الرؤية هي رؤية ليبرالية فردانية بامتياز؛ تُقصي أشكالاً أخرى من الذات،

<sup>2</sup> أمثلة على هذه المؤسسات: مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب، وجمعية الشبان المسيحيين، ومركز الإرشاد الفلسطيني، وأطباء بلا حدود، وجمعية الدعم النفسي الاجتماعي للشباب.

وتحاول ادخال هذه المفاهيم لتشكيل ذوات خارجة عن الذوات التي تشكلت ضمن سياق ثقافي شرقي مناهض للإستعمار قائم على القيم الجماعية السائدة في مجتمعنا الفلسطيني . وهذا التشكيل يسوق الحلة الاستعمارية المتجسدة في الإستعمار الصهيوني حسب رؤيته، ويتناوله باعتبار مدخلاً لمكانة له وتحقيقاً لمكاسب رمزية واجتماعية واقتصادية وسياسية في سوق الارتزاق<sup>3</sup> العالمي، الذي يعتاش على أوجاع ونكبات الإنسان الفلسطيني أينما تواجد.

مما لا شك فيه أن الحالة الاستعمارية تركت أثراً على حياة وواقع الإنسان الفلسطيني ومفاهيمه وصحته النفسية كمتعمّر، ولكن ما هو شكل هذا التأثير؟ وكيف يتم تمثيله؟ وما المعاني المرتبطة به في حال وجوده، أو عدم وجوده، مقاومة؟ يبقى هذا محور السؤال البحثي!

وبالتالي، يتبلور هنا السؤال الرئيسي لبحث: كيف تؤثر البنى والتوجهات الأيديولوجية الليبرالية والبرامج والمشاريع لدى المنظمات الأهلية الفلسطينية العاملة في المجال النفسي على تمثيل وتشكيل الذوات الفلسطينية، في السياق الاستعماري، كذوات مسلوقة الإرادة، لا تتدعم في ثناياها مقومات الفعل المقاوم ونفسية الصمود وفن المواجهة؟

سوف نتم دراسة السؤال البحثي، والأسئلة الفرعية التالية، من خلال حالة دراسية منتقاة لهذا الغرض البحثي، وهي حالة مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب. حيث سوف يتم توضيح وتبرير سبب إختيار المركز كعينة للدراسة في الصفحات القادمة.

<sup>3</sup> الارتزاق هنا بمعنى الكمبرادور الثقافي، الذي يعمل على تخريب المفاهيم والقيم الاجتماعية والثقافية المحلية؛ من خلال نقلها للتمويل الغربي المشروط، بحيث تكون المؤسسة غير الحكومية وكيلاً للمؤسسات الأجنبية الرأسمالية في البلد

### أسئلة البحث الفرعية:

- ما هي الهام والرؤى التي تتبناها هذه المؤسسات في صياغة المشاريع التمويلية؟
  - كيف توظف هذه الرؤى والرسائل في تسويق صورة الذات المعنفة، التي يمارس ضدها العنف من أجل الحصول على الموافقة على المشروع من الجهات التمويلية؟
  - هل تعمل هذه المؤسسات مع أبناء المجتمع الفلسطيني بناء على حاجة وخصوصية المجتمع الفلسطيني في المشاريع التي تمولها؟
  - هل هذه المؤسسات على وعي تام بالخصوصية الثقافية والسياسية للمجتمع الفلسطيني الذي تعمل فيه؟
  - كيف يؤثر خطاب التمويل الأجنبي على رؤية الأخصائيين والعاملين في مجال الصحة النفسية وتعاملهم مع الفلسطينيين المتضررين من العنف الاستعماري؟
  - كيف يتم رؤية وتمثيل واستخدام أثر العنف الاستعماري على الفلسطيني نين من قبل مؤسسات غير حكومية عاملة في المجال النفسي؟
  - ما هي مظاهر وتأثيرات التدخل النفسي على تشكيل صورة الذات الفلسطينية ضمن إطار المؤسسات العاملة في هذا المجال تبعاً للبرامج والاستراتيجيات التمويلية من الدول المانحة؟
  - كيف يمارس التدخل النفسي كأداة عنف رمزي ضد الذات/الفرد المتضرر من العنف الاستعماري؟
  - كيف يتم تناول الذات في إطار السوق التمويلي؟
- سيقوم البحث بداية بمعالجة ظاهرة المنظمات الأهلية وآليات عملها، وكيف نشأت وتأسست، ومن أين تحصل على تمويلها، وكيف تحافظ على استمرارية تدفق التمويل، وما هي الأيديولوجية التي تنظم رؤيتها. وبالتالي، ما هي الأسس أو الرؤى التي تتبعها عند كتابة المشاريع والخطط الإستراتيجية، ومن هي الفئة المستفيدة من عملها، وكيف تؤثر على المستفيدين أو المتفاعلين من خدماتها. ومن ثم سيقوم البحث بمعالجة نقدية للأطر المفاهيمية التي

تشكل مجال علم النفس الغربي الفردي، وتشكيلها للذوات الإنسانية، وكيف يتم تبني ونقل وتمثل هذا النموذج في فلسطين الواقعة تحت الاستعمار لتبيان إشكالية التطبيق الميكانيكي لهذه المفاهيم على السياق الفلسطيني.

### أهمية البحث

يعد هذا البحث إضافة للإنتاج المعرفي حول ظاهرة المؤسسات غير الحكومية و علاقتها بضحايا العنف الاستعماري. كما وتكمن أهمية البحث في كونه يبحث في ا لكيفية التي يتم فيها صياغة الأعراض النفسية في السياق الاستعماري، كسلعة يتم تسويقها للدول المانحة من أجل الحصول على الدعم المالي في سوق التمويل . وستفتح نتائج البحث آفاقاً بحثية لباحثين آخرين في هذا المجال، كما وستضيف الممارسة البحثية حافزاً ضرورياً نحو خلق وممارسة علم نفس تحرري، يتخلص من ترسبات العقلية الغربية الاستعمارية، وما خلفته من تأثيرات على تصوير وتشكل الذوات كذات مستضعفة تمارس عليها أدوات الهيمنة الحديثة، لتصبح ذوات فاعلة ومستقلة تمتلك حريتها ومصيرها.

إن تجربة الدول العربية، وغيرها من دول العالم الثالث المستعمر التي تخلصت من الاستعمار العسكري المباشر، تؤكد أنها لا تزال تعاني، وتتماهى مع عقلية المستعمر. ويحاول هذا البحث الاستفادة من تجارب بعض الدول المستعمرة في التحرر من أدوات الهيمنة الاستعمارية وعقليتها التي تكبل طاقتها. ومن أهمية هذه الدراسة أنها قد تساهم في تطوير الوعي لدى العاملين في مجال الصحة النفسية، فيما يخص العلاج النفسي في السياق الاستعماري، مما يساعدهم على تقديم خدمة نفسية تتوافق مع السياق الثقافي الفلسطيني الذي ينبغي أن يركز على تعزيز الذات الفلسطينية المقاومة المناضلة، القادرة على تخطي آثار ومخلفات العنف الاستعماري على حياتهم والتعامل معها. وأخيراً تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تساعد في بناء إدراك واعٍ لمجال دراسة علم النفس المجتمعي، الذي يرى أن الاختصاصي النفسي يجب أن يكون وكيلاً للحراك والتغيير الاجتماعي لممارستها في المستقبل.

## الاطار النظري

كي يتسنى لنا فهم الذات الفلسطينية والهوية التراكمية الذاتية والجماعية للشعب الفلسطيني ، لا بد لنا من وضعها في سياقها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ضمن إطار السياق الاستعماري الصهيوني الذي ينتج عنه أثر في صقل وتشكيل معالم البنية السيكولوجية والاجتماعية للفرد في بيئته المحاطة بهذا الواقع الاستثنائي للحالة الاستعمارية . ولقد طور الشعب الفلسطيني في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، خلال فترة السبعينيات والثمانينات ، قاعدة شعبية مترابطة تركزت على شبكة من المنظمات الشعبية والمحلية ، مثل : اللجان الشعبية ، واتحادات ومنظمات لمختلف الفئات الشعبية (عمال وطلاب ونساء ومهنيون ومدرسون)، بحيث لعبت دوراً أساسياً في تقديم الخدمات المجتمعية ، من تدخل نفسي واجتماعي للأفراد والخدمات المجتمعية ، وعملت على ترسيخ التماسك المجتمعي وتعزيز النسيج الاجتماعي المترابط ، في ظل غياب هيكل حكومي يمثل الشعب الفلسطيني، وفي ظل الاستعمار الصهيوني الذي همش إحتياجات المجتمع المحلي .

استمر الحال على هذه الوتيرة ، التوليدية ، إلى أن جاء مخاض ما يعرف باتفاقيات أوسلو ، والذي أنجب المؤسسات غير الحكومية في إطار وجود هيكل حكومي يئ عرف بالسلطة الوطنية الفلسطينية، يعتمد على إغراق المجتمع الفلسطيني ومؤسساته بالتمويل الغربي الرأسمالي المشروط الذي اخترق المجتمع برمته، مشكلاً بذلك حلقة استمرارية مكتملة للحالة الاستعمارية، ولكن بنكهة وجهود فلسطينية (مكاوي، 2009).

وقد أكدت (بكير، 2012) على أن المنظمات غير الحكومية قد لعبت دوراً سلبياً في الشعور النفسي والمجتمعي والمشاركة المجتمعية، من خلال اعتماد هذه المؤسسات نصح التمويل الأجنبي الخارجي الذي يخدم أجدات الممول السياسية، ويهدف إلى تدمير البنية التحتية المجتمعية والنفسية ، ويعمل على تفتيت اللحمة الجماعية ؛ من خلال تعزيزه للمصالح الفردية والعمل الوظيفي البيروقراطي، وإحلال القيمة الاقتصادية مقابل القيمة الوطنية.

## الرؤية النقدية للمؤسسات غير الحكومية

أعتمدت الباحثة، بشكل كبير، في الإطارين: النظري والمفاهيمي لهذه الدراسة على الرؤية النقدية للمنظمات الأهلية، وعلى وجه الخصوص تلك العاملة منها في المجال النفسي. وكذلك الرؤية النقدية لعلم النفس الفردي-الغربي النموذج المتبع فيها؛ وذلك لتبيان علاقة هذين الإطارين وأثر عملهما معاً على تشكيل وتبني صورة محددة للذات الفلسطينية.

لذا؛ تقدم إسهامات كل من خليل نخلة (2011) وساري حنفي وليندا طبر (2006)، فائدة جيدة للدراسة؛ وذلك لأن هذه الاعمال من أهم المعالجات الميدانية المستندة إلى معطيات إمبريقية، وليست محض مرجعيات نظرية. بالإضافة إلى مساهمة سمارة (2003 و 2011)، التي تطرقت إلى مفهوم أنجزة المجتمع المدني<sup>4</sup>. كما توضح هذه الأعمال طبيعة التشابك الحقيقي بين المنظمات غير الحكومية الدولية، وبين المنظمات المحلية على أرض الواقع ومن تجارب ملموسة، وتشرح علاقة التمويل الخارجي معها، وما تفرضه من أجدات وبرامج وتوجهات أيديولوجية، وما تستدخله من آثار على طبيعة عملها وخطابها؛ لكي تعيد إنتاج خطاب جديد معولم، تعمل فيها كعقل مدبر Master Mind يرسم الخطط والأهداف، وتعمل المنظمات المحلية بعقلية ودور إدارة التنفيذ، وهذا ما يراه نخلة (2011) ويوضحه في ظل شبكة العلاقات بين المنظمات غير الحكومية والدولية والمحلية، لتغدو أدوات لتنظيم التبعية لحساب دول المركز. وهذا جل ما تفترضه دراستي في ضوء الأدبيات والدراسات الإمبريقية التي تحوَّث حول الموضوع.

واستكمالاً لهذه الأطر المرجعية والنظرية، تركز الباحثة على المؤسسات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي؛ للكشف عن كيفية مساهمتها في عملية بناء وتشكيل الذات الفلسطينية في هذا السياق، وذلك لأنها تبني منظومة معرفية معينة حول علم النفس، وهي منظومة علم النفس الفردي التقليدي. وبسبب تبعية هذه المنظمات

<sup>4</sup> إدخال مفهوم المنظمات غير الحكومية (الأنجزة) في مفهوم المجتمع المدني والأنجزة في المنظمات الأهلية والقاعدية، وإدخال هذه المفاهيم ومن ثم حضورها كبنى في جدول التحرير الوطني والاجتماعي (سمارة، 2011).

غير الحكومية العاملة في المجال النفسي لمؤسسات غربية تتعاون معها وتدعمها، هناك نسخ ونقل لمنهجها التطبيقي في علم النفس من قبل هذه المؤسسات الأهلية للسياق والواقع الفلسطيني.

وعليه، فإن دور المنظمات غير الحكومية وطبيعة عملها يعيد ان، من حيث المكونات والصياغة والعلاقات الداخلية، إنتاج خطاب ليبرالي استعماري جديد، من خلال توظيف علم النفس الفردي والغربي والليبرالية، باعتبار الأخيرة أيديولوجية تتمحور على الفرد، وتهدف إلى تدمير المجتمع، وتدير الظهور للكلية الاجتماعية (وسام رفيدي، 2010)، وتعمل المنظمات غير الحكومية مع الفئات المهمشة فيما يقدمه من خدمات في الصحة النفسية والاجتماعية على إستدخال العقلية الانحزامية، وتسليع الأمراض النفسية والنشاط السياسي، والتي لخص محمد فرج عمل المنظمات غير الحكومية بشكل عام في كتابه حول (الرأسمالية وأنماط الهيمنة الجديدة)، بالقول: "عمل هذه المنظمات بمنهج يؤدي، في نهاية المطاف، إلى تحويل المقاومة إلى عمل مفاوض ناعم غير ضاغظ، وكأن الفقير والناهب والمستلب طرفان يود كل منهما الآخر ويرغب في مساعدته" (فرج، 2011: 61).

### المنظمات غير الحكومية

تعرّف المنظمات غير الحكومية بلّغها جزء من المجتمع المدني، الذي يجرّفه آدم سميث بمجتمع المبادلات التجارية الحرة؛ الذي يقوم فيه الجميع بنشاطهم التجاري دون قيود، والدولة فيه تكون المراقب والحارس للمصالح الخاصة. ونظر هيغل للمجتمع المدني على أنه أسرة كبيرّة تحكمها فلسفة الحق والاخلاق. أما تعريف المجتمع المدني في **المفهوم الليبرالي**: فهو عبارة عن مؤسسات غير حكومية تتبنى برامج تطوير اجتماعية وتصدر تقارير عن وضع البلد (فرج، 2011). في حين يرى قسوم (2002) كما أورد في: بكير، (2012) أنها ظاهرة مستوردة من الخارج، تشكلت حديثاً من شبكة من المشاريع الممولة والتي يشار إليها بمؤسسات المجتمع المدني التي تعمل بشكل رئيسي في بلدان العالم الثالث.

بينما يعرفها نخلة (2011) أنها امتيازات ومساعدات تقدم للفلسطينيين بهدف الإذعان والخضوع لأجندة وبرنامج سياسي مفروضة عليهم، فهي تكبل المجتمع بأسره ، وتضع الاجيال القادمة رهينة الديون السابقة . ويراهنا سمارة (2003) بصورة أخرى ، حيث يعتبرها قيام فرد أو حفنة من الأفراد ، ليسوا حزبياً ولا نقابة ولا طبقة ، بالاتصال بمنظمة حكومية تتمول من حكومتها لتقوم المنظمة الأجنبية غير الحكومية بتجنيد الأموال من بلا دها، وهي دائماً بلد غربي رأسمالي، وتعرف نفسها المنظمات غير الحكومية على أنها منظمات غير ربحية، بينما هي في الواقع التطبيقي الممارس تعمل على أجندة ربحية من خلال تحقيق مكاسب، وإن لم تكن عينية إلا أنها تلعب دوراً في الارتزاق من خلال إستفادة العاملين فيها من تحقيق رأسمال مادي ومعنوي<sup>5</sup> واجتماعي ومكانة رمزية، عن طريق الرحلات والرواتب وتشبيك علاقات محلية وعالمية، ضمن سوق العنف والخطاب التمويلي . وعلى وجه الخصوص تلك المؤسسات العاملة في القطاع النفسي ، حيث تعمل من خلال إستدخال هذه المفاهيم الى تشكيل رؤية وصورة محددة عن الذات وطبيعتها، بما يتناسب مع رؤيتها الغربية الليبرالية.

### نشأة المنظمات الأهلية في السياق الاستعماري

يشير سمارة (2003) إلى نشأة المنظمات غير الحكومية والتي بدأت خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين ، التي هي جزء من فترة ما بعد الحرب العالمية الباردة، ويعتبر وجودها جزء من سياسة الحرب الباردة للمركز الرأسمالي الامبريالي ، الذي تولد في فترة التوازي مع التغيير في ميزان السيطرة والقوى الاجتماعية داخل وبين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية، حيث حظيت المنظمات غير الحكومية باهتمام عالمي خاص بما كلفه مفهوم، فيما يتعلق بالدور الذي تؤديه، وجاء وجودها في سياق عالمي رأسمالي يشجع على الخصخصة وحرية السوق ، كشرط وأساس للتنمية في دول العالم الثالث، ويتم التركيز في الاطار الجديد على إعادة النظر في دور الدولة، وإمكانيات تقليص هذا الدور بحيث تتخلى عن تقديم خدمات اجتماعية أساسية للمواطن نين، وأن يقتصر دورها على تقديم أو تهيئة بيئة

<sup>5</sup> للمزيد انظر بدوي، (أحمد، 2009) ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو. مجلة اضافات العدد 8، ص.9-



قانونية وبنية تحتية ملائمة لنمو القطاع الخاص باعتباره أداة التنمية الأساسية. وهنا يتم التعامل مع المنظمات غير الحكومية كشريك رئيسي في عملية التنمية المزعومة (لداودة وآخرون، 2001). لذا، ولفهم شكل العلاقات بين المنظمات غير الحكومية والدول المانحة ، يجب وضعها في السياق الاستعماري، وذلك لأن تأسيس وإنشاء أي مؤسسة مرتبطة بشكل مباشر في الظروف السياسية والاقتصادية التي يعيشها أي مجتمع، وتختلف بنى ورؤى هذه المؤسسات بناء على تغيير هذه الظروف التي تنعكس على آلية عملها ورؤيته للذات، وفي حالة مؤسسات المجتمع الفلسطيني لا تختلف في كيفية تشكلها وتأثرها في هذا السياق.

### تاريخ المنظمات غير الحكومية في فلسطين

يرجع وجود المنظمات غير الحكومية في فلسطين إلى سنوات عديدة واجهت فيها العقبات والتحديات في ظل الحكم الغربي وأنظمتها المختلفة، حيث جاءت هذه المنظمات لتلبي وتستجيب لإحتياجات الناس وتطالب حقوقها في ظل الاحتلال الإسرائيلي العسكري الذي طال الأرض والموارد ولم يُبق للناس شيئاً. وتعتبر هذه المنظمات من أوائل النشطاء الذين أخذوا على عاتقهم وبادروا في المساعدة ، في ظل غياب التنمية ووجود الاتفاقيات السياسية التي تعترف بوجود منظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني لإنشاء منظمات أهلية (حنفي وطبر، 2006). وفي هذه البيئة والظروف ، أسس ما يعرف بالمنظمات غير الحكومية ؛ لتقدم المساعدات والخدمات في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وارتبطت هذه المنظمات بالحركة الوطنية وفصائلها السياسية المختلفة نظراً لظروف النشأة، مثل: فتح، والحزب الشيوعي، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وقام كل فصائل أو حزب بتأسيس منظمة خاصة بفتة معينة في المجتمع ، مثل: منظمات المرأة والطلاب والعمال، واللجان الطبية والزراعية وهكذا، وقامت منظمة التحرير الفلسطينية بدور مركزي في ضم كل من هذه الاتحادات المختلفة لتنضوي تحت لوائها.

استعان النشطاء الأوائل بالأحزاب السياسية لخلق وبناء معابر للتحرك الاجتماعي ، مستفيدين بذلك من قوة الحركة الوطنية في تلك الفترة، لكي تتوسع نشاطاتها لتصل لمساعدة الجمعيات الخيرية والتطوعية التي تشكل أقدم منظمة غير حكومية فلسطينية شهدتها فلسطين (حنفي وطبر، 2006). وعقب إختيار الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينات، وحرب الخليج الأولى في أوائل التسعينات، حدث تغير على الحالة العالمية تأثر بها الوضع الإقليمي، مما أدى إلى تراجع الحركة الوطنية الفلسطينية بالإضافة الى بعض المسلكيات الفردية الانتهازية داخل الفصائل إلى تغير بنى وأطر وممارسات المنظمات التي ساهمت في عملية التحول في خطابها، من خطاب وطني إلى خطاب تنموي الذي ربما أدى إلى هذا التراجع في العمل الوطني الفلسطيني.

يتناول صبيح (2011) في دراسته ضمن سلسلة الدراسات التنموية التي تسعى إلى تفكيك خطاب وبرامج التنمية للمنظمات غير الحكومية والفاعلين بها في الأراضي الفلسطينية، حيث تكمن أهمية الدراسة في رؤية هذا السياق المؤسساتي الممول وانعكاسه على المسارات الفردية للفاعلين في البرامج التنموية، فيركز صبيح على مقاطع تاريخية من حياة العاملين المتنفذين في هذه المؤسسات ، ويتتبع التغيرات التي طرأت عليهم بعد اوسلو، وكيف استدخلوا مفاهيم جديدة سواء تنموية أو مهنية في الخطاب المستخدم لتنفيذ هذه البرامج، ليكشف بهذا عن آليات العمل والخطاب الفكري الجديد الذي انعكس على المستوى المؤسساتي، ويبين كيف انسلخت المنظمات غير الحكومية عن الأحزاب أو الفصائل السياسية الفلسطينية التي نبعت منها ما قبل اوسلو، وكيف غيرت مفاهيم الوطنية وأصبحت تنادي بمفاهيم أخرى ما بعد اوسلو؛ خدماتية أو مهنية.

واعتمدت دراسة صبيح على نتائج مقابلات نوعية تم إجراؤها عام 2006، والتي عالجت موضوع مهنة الحقل المجتمعي، ومن ثم عمل على تحليل مشروع تنموي متعدد الأطراف، ليخرج بنتائج مفادها، أن التنمية وهم أو عقيدة بنى مُطعمة بخطاب بنادي بالمعرفة، ولكنه يؤسس ويرسم لأبعد من ذلك، من فساد وشخصنة باسم الشفافية وبناء المؤسسات (صبيح، 2011).

وفي هذا الإطار مقالة شبيهة، يتحدث الزين (1999) عن الجدل والتغيير الذي ساد حالة مؤسسات المجتمع الفلسطيني بعد أوسلو، والتي أحدثت تغييراً على بنية وهيكلية العمل لكي تتناسب مع متطلبات مرحلة ما بعد أوسلو. وعليه، لا بد من فهم التسلسل التاريخي لعمل هذه المنظمات في سياقها السياسي والاقتصادي، للكشف عن علاقتها بالدول المانحة ورؤيتها وتشكيلها للسياق الفلسطيني والذوات الفلسطينية.

### مسألة التمويل

يسود داخل المجتمع الفلسطيني اعتماد كبير من منظمات المجتمع المدني على التمويل القادم من الخارج ، وخاصة من دول الإتحاد الأوروبي ومن أمريكا، وهذا ينعكس من خلال طبيعة الخدمات المقدمة من قبلها أو حتى في برامجها، وبالتالي تتغلغل أجندتها - الغربية الرأسمالية - في مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني، مع الإشارة إلى التشابك الوثيق بين الغرب وبين العدو الصهيوني في المصالح، وهذا له دور في تشكيل طبيعة المساعدات أو التمويلات القادمة لهذه المؤسسات، من حيث تشكيل واشتراط التمويل بما يتناسب مع مصالح الممول أي عدم التناقض مع الكيان الصهيوني (سمارة، 2011). وهذا ما نلاحظه في المشاريع الممولة من تركيزها على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والأغراض النفسية، وصرف ميزانيات طائلة على أمور ثانوية "فنادق، ومأكولات لورش العمل وغيرها"، وطرح مشاريع شكلية حول التنمية والإعمار، والابتعاد كل البعد عن مشاكل المجتمع الرئيسية التي تتعلق بالإحتلال ومقاومته ورفضه. فأى عملية تنمية تلك التي تتم وشعب يزرع تحت الاستعمار؟! وأي عملية ديمقراطية لمجتمع دون وجود دولة يمارس فيها المواطن حقوق المواطنة كاملة؟! ارتبط التطور التاريخي للمؤسسات غير الحكومية بصورة مباشرة بالمولد أو المانح والتحويلات في السياق السياسي، كلما زاد حجم التمويل زاد حجم المساعدات والنشاطات المقدمة، ومع هذه الزيادة وزخم الأعمال تفترض الدول المانحة وجود هيكلية منظمة إدارية ومالية للتعامل معها، وعمل ذلك على تحول وتغيير المنظمات إلى مراكز أو مؤسسات مهنية ذات عبء بيروقراطي، مما أدى إلى إبعاد هذه المنظمات عن طبيعة علاقاتها بالقاعدة

الشعبية والحركة الوطنية (نحلة، 2004). إن هذه البيروقراطية ليست سوى شكلاً جديداً من تقاليد الرأسمالية الأوروبية التي يبشر بها في العالم العربي كما عبر عنها ووصفها عادل سمارة "بالأنحزة" في كتابه "منظمات غير حكومية أم قواعد للآخر؟" لقد وضح فيها بشكل مفصل طبيعة معظم النشاطات التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية والتي تقع ضمن المجالات الثقافية والخدماتية وليست للتنمية أو التجدير المجتمعيين، حيث يعمل الناس العاديين في هذه المنظمات لأنهم يبحثون عن فرص عمل، في حين يقوم مدراء هذه المنظمات بموظائف وأعمال طبقاً لما يريده الممولون الأجانب، كما أن المنظمات غير الحكومية تقدم لهذه الكوادر رواتب عالية مما يجعلها تساهم في خلق شريحة مجتمعية جديدة في المجتمع (سمارة، 2003). وهذه البنية المؤسساتية التي تشكلت ضمن السياق العالمي الغربي لتمويل المنظمات غير الحكومية في العالم الثالث وفلسطين عبارة عن إطار للتحكم في التوجه لتشكيل المعرفة والذات.

ولما كانت السوق الرأسمالية تسلع كل شيء، من البضاعة حتى الإنسان ومشاعره ورغباته الإنسانية، فإن التمويل وفق منظومة المفاهيم الليبرالية، أي مفاهيم السوق الرأسمالي، قد قامت بتسليع المرض بحيث أصبح لدينا سوق للعنف، تُعرض فيه البضائع (متلقي الخدمة) لإستحلاب التمويل.

**سوق العنف، والحال هذا،** هي عبارة عن الحيز الذي تدار فيه الأموال بين المؤسسات غير الحكومية والدول المانحة، مقابل تقديم هذه المؤسسات الخدمات في المجال النفسي للأفراد الفلسطينيين المتضررين من حالة العنف السياسية القائمة. وهذه السوق كغيرها من أسواق العنف، تخضع لمعايير العرض والطلب الرأسمالية، فإذا تنشط عمليات التعذيب مثلاً في موقع ما أو تتسبب الحروب بأزمات للضحايا، فهنا يزداد العرض وبالتالي تنهال طلبات التمويل لتقدم الخدمات النفسية! ولكنها تختلف في الطريقة التي يتم تمويلها بطريقة تزعم الإنسانية وتبغى الصحة النفسية وتقوم بمناصرة مجتمعية. فالتمويل أصلاً سوق! ويكفي النظر لدور المنظمات غير الحكومية في السنوات الثلاث الماضية والتي تمت كالفطر في سوريا وليبيا والعراق، لنذكر أن السوق هناك باتت تعرض العديد من الموضوعات التي تستجلب التمويل (التعذيب، المرأة، الديمقراطية وحقوق الإنسان... الخ).

يؤدي السوق إلى تسليع المرض ؛ بحيث تتحول المآسي الإنسانية كنتاج للتعذيب والقمع إلى سلعة يتبارى المتمولون لشرائها، أي الحصول على تمويل لها، وتلك منافسة تجارية يمكن ملاحظتها في سلوك المنظمات غير الحكومية المتشابهة في برامجها وتوجهاتها وفتاها المستهدفة . والمكان الذي تتم فيه عملية التسويق هو مشاريع ومقترحات التمويل في المؤسسات غير الحكومية التي تفتح أبوابها ومشاريعها للممول ساعية (للتنمية)، ولأن عمليّة التجارة والتسويق بحاجة لطرفين في المعادلة ، فإن الطرف الأول هو: المؤسسات غير الحكومية التي تمثل الوسيط والوكيل أو السمسار في هذه السوق، وبالنتيجة تفرز مجموعة من المستفيدين من هذه الحالة، سواء أفراد أو مؤسسة، والطرف الثاني هو: الدول المانحة ودعمها (لعمليّة السلام). والسوق في هذه الحالة ه و التمويل وخطابه. أما **مستهلكي** هذه السوق العنيفة فهم المنتفعون من الخدمات النفسية أو المرضى نفسانياً، وبالنتيجة فهذه العملية في التبادل تخلق آثاراً وأدوات من شأنها ترسيخ ح الة التبعية واللاتنمية، وتبني وإستدخال العقلية الاسعمارية.

طالما أن العملية هي ممول وتممول ، فلا يمكن لهذه الحالة التبعية إلا أن تنتج تنمية في إطار منظومة علاقات الانتاج، التي تشمل المنتج المستفيد الذي يخلق ويصنع إحتياجات الآخر المستهلك ، من خلال لعبه في أوراق العرض والطلب في السوق الرأسمالي، وهذا ما ينطبق في حالة التسويق النفسي.

### حجم التمويل

تحصل الضفة الغربية على 81% من التمويل، حسب دراسة حنفي الذي أعطى فيها صورة شاملة لإتجاهات التمويل خلال السنوات 1995-1998، حيث لا يتناسب التمويل مع حجم السكان والاحتياجات الظاهرة ، في حين أن الاحتياجات في غزة أكبر، وتحتاج لتدخلات إغاثية أكثر من الضفة الغربية. وفي دراسة مشابهة، قام بها نخلة (2004) في رصد إتجاهات التمويل، أ وضع أن المجتمع الدولي تعهد بتخصيص مبلغ وقدره 5 مليار و162 مليون دولار أمريكي من أجل إعادة الإعمار والتنمية في فلسطين خلال

الفترة الواقعة بين 1994 ومنتصف العام 2001. يثبت هذا ان البنك الدولي يدعم المنظمات غير الحكومية بشكل قوي، ولا سيما في المناطق الخاضعة للسلطة الوطنية (سمارة، 2003).

بلغ نصيب السلطة الوطنية وجهازها الحكومي من المساعدات حوالي 92%، فسعت بدورها إلى تشكيل بيئة دستورية وقانونية تعمل المنظمات غير الحكومية خلالها، وجاء قانون الجمعيات الخيرية ليكون بيئة ملائمة ومنظمة لإنشاء علاقة بين السلطة وبين المنظمات الأهلية الفلسطينية لتطوير بيئة حكم عامة ومشاركة، ولكنه غير كافٍ؛ لعدم توفر الحد الأدنى من البيئة العامة، التي هي بصدد حالة إنتقالية بين مجتمع يع يش دولة ذات سيادة وحكماً محدود الصلاحيات على الأرض (لداودة وآخرون، 2001).

لقد جاء الخطاب الترويجي للديمقراطية وحقوق الانسان نتيجة اتفاقيات اوسلو، حيث دعمت الدول المانحة المنظمات غير الحكومية من أجل ترسيخ "عملية السلام"، وكان لهذه الإسهامات دور مهم وحيوي و فعال من شأنه أن يستدخل مفاهيم فردانية ليبرالية، تؤثر في حياة الأفراد، وبالتالي تنعكس على مفهومهم لذواتهم بطريقة تخدم المشروع الاستعماري في المنطقة في ظل العنف الاسرائيلي، وتعيد تشكيل الذات المقاومة التي تشكلت في إطار سياسي نضالي مقاوم في فترة الثمانينات، إلى صورة الذات كما يصورها علم النفس التقليدي.

### مجتمع المانحين

فيما يخص المانحين، تحظى المنظمات غير الحكومية برعاية واهتمام الدول القائمة على التنمية في بلدان العالم الثالث، مثل البنك الدولي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث أنشأت الدول المانحة صناعات ديق خاصة؛ لكي تدعم نشاطاتها وتعمل على تطويرها، وهذا ما حصل في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي جنوب إفريقيا، كسياسة اشتراطها الممول في فتح المكاتب والصناديق الخاصة به في هذه البلدان، إذ قامت هذه المنظمات في الضفة والقطاع على تغطية جوانب مهمة من إحتياجات المجتمع، وأصبحت جزءاً من النسيج المجتمعي، بحيث توفرت لها البيئة الدولية والدعم لتأخذ مكانها إلى جانب السلطة بعد اوسلو، ليس كشرريك فقط في العملية التنموية، بل كشرريك

في المشروع الوطني أيضاً. فعلى الرغم من أن هناك تجارب ملموسة تاريخياً لدور المنظمات غير الحكومية التي قامت بأدوار تحدد هوية السلطة السياسية، مثل: جنوب إفريقيا وأمريكا اللاتينية، والتي شكل دورها مواجهة مهمة لصد الهيمنة الاستعمارية وأنظمة الحكم الديكتاتورية، إلا أن هذه التجارب في فلسطين، لم تتأثر شرعية وجودها وتقبل المجتمع الفلسطيني لها، كونها تقوم بدور تكميلي مساند لمؤسسة السلطة السياسية (لداودة وآخرون، 2001).

إن هذا التمويل الخارجي من مجتمع المانحين للمنظمات غير الحكومية الفلسطينية، قائم على رؤية مسبقة من الممول نفسه للاحتياجات الفلسطينية المتقاطعة مع أهداف هذه المنظمات في المنطقة، والعلاقة القائمة بين الممول والمنظمات غير الحكومية تكون في الغالب مبنية على أساس تلقّي الأموال وفق أجندة الممول، وطبيعة هذه العلاقة تبين أن الجهات المانحة قادمة بأهدافها الخاصة المعلنة، بحيث تكون في هذا السياق قدرة المنظمات غير الحكومية على إحداث أي تغيير حدي فيما يتعلق بعملية التنمية هي قدرة محدودة؛ لأنها تخضع للسوق الرأسمالي المفروض عليها في زمن العولمة الذي ظهرت خلاله مؤسسات المجتمع المدني، الذي سعى إلى توظيف التنمية بمفهومها التقليدي للمنهج الليبرالي الفردي القائم على تحقيق المساواة والحرية وحقوق الإنسان والسوق الحر.

يجري هذا، في حين أن مفهوم التنمية، الذي يتوجب على المنظمات غير الحكومية في السياق الفلسطيني أن تقوم بتوظيفه، يجب أن يقوم على التنمية الثورية وتحقيق الصمود في مجتمعا، الذي يكابد العيش في السياق الاستعماري الإسرائيلي. وبهذا لا تلتقي أهداف الممول مع السياق الفلسطيني؛ مما يهتج محدودية الدور لهذه المنظمات بإحداث أي تغيير تنموي إلا ضمن السياق التمويلي.

### علم النفس التقليدي داخل السياق الاستعماري

بعدها تم التطرق إلى الخطاب التمويلي الذي تبناه المنظمات غير الحكومية في الجزء السابق، سيقوم هذا الجزء بالوقوف على نقد الخدمات المقدمة من قبل هذه المنظمات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي، والتي تتبنى النموذج الغربي القائم على تشكيل ذوات فردية في سياقها الاجتماعي الاقتصادي، بعد أن تم التطرق لنقد

المنظمات من ناحية علاقتها بالآخر وخطابها التمويلي وصولاً إلى طبيعة الخدمة النفسية نفسه<sup>6</sup> ومصدرها، لكي توضح لنا حسب (فانون، 1973) أن المعرفة بشكل عام هي أداة للسيطرة على الشعوب، وبشكل خاص هنا المعرفة سلطة<sup>6</sup>، كما لدى إدوارد سعيد، وعلم النفس بشكل خاص بأسلوبه التقليدي هو أيضاً أداة للسيطرة في السياق الاستعماري، حيث يعمل على ترسيخ التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية التي يتم فرضها على مجتمعات العالم الثالث، لكي تزيد الشعوب غرقاً واضطهاداً، عبر منظورها الفكري المتمثل في الطمس الإجمالي لمواهب الإنسان، وقتل روح الإبداع من خلال سياسة التجهيل والتبعية، وإتباع مناهج معرفة غربية فريدي (Freire, 1993)، وهذ الأدوات القصد منها السيطرة والتحكم، لصب الإنسان في قوالب مرسومة تمكنها من جعله طوع إرادتها يتقبل كل شيء ولا يقاوم للتغلب على عوامل قهره واضطهاده.

### تعريف علم النفس التقليدي وميادينه

يتناول هذا الجزء علم النفس من حيث التعريف والمجالات أو الميادين التي يعني بها قبل التطرق إلى التطبيقات واستخدامات علم النفس. علم النفس تعني باللغة الإنجليزية (Psychology)، مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة Psychos وتعني العقل أو الروح، والكلمة Logos وتعني دراسة، وبناء على هذين الفرعين فإن علم النفس يتكون من مفهومين هما العلم والنفس.

لقد تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم علم النفس، وذلك لتعدد مدارسه ووجهات النظر المختلفة التي حاولت أن تواكب التطورات التي طرأت عليه إلى أن أصبح علماً مستقلاً. فالنفس، كما يتم تداولها في علم النفس، تتضمن السلوك والعمليات العقلية، والسلوك هنا يعتبر كل ما يصدر عن الفرد من قول أو فعل يستطيع الدارس لعلم النفس ملاحظته بشكل مباشر، في حين أن العمليات العقلية تشير إلى الخبرات الذاتية الداخلية، التي

<sup>6</sup> للمزيد انظر سعيد، أدوارد (1978) الاشراف. ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت-لبنان



لا يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة، إذ تنقسم العمليات العقلية بهذا الصدد إلى عمليات معرفية وعمليات إنفعالية والتي تشتمل على الإدراكات، والأفكار، والمعتقدات، والإحساسات...إلخ.

بهذا فإن دراسة السلوك الظاهر تعتبر عملية سهلة وممكنة ، ولكن دراسة ووصف العمليات العقلية هي عملية تتم بطريقة إستنتاجية، وهذه الإستنتاجات قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة ويختلف من فرد إلى آخر (قطامي وعدس، 2002). إذ أن الظواهر التي يسعى علم النفس لدراستها مختلفة ومتعددة ، وأهمها الظواهر السلوكية التي لفتت إنتباه علماء النفس في البداية، ومن أبرزها ظاهرة الاضطراب النفسي ال تي يلاحظ فيه انحراف واضح لسلوك المضطرب عن السواء، ومن الظواهر الأخرى التي يهتم بها أيضاً علم النفس : التعلم، والنمو والتطور، وظاهرة الفروق الفردية، حيث أن الأفراد يختلفون فيما بينهم في جوانب عدة، منها القدرات والاستعدادات وأساليب التفكير والتعلم . والهدف الأساسي الذي يسعى هذا العلم إلى لوصول إليه هو وصف الظاهرة النفسية وتفسيرها والتنبؤ بها والتحكم بها (قطامي وعدس، 2002).

وهناك من يرى ما وراء تعريف علم النفس الحديث ، بأنه علم السلوك والخبرة ، يهدف إلى التحكم والتنبؤ والضبط للسلوك البشري، ويعود لتاريخ طويل من تطور الفكر الانساني والعلم، إلى أن أصبح من الظواهر العلمية الحديثة، التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر، وقد أسهم في تطوره ونشأته تفسيرات فلسفية وعلوم أخرى، مثل: الطب النفسي والعلوم الطبيعية، بحيث أخذوا يتأثرون في مباحثهم النفسية بمكتشفات العلوم الطبيعية المبهرة التي سادت النزعة الطبيعية Naturalism على أعمالهم ، والتي ساعدت بشكل مباشر في إستقلال العلوم الطبيعية عن الفلسفة، وعندما بدأت الجهود الحديثة لفهم طبيعة الإنسان تأثرت ، وما زالت، بهذه النزعة وأخذت تدرس الإنسان كما لو كان ظاهرة طبيعية مثل الجاذبية والحركة والإشعاع، يحاولون فهمه وتفسيره والتحكم به (الوقفي، 2003)، وهذه الأهداف والمهام التي يسعى إلى تحقيقها، لا تختلف كثيراً عن المهام التي يتوخى كل علم تحقيقها.

علم النفس ، شأن باقي العلوم ، بشقيه الإنساني والطبيعي ، يهدف إلى إنتاج المعرفة وإكتشاف القوانين التي تحكم السلوك البشري وتعمل على تطوير النظريات، والمجال الثاني الذي يهتم به علم النفس هو المجال التطبيقي؛ الذي يسعى إلى تطبيق كل من القوانين والنظريات في مجالات محددة . ومن الأمثلة على هذه المجالات والميادين علم النفس الاجتماعي ؛ الذي يدرس الكيفية التي يتفاعل بها الأفراد مع بعضهم البعض سواء كانوا أفراداً أو جماعات، ويهتمون بقضايا مثل الطاعة و الخضوع والقيادة والإمتثال والتنافس، ومجال آخر يسمى علم النفس الصناعي والتنظيمي ؛ والذي يهدف إلى تطبيق الأساليب ونتائج الأبحاث النفسية لحل المشكلات التي تظهر في مجال الصناعة، ففي البدايات كان يتم إستخدام إختبارات الذكاء ، والاستعدادات لإختيار العمال ووضعهم في الأماكن المناسبة حسب قدراتهم، كما يعمل على تنمية مهارات التواصل الفعالة بين الرؤساء والمرؤوسين (قطامي و عدس، 2002).

### الاستخدامات السياسية لعلم النفس

عند هذه النقطة سوف يتم توضيح كيف يتم توجيه علم النفس سياسياً ، في إطار السيطرة على الأفراد وضبطهم في بيئات معينة، ينتج تطور هذا العلم تاريخياً بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، بحيث شكلت الحرب الباردة التي قامت من الإتحاد السوفييتي والمعسكر الإمبريالي ، بزعامة أمريكا منذ العقد الخامس حتى مطلع التاسع من القرن الماضي وصولاً لانحيار الإتحاد السوفييتي، مرحلة اتسمت بالمنافسة العلمية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي والتسابق الفضائي، بما فيها التجارب في حقل علم النفس مثل تجارب ميلجرام وزباردو . وتجربة زباردو عام 1971 التي تعرف "بتجربة السجن" ، هدفت لدراسة الإستجابات النفسية الانسانية للأسر ، إذ قام بما مجموعة من المتطوعين، جزء مثل وعاش دور الحراس وجزء قام بدور السجناء في بيئة تحاكي بيئة السجن تماماً<sup>7</sup>،

<sup>7</sup> قدم زباردو الجمل التالية للحراس خلال ملخص "ممكنكم أن تولدوا إحساساً بالحمول لدى السجناء ودرجة من الخوف، من الممكن أن توحوا بشء من التعسف يجعلهم يشعرون بأنكم وبأن النظام وبأننا جميعاً نسيطر في حياتهم، سوف لن تكون لهم خصوصيات ولا خلوات. سنسلبهم من شخصياتهم فديتهم بمختلف الطرق. بالنتيجة سيفقد كل هذا الى الشعور بفقدان السيطرة من طرفهم بهذا الشكل تكون لنا السلطة المطلقة ولن تكون لهم أي سلطة.

وتجربة ميلجرام عام 1961 التي عنيت بدراسة مدى إنصياع الأفراد للسلطة، وهدفت لقياس مدى إستعداد المشاركين لإطاعة سلطة تأمر بتنفيذ ما يتناقض مع ضمائرهم<sup>8</sup>.

وأيضاً تجارب MK ULTRA ، وهي عبارة عن إتفاقيات بين الحكومة الكندية ووكالة المخابرات المركزية الامريكية (CIA)، كان هدفها التوصل إلى أهم الآليات التي تُخضع الإنسان بطرق نفسية وليست سوسولوجية . وبالتالي، خرجت من التجارب نتائج طبقت في التعذيب مثل الشبح والعزل الانفرادي<sup>9</sup>. ويثبت هذا أن علم النفس، بهذه الصبغة التقليدية، أستخدم من أجل السيطرة على الأفراد، الأمر الذي لا يزال يمارس في دول العالم الثالث بصورة يشكّل فيها نظاماً معرفياً لضبط الذات والسلوك.

يعتبر بعض السياسيين أن علم النفس التقليدي هو علم برجوازي واختباراته لا تحتمل بإنسانية الإنسان وكرامته بل وحياته، وأن مثل هذه التجارب تخرج أسوأ ما في النفس البشرية، وتثبت أن الانظمة المستبدة والفردية في الحكم قد تقتل جميع أفراد شعبها من أجل السلطة والحكم ؛ من خلال القمع البوليسي والاعتقالات والسجون اللاانسانية<sup>10</sup>. وينقل هذا التوجه ، بصورته الأصلية ، إلى مجتمعاتنا العربية، بحيث تشكل الثقافة الذكورية والبطريركية<sup>11</sup> بيئة غنية لها للممارسة والتطبيق.

<sup>8</sup> ([https://en.wikipedia.org/wiki/Milgram\\_experiment](https://en.wikipedia.org/wiki/Milgram_experiment))

<sup>9</sup> ([http://en.wikipedia.org/wiki/Project\\_MKUltra](http://en.wikipedia.org/wiki/Project_MKUltra))

<sup>10</sup> . زيباردو، فيليب (1974) تجربة السجن. مجلة نيويورك تايمز عدد 242. ص: .....

<sup>11</sup> للمزيد انظر بركات، حليم (2000) المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغيير الأحوال والعلاقات. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: .....

## أبرز المفاهيم المتداولة في علم النفس التقليدي والتعاطي مع الصدمة النفسية

لقد حاولت النظريات النفسية ، بما فيها نظرية التحليل النفسي<sup>12</sup> والنظرية السلوكية<sup>13</sup> والنظرية المعرفية<sup>14</sup> ، إعطاء تفسيرات للأعراض النفسية ، معزّية إياها لعوامل بيولوجية وعصبية وغيرها، ورأت أن هذه مع مميزات الشخص الوراثية وعملياته البيولوجية وخصائصه، التي يمكن أن تخلق معاً ظرفاً يهيئ لحدوث اضطراب نفسي، وظهور -أو عدم ظهور - الإضطراب يعتمد على عوامل ال توتر والإجهاد التي يواجهها الفرد في حياته . ولكن هذه التفسيرات والنظريات لا تستطيع وحدها تفسير كل أشكال الاضطرابات النفسية ؛ لأن هناك عوامل ثقافية واجتماعية تؤثر في تحديد وتشكيل السلوك السوي وغير السوي ، والتي تعتبر الوسيط للسلوك بحيث يتضمن هذا الوسيط عوامل مثل القيم والتوقعات والمجالات التاريخية ومواقف مادية.

وفقاً لذلك، فإن العلاج النفسي هو الأسلوب الذي يهدف إلى مساعدة المرضى على تعديل وتغيير المنغصات التي تعيقهم من التقدم في حياتهم اليومية بشكل طبيعي ، عن طريق الخدمات النفسية أو العلاج النفسي **Psychotherapy**. ومن أساليب العلاج النفسي : العلاج السلوكي، والعلاج المعرفي وغيره من أساليب العلاج (مليكة، 2010). ولكن الخدمات المقدمة من قبل المؤسسات غير الحكومية ، التي تعمل في المجال النفسي تعمل على استدامة التبعية والخضوع للحالة الاستعمارية، وذلك من خلال إحلال العلاج النفسي بدل اعطاء الاشياء مسمياتها، (كالعنف الاستعماري)، ولا تهدف إلى حل وتغيير الظروف التي أدت للأمراض النفسية في الأساس، ولا تعمل على مواجهتها، بل تقوم بدور ترقيعي تحسيني مؤقت ( Nelson &Preilletensky, 2005).

<sup>12</sup> تنتم بالجانب اللاشعوري من النفس التي تعد المحرك الأول للسلوك وتعتبر المسلمة الأولى فيها حول النظرة الطبيعية الانسانية بحيث ان السلوك الانساني محكوم بعرائز فطرية لا شعورية ( الوقفي، 2003).

<sup>13</sup> تعنى بدراسة السلوك باعتباره تلك الاستجابات على المنبهات فاستنتت المدرسة كل السلوكيات التي لا تخضع للملاحظة والقياس المباشرين مثل الدوافع والمشاعر والأفكار وغيرها.

<sup>14</sup> تعد النظرية نموذجاً بيولوجياً ينظر الى الانسان على انه بناء ذاتي التنظيم وهو مصدر كل الا نشطة التي يقوم بها، فالانسان بهذا المنظور لديه القدرة الذاتية على إعادة تنظيم نفسه وهو ليس مجموعة من المدخلات والمخرجات كما تراه المدرسة السلوكية(الزغول، 2003).

بالتالي؛ فإن عمل المنظمات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي، بهذه الصورة، هو هدر للطاقات البشرية، ومضيعة للوقت؛ لأن عملها بهذه الشاكلة لا يعيد التوازن النفسي للأفراد، بل يعاملهم كعناصر خارج محيطهم الاستعماري (الإستيطان الإسرائيلي) في ظل الاستعمار الغربي للمنطقة العربية. وهذا ما يعزز الجمول والانحزام، ولا يسعى إلى تعزيز روح المقاومة والصمود، بل يرسخ حالة الضعف ويبقي الناس في خانة الضحايا، لأن فلسفة عمل هذه المؤسسات التي ينفذها (يتبناها) الأخصائيون النفسيون العاملون بما لا تسعى إلى مساعدة الأفراد على تفسير مشكلاتهم، باعتبارها مخرجات لنظام سياسي اجتماعي تابع يشكل حالة الضحية في سياق العنف الاستعماري، وإنما تعمل هذه الفلسفة على توجيه وترسيخ الأفراد إلى تفسير حالة الضحية على أنها مخرج، لأنهم ضحايا ذواتهم وسلوكهم الفردي بعيداً عن السياق الذي يعيشون فيه.

وفي هذا السياق، فإن هذه المؤسسات غير الحكومية تعتمد العلاج النفسي الذي يقوم على أدوات التقييم للاضطرابات النفسية؛ باستخدام الإختبارات النفسية أو القياس النفسي **Psychometric**، وهو مقياس موضوعي لفحص سلوك الفرد في موقف معين، ويساعد الأخصائي النفسي في التشخيص والعلاج والإرشاد. فهي مصدر يساعد في الحصول على معلومات هامة عن شخصية الفرد (الخطيب وأحمد الخطيب، 2011). والقياس النفسي هو عملية القياس التي تقوم بما لأي ظاهرة نفسية، مثل: الإكتئاب، وقياس الذكاء وغيرها (غام، 2007). وهذه الإختبارات المعمول بها تنصب ضمن رؤية الآخر (الغربي) للفرد (الشرقي)، وما هو الشكل الذي يجب أن يكون عليه، بناء على الهندسة المعرفية للنظام الغربي الاستعماري للبلاد في الشرق. وبهذا فإن إشكالية أدوات القياس أنها موحدة وجامدة، بمعنى أنها إشكالية في سياقها الغربي، بالإضافة إلى أنها قد تم بناؤها في سياق خاص ويتم تبنيها في سياق آخر (مختلف).

## الصدمة

تهدف الاختبارات النفسية إلى التقييم من أجل التدخل والعلاج مع الأفراد أو المجموعات، وفي الدراسات التالية مثال على نوعية الأبحاث التي تجرى في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث كثرت الأبحاث النفسية التي تدرس موضوع أعراض ما بعد الصدمة النفسية لدى الأفراد الذين يتعرضون لمظالم عنف سياسية، وهذه العملية لم تبدأ سوى في الفترات الأخيرة بصورة تراكمية وغطية معينة، حيث تدرس وتفحص تأثيرات نفسية واجتماعية للأطفال الفلسطينيين وطرق تكيفهم مع الاحداث، وجاء ذلك نتيجة تصاعد العنف العسكري من قبل قوات الاحتلال الاسرائيلي بصورة سريعة، و التي طالت كل من المدن والقرى والمخيمات ولم يسلم منها الإنسان ولا الجماد، عقب ما يسمى باوسلو (نحلة، 2004). الأمر الذي أعطى مساحة للتدخلات الخارجية أن ترسم سياساتها وتنشئ علاقات جديدة من خلال تمويل المنظمات غير الحكومية وإنشاء علاقات فيما بينها وبين السلطة الوطنية الفلسطينية.

لقد أجريت الدراسات مع مجموعة من الباحثين الفلسطينيين والأجانب، ولم تختلف خصائصها التي ظهرت في فلسطين عما كانت عليه في أماكن أخرى في العالم، وذلك لأنها تستند لنفس الإطار النظري العام وتنطلق من نفس فرضياته، وهذا ما يؤكد (كناعنة وبتلاند، 2003):

"أن دراسات تأثير العنف على الصحة النفسية، عالمياً، وفي المجتمع الفلسطيني بشكل خاص، هي في غالبيتها العظمى دراسات إحصائية تجرى على عينات أو مجموعات محدودة من السكان الذين تعرضوا أو يتعرضون للعنف . هذه الدراسات تشكل، بأسلوبها ومنهجها، العمود الفقري والمعيار الرئيسي لتعامل الأخصائيين النفسيين مع ضحايا العنف، حتى على المستوى العيادي والعلاج الفردي".

وفي دراسة (فيبيان، 2008)<sup>15</sup> بعنوان ( Post Traumatic stress and Psychiatric disorders in Palestinian adolescents following intifada related injuries.

ارتكز البحث على نظريات علم النفس التقليدي ذي الاتجاه الطبي في تصنيف الأمراض والمشاكل النفسية ، الذي شأنه الاهتمام بالفرد كفرد، ولا يتعامل مع مشاكل الأفراد كجزء من جماعة في المجتمع . وهذا التطبيق للتوجه النظري يقوم على الفاعل وهو الباحث وعلى المبحوث كمفعول به، بحيث يكون دوره سلبياً غير فعال، وغير مشارك في عملية إحداث تغيير في بيئته، بل يشكل ميداناً خصلاً للباحثين، ليختبروا نظرياتهم التي تعتمد على دراسة الفرد كوحدة وليس المجتمع . واعتمدت منهجية دراسة فيبان، على استخدام المنهج الكمي لدراسة الموضوع، وانطلقت بعد صياغة فرضية تسع لفحص عدة متغيرات للصدمة، وهي متغيرات قبل الصدمة مثل (العمر، المنطقة الجغرافية)، ومتغيرات خاصة بالصدمة (هل الصدمة حاد أم متعمد وهادف)، ومتغيرات أتمتها ما بعد الصدمة (الدعم الاجتماعي، والابتن بالقدر).

بما أن دراسة فيبيان هي وفق هذه النظريات الغربية ، ومنطلقة من فلسفتها ومنهجها ، فهذه الفرضية تختزل التجربة الإنسانية بتشابها في دراسة العلوم الطبيعية ، وكأن الإنسان مجموعة من العناصر المادية والمتغيرات، والأدوات المستخدمة لا تقام على أساس حوار مع الغير، التي تعتبر من أهم العوامل الأساسية في خلق وعي ذاتي، كما أشار باولو فرييري المنظر لجذور علم النفس التحرري، لأن المعرفة تتشكل من خلال إشراك الناس وتشكيل النظريات في سياق الشراكة الحقيقية في الميدان ، وليس لفحصها لكي تتطابق مع النظريات الموضوعية في سياق اقتصادي اجتماعي ثقافي آخر.

إن ما يحصل في فلسطين من هجوم باحثين لدراسة الاطفال ونفسياتهم ليس بغريب؛ لأنه تم العمل بهذا النسق في أمريكا اللاتينية، ولكن استطاعوا هناك التحرر منه ونقده وإنتاج علم تحرري، ومن إنجازاتهم : علم النفس المجتمعي، الذي يدرس الإنسان في سياقه . ولا بد من الإشارة لنقطة مهمة ، وهي أن كل الأبحاث التي تخص

<sup>15</sup> Khamis, V. (2008). Post- traumatic and psychiatric disorders in Palestinian adolescents following intifada-related injuries. Elsevier 67,1199-1207.

اضطراب ما بعد الصدمة في أمريكا فحصدت على جنود متضررين نفسياً وجسدياً من حرب فيتنام. وهي تفحص، بذات الاختبار والمفهوم النظري، الحدث الصادم على أطفال يعتبرون من عامة الشعب، في لحظة تكوين هوية أو دور لوجودهم في بيئة حرب. هذه الدراسات، وغيرها في الحقل، شكلت محوراً أساسياً في مجال التفريق والتحويل بين ظاهرة العنف الاستعماري في السياق الفلسطيني، وأثرها وتمثيلاًها وبين خطاب الصدمة وتأثيراته.

بناء على ما تطرقت إليه الدراسة السابقة فإن الموجة الغربية العامة للإهتمام بالصحة النفسية للأفراد في مجتمعات يتحللها الصراع هي أمر زائف<sup>16</sup>، وذلك لأنها تدعي أنها تستطيع أن تقدر الاحتياجات الشخصية والنفسية للفرد، وأنها أقدر من الفرد ذاته في تقدير تلك الاحتياجات، وهذا ما ينتج عنه صناعة ثقافة (حاجة زائفة) للعلاج والدعم النفسي. وبممارسة نهج علم النفس التقليدي، يصبح الاهتمام بالصحة النفسية حاجة فردية وليس مطلباً جماعياً، حيث يأخذ فيه كل فرد أمر صحته بمنحى شخصي، ولا يربطها بالسياق العام. بهذا؛ يتم توجيه الأفراد بأسلوب نفسي غير مباشر للتركيز على أنفسهم، بحيث يتعدون عن التفكير بالقضايا المجتمعية المحيطة به م، لتحويل هموم الأفراد ومشاكلهم لتصبح قضية أولوية، وبهذا يتم إعادة ترتيب أوليات الأفراد ضمن هذا الخطاب النفسي الاستعماري (Nelson & Preilletsky, 2005)، من خلال التذرية والتجزئة للخدمة النفسية والفرد.

هذا ما تعمل به المنظمات غير الحكومية، كونها لا تعنى بإحداث تغيير على الصحة العامة للمجتمع في دول العالم الثالث، بل تعنى بصناعة ثقافة النظام الرأسمالي والحفاظ على السياسات الخارجية القائمة، التي تُستبدل من خلالها ثقافة الصمود والمقاومة في الحالة الفلسطينية بثقافة التطبيع مع المحتل وعقلية المستعمر، عبر البرامج الممولة غريباً والتي تهدف في أجندتها وتمويلها السخي بالأساس إلى حصر فئة المثقفين (الإنتلجنسريا)، بطريقة تبعدهم وتشتتهم عن الإنخراط والمشاركة في حركة الجماهير في صراعها لتحقيق العدالة وحق تقرير المصير (إبراهيم، 2009)، بحيث تعمل مع الفئات المتضررة، بهذا التوجه العيادي الفردي بدون وضعهم في السياق الاجتماعي

<sup>16</sup> للمزيد انظر إيان، كريب (1999) النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس. عالم المعرفة عدد 244 - الكويت. الفصل الحادي عشر مدرسة فرانكفورت: البحث عن مخرج للأزمة ترجمة محمد حسين غلوم



السياسي، فإن العلاج سوف يغيب بهذه الطريقة ويفرغ محتواه من هذه الأهمية . وسوف ينظر لكل فرد أو جماعة ، عانوا أو يعانون ، من صدمة في ماضيهم بشكل فردي بمجرد إختفاء الصدمة أو العنف يُحتفي معه مسبب الصدمة، أي التاريخ ويشوه (تاريخهم)، بحيث لا يصبح هناك فرق بين الضحية الناجية من جريمة إغتصاب وضحية ناجية من جريمة تطهير عرقي (Fassin & Rechtman, 2007).

كما تتبنى هذه المؤسسات خطابي الصدمة النفسية وحقوق الانسان التي تُخرج صورة جديدة للفلسطيني وللأسير بوجه خاص، على أنه ضحية غير مسيسة، وفردية بحاجة لعلاج أ طباء وأخصائيين نفسيين ، وبحاجة إلى إنقاذ من قبل نشطاء في حقوق الانسان، والمنظومتان الفكريتان للصدمة وحقوق الانسان تشاكران التسمية " الضحية"، التي تحتاج لتدخل من المهنيين في المجال النفسي، وبذلك يجب عليها إكتساب بنية نفسية عالمية متبينة النمط الغربي لعلم النفس الفردي في التعامل مع المشاكل من خلال التوجهات العلاجية (لينا معياري، 2015).

هذا ما يجسد في جوهره مفهوم اللانسانية<sup>17</sup> (Dehumanization)، الذي يجرد الإنسان من حريته في الاختيار وحقه في العيش كما يريد هو، لا كما يريد الأخر . ويتم هذا من خلال ممارسة علم النفس التقليدي الذي تعمل به ال (NGOs) في المجتمعات النامية مع الفئات المستضعفة، فهو يخدم بصورة غير مباشرة هذه الأهداف للحفاظ على التشكيل الحديث سعياً للاستقرار . وهذا من أهم مبادئ المدرسة السلوكية الكلاسيكية والحديثة، التي تسعى بالاشراط (المثير الشرطي والاس تجابة الشرطية ) وغيرها من الأساليب التطبيقية، إلى أن تخلق حيناً ضيقاً تقنع به الفرد مدى مساحته على التحرك والتحكم بظروف بيئته الخارجية المحدودة. بهذا تقوم مجموعة من الطبقة المهيمنة بتشكيل عالم وفقاً لما تراها من أجل حفظ هذا النظام وعدم مقاومته . وعليه فان الرضوخ لهذا الخطاب يجعل نظرة المنتفعين من للخدمات النفسية للحياة الاجتماعية نظرة سلبية، لأنها بذلك تظهر واقعاً خارجياً يُكفّر الناس بإتباعه، ويُظهر علم النفس التقليدي بذلك توجهه الحقيقي ، ألا وهو توجه سياسي يدعم الاقتصاد السياسي بمدارسه المختلفة كالوظيفية وال غرضي (Parker, 2007)، ويوجه سياسي

<sup>17</sup> فريزي، باولو(2002). نظريات في تربية المعذبين في الارض:ت: مازن الحسيني. دار التنوير للترجمة والتوزيع والمركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية

بنظرياته التي تضبط الأفراد في بيئات معينة يستطيعون التنبؤ بها، وتوجيهها بحيث تصبح قيمة البيئة في تشكيل السلوك وتشكيل الذوات من خلال فكر وممارسة علم النفس التقليدي فحسب.

فيما يتعلق بعلم النفس الذي يُدرّس في الجامعات الفلسطينية في برامج البكالوريوس، والذي يمارس هـ الاخصائيين النفسيين في المنظمات غير الحكومية التي تقدم الخدمات النفسية، هو نوع وشكل آخر من العلوم التي دخلت مع الاستعمار الغربي الذي تولد نتيجة علاقة القوة بين المستعمر والمتسعر، والذي يعيد ويساهم في تشكيل ذوات غير واعية عن قرب بواقعها، ولا يساعدها على فهم سوء التوزيع في المصادر والقوى، بحيث لا يدرك المرضى أو المتفاعلين والعاملين طبيعة العلاقة بين تشكيل المعرفة والقوة وبين العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الاضطهاد وعلاقته بوعي الأفراد لظروف معيشتهم، الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى سعي الأفراد والجماعات نحو الحراك والتغيير الاجتماعي، بل بأسلوبهم يحافظون على الوضع القائم ( Nelson & Preilletsky, 2005).

بهذا؛ فإن علم النفس المدرس والممارس في فلسطين يؤدي إلى تمثيل ذات فلسطينية خائفة ومستسلمة لتقبل آثار العنف السياسي الإسرائيلي على نفسها وحياتها، مما يزيد من فرص إصابتها بالأمراض النفسية نتيجة صعوبة التكيف مع الاحداث المؤلمة، بغياب عناصر تشكل الجهاز المناعي لتقبلهم لهذه الآثار (النضال والصمود)، وهي ذات غير واعية في هذا الإطار، ذلك لأن الذات والهوية ليست بعناصر تولد مع الإنسان. بل هي، كغيرها من الظواهر؛ تتأثر بظروف المجتمع السياسية والاجتماعية، وتؤثر على كيفية رؤية الأفراد لذواتهم، كما تتأثر بالقيادة العامة، وفي الحالة الفلسطينية فإن القيادة هي السلطة الوطنية الفلسطينية؛ حيث تكمن أهمية التأثير بالقيادة العامة في السياق الفلسطيني فإنها تنعكس أهميتها على الأفراد في رغبتهم لقيادة حياتهم الشخصية، إذ أن المجتمع يهيء ويخلق السياق، أو الدور الذي يسمح لهؤلاء الافراد بممارسة حياتهم فيه بشكل تنموي وفعال. وهذه العلاقة بين الفرد وانعكاسها على نفسه وذاته والمجتمع وفعاليتها تشكل الفضاء الذي يظهر عوامل القوة والضعف التي تتاح للأفراد بإدراكها.

لكن علم النفس التقليدي / الفردي الممارس يجرّد الأفراد من هذه الفرصة، بحيث يصبح من الصعب عليهم إظهار نقاط قوتهم في مجتمع رازح تحت الإحتلال في ظل القيادة الرخوة، ولا يحقق رغبتهم بالتححرر منه، بل يتم توجيه هذه النقاط بشكل يعزز الذات الفردانية بعيداً عن الذات الجماعية.

**يرى فرانز فانون أن الذات في سياق الكولونيالية تعاني من تحاذب في الهوية وتبدد في الشخصية يصعب مقارنتها بأدوات طبقت في أور وبا أو العالم الرأسمالي . لذا؛ فإنه يحذر، في العديد من المرات ، من خطورة الإسقاطات التي يقوم بها الكثير من الأطباء النفسيين في البلدان المستعمرة ، دون التماس الفوارق الوجودية والاقتصادية والنفسانية. ولكن في الحالة الفلسطينية، وعمل المنظمات الأهلية في العلاج النفسي، تكون قد وقعت المؤسسات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي في الفخ الذي حذر منه فانون ؛ لأنها تبني الخطاب النفسي التقليدي في منهجها العلاجي والتشخيصي ، بحيث تعتمد على الاستعارة النسخية غير المشروطة من الطب، ويصبح علم النفس هو علم الأمراض النفسية، ولهذا يعمل الأخصائيون والباحثون مع الحالات النفسية المتأثرة من العنف، على أنها أمراض ينبغي تشخيصها ومعالجتها، بحيث يتم التعامل مع الشخص المعني على أنه مريض ؛ وبالتالي يتم التعامل مع سلوكه ومشاعره وأفكاره على أنها مرضية (كناعنة وتلانند، 2003).**

## توظيف المؤسسات غير الحكومية لعلم النفس التقليدي لاستمرارية الحالة الاستعمارية

تمتد الحالة الاستعمارية لتطال الثقافة في المجتمعات، وعليه فإن الاستعمار الثقافي كما يطرحه رفيدي (2010) في دراسته لا يشترط فيه الاستعمار المادي أو الاخضاع العسكري فقط، ولا هيمنة تتحكم بأليات التطور الاقتصادي، بل هيمنة ثقافية تبدى في استدخال الشعوب لثقافة الهيمنة كجزء من ثقافتها، فيصبح النموذج الغربي الرأسمالي هو النموذج الذي يحتذى به في رسم السياسات الاقتصادية، والفهم الليبرالي للحقوق، بمعنى المساواة أمام القانون لكل المواطنين . وبهذا تتمثل بتوظيف خطاب استعماري ليبرالي جديد لا يحتاج لوجود المستعمر، من أجل أن يعيد رسم قيم مجتمعية بديلة، ويشكل مفاهيم تساعد في التغلغل الامبريالي . ومن خصائص هذا الخطاب الثقافي المعولم الذي يعمل على إدخال الاستعمار بأسلوب بطيء وهادئ وخبيث بصورة غير مباشرة، (وحسب رفيدي وشرحاً لعلاقة الاستعمار بالتنمية المروّج لها في خطاب الصحة النفسية الذي يركز على مفهوم الزبائنية (المفهوم الاقتصادي للضحية ) في قضية علم النفس التقليدي )، "إن المفهوم الليبرالي للتنمية، حسب هذا الخطاب، إما أنه يتوجه للفرد، بغرض تمكين الفرد ورفع قدراته، وإما يستعص عن مفهوم التنمية بمفهوم النمو الاقتصادي. وبهذا فإن التنمية، كعملية مرتبطة بالتغير الاجتماعي، تستهدف فك علاقات التبعية وتحقيق الاستقلال الاقتصادي، وإنجاز التحرر الاقتصادي والاجتماعي . وكل ذلك يتناقض مع التوجه الليبرالي".

إن علم النفس التقليدي الفردي يخدم تلك الرؤية الليبرالية، التي تحدف إلى فردنة المجتمع، وبناء على ذلك فإن عملية التمكين، وبناء القدرات التي تنتهجها المؤسسات غير الحكومية في رؤيتها وعملها، ولكن ليس بتنمية مرتكزة على الناس كما أسماها نخلة، بل بتنمية لقدرات ومهارات أفراد وكفاءات، بعيداً عن التنمية المرتبطة بالكل الاجتماعي والتحرر النفسي . ولأن التنمية عملية أساسية للحراك الاجتماعي والثقافي في المجتمعات كي يتم تمكينها للاعتماد على مواردها الذاتية، فإنها بحاجة للموارد المالية.

في حالتنا الفلسطينية الموارد المادية تتدفق من دول الغرب ومن أمريكا ، وكلاهما موسومان ببسط الن فوذ الاستعماري على الشرق الأوسط. وبما أن فلسطين تشكل مطمعاً لهذه الدول ، فإن الاموال التي تصل للمؤسسات المجتمع المدني من خلالها تعيدها من جديد إلى قبضة المخططات الاستعمارية ؛ لأن التمويل يكون ضمن مشاريع تتوافق مع أهداف ورؤى ومخططات هذه الدول الممولة لـ "كيف تريد أن ترى المجتمع الفلسطيني على شاكلته".

### المنظمات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي في فلسطين

المنظمات غير الحكومية العاملة في مجال تقديم الخدمة النفسية لأبناء الشعب الفلسطيني، هي نفسها المنظمات التي تحدثنا عنها في السابق، ولكنها أضافت قطاعاً أو دائرة جديدة داخلها هي الخدمات النفسية، وجاء ذلك نتيجة تحولات السياسية الاقتصادية التي شهدتها المجتمع الفلسطيني ، عقب اتفاقيات اوسلو ، والذي انعكس على عمل المؤسسات الأهلية للفترة ما بين 1993-2000، حيث شهد المجتمع الفلسطيني انتعاشاً كبيراً في عمل هذه المنظمات ودورها، إذ فُتحت **آفاقاً** جديدة لعملها على المستويين الثقافي والخدمي، ومنها خدمات الصحة النفسية، حيث أتت هذه الخدمات على قاعدة الاستقرار السياسي الذي صممه مجتمع المناحين ؛ لكي تعالج آثار العنف العسكري الاسرائيلي.

لقد انصب عمل هذه المنظمات في تقديم خدمات في مجال التدريب والتأهيل، وعقد دورات تأهيل مهني للشباب، وتقديم خدمات صحية، علاجية ووقائية، في جميع أنحاء الضفة وقطاع غزة، وعقد برامج الصحة النفسية للأطفال والنساء وكبار السن، وإقامة ورش وندوات صحية واسعة وعديدة (أبو علبه، د. ت). وجاءت كل هذه الخدمات بناءً على الاعتقاد بأن العنف السياسي لا ينتج سوى السلبيات المتعرضين له، وبالتالي فإنهم بحاجة إلى تدخل من أجل تخفيف آثار هذا العنف، وخطط وبرامج التدخل من تخصص علم النفس بالأساس، الذي يعني بدراسة تجارب الإنسان في محيطه

بمذا؛ فإن وجود المؤسسات غير الحكومية في مجتمعنا الفلسطيني يلعب دوراً رئيسياً في ممارسة علم النفس كنظام معرفي لضبط الذات والسلوك، من خلال التطويع الذهني للفرد للاستفادة من البرامج المفروضة عليه كخدمات، لكنها في الحقيقة تسلب من الفرد إرادته وحرية اختياره، وتفرض عليه منهجية ذهنية لإدارة حياته من قبل الآخر وليس من ذاته (الناحي من التعذيب أو المتضرر من العنف الاستعماري). مع العلم أن هذه البرامج الخدمية، التي تدعي التنمية البشرية، هي موضوعة ضمن تنبؤات وتوقعات ومخططات الممول، الذي يمثل الحلقة الاستعمارية التي تم الإشارة إليها سابقاً، ويقع هذا ضمن منظومة الهيمنة الاستعمارية للكل العالمي. وبناء على ما تم توضيحه، فإن علم النفس الفردي (التقليدي)، في جذوره وتطوره ومظاهره، يسعى وبشدة إلى المخلطة على نمط الحياة الرأسمالية في الغرب، الذي يعكس الحياة الاجتماعية ككل، باعتباره النموذج الأمثل الذي يجب أن تسير عليه المجتمعات الأخرى، باختلاف ثقافتها وسياقاتها التاريخية. حيث تحاول القوة الرأسمالية، عبر دعم وتمويل المؤسسات الانسانية، القيام بدمج الإنسان بشتى الطرق وخرطه بأنشطتها، لتحوله من إنسان اجتماعي يؤثر ويتأثر، يتفاعل ويتغير، ويعمل على ضبط الظروف البيئية الطبيعية المحيطة فيه ويسخرها لمصلحته، إلى فرد بيولوجي؛ يستهلك ويستقبل المنظومة الذهنية المفروضة عليه من خلال هندسة التطويع النفسي والاجتماعي الممارس من قبل المنظمات غير الحكومية، التي تُشكل مندوباً عن الكيان الاستعماري.

### نماذج بديلة تحريرية في السياق الاستعماري

ظهر علم النفس المجتمعي كعلم بديل عن علم النفس الغربي الممارس في بلدان العالم الثالث الواقعة تحت الاستعمار بوجهيه؛ المباشر وغير المباشر، وذلك لحاجة هذه المجتمعات إلى الحرية والتطور وتحقيق العدالة الاجتماعية. ولقد بدأ هذا النموذج البديل (علم النفس المجتمعي)، في البداية في أمريكا اللاتينية وجنوب افريقيا وغيرها من البلدان، بناء على عوامل وظروف تلك البلاد التي ساعدت على ظهوره واستقلاله كعلم بحد ذاته. ومن أهم العوامل التي اعتمد عليها علم النفس المجتمعي انتقاده لعلم النفس التقليدي، الذي يتعامل مع الفرد بعد

حدوث الحدث الصادم المؤلم ، واعتماده على تجميع عوارض مرضية للتشخيص والعلاج، فجاء علم النفس المجتمعي ليتعامل مع الأفراد كجماعات في المجتمع ؛ من أجل تمكينهم ليصبحوا فاعلين ومشاركين في عملية تغيير ظروفهم الاجتماعية، التي هي المسبب بالأساس لمعاناتهم النفسية، كما اهتم هذا العلم بالتطبيق على أرض الواقع ، وليس فقط كتظهير بديل ونقدي .

وتعتبر بلدان أمريكا اللاتينية من أوائل البلدان التي ظهر فيها علم النفس المجتمعي، فهي بلاد متعددة الثقافات، واللغات، والأثنيات، ومن البلدان التابعة لقارة أمريكا اللاتينية : كوبا، البرازيل، الأرجنتين، كوستاريكا، تشيلي، البيرو، فنزويلا... الخ. وما يميز هذه الدول أنها تشترك في التجربة الاستعمارية التي استنزفت مواردها الاقتصادية، وجعلتها تابعة للدول المركزية. لهذا كانت الحاجة إلى تطور علم نفس مجتمعي يهدف إلى تغيير أوضاع المجتمع ، ويساعد في عملية الحراك الاجتماعي . حيث أن الاخصائيين النفسيين يقومون بالتطبيق من خلال ممارستهم للمهنة التي بطبيعتها تنشأ عنها علاقات جيدة مع الناس، وقد اثرت أعمال وفلسفات كل من : باولو فريري وكيرت لوين وكارل ماركس في عملية الانطلاق من مستوى النظريات الى الممارسة ، وللتخلص من النظرية الاعتمادية التي تنص على أن الاقتصاد العالمي تحت التطور يعتمد على انبعاث روابط مع اقتصاد أجنبي وسياسات تولد على مركز القوة (Montero & Diaz, 2007).

وقد كان لشيلى تجربة مميزة في هذا المجال ، حيث اهتمت في تطبيق علم النفس المجتمعي في المؤسسات غير الحكومية مع الفئات الواقعة تحت الضغوط السياسي، من أجل زيادة وعيهم بحقوقهم القانونية والمدنية، بالإضافة إلى الوعي بالصحة النفسية المجتمعية وللدور الاجتماعي الذي يعزز مشاركة الناس، بحيث تم تعريف الدور الاجتماعي على أنه الالتزام بالتغيير الاجتماعي ؛ لأنه بدون إشراك الناس لا تتم عملية الحراك والتغيير المجتمعي، ليصبح بذلك علم النفس المجتمعي حلقة الوصل بين التطبيق والنظرية والالتزام بالتغيير. وكان هذا العمل تحت رقابة الحكومة على المؤسسات غير الحكومية التي كانت تطبق علم النفس المجتمعي، كجزء من أجندتها العملية من أجل الحرص على القيام بدورها. وفي النهاية كان لأمريكا اللاتينية مساهمة عملية وعلمية قوية في تاريخ علم نفس بديل،

سواء على الصعيد الأكاديمي أو التطبيقي، و الأمر الذي ساعد في ذلك هو مواجهة العديد من الأخصائيين النفسيين الكثير من التحديات، من خلال القيام بعملهم بالشكل المطلوب ، وذلك نتيجة السياق الاجتماعي والاقتصادي العام، الذي يتمثل فيه التخلف والتبعية وينتشر فيه الظلم والاضطهاد بدرجات متفاوتة، حيث عانت من هذه الظروف أغلبية الشعوب (Montero & Diaz, 2007).

### تجربة جنوب افريقيا لممارسة علم نفس تحرري مجتمعي

يعتبر جنوب افريقيا بيئة خصبة للمعاناة والاضطهاد والقهر بأشكاله كافة؛ بسبب معاناته من الاستعمار الاوربي، الذي شمل جميع جوانب الحياة ؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية لعقود من الزمن، وأخضع شعبها للحكم الاوربي، وقام على استغلال واستنزاف مواردها الطبيعية ، لتقوية المركزية الاوربية في العالم ، حيث عمل على إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجمل البلد المستعمر؛ لجعله أكثر إرتباطاً بالدولة المستعمرة مادياً وابدولوجياً، لترسيخ العقلية الاستعمارية لدى الشعوب، فإذا خرج المستعمر وعاد لوطنه الأصل يظل الشعب متخبطاً ؛ لا يستطيع الاعتماد على نفسه. ويساعدنا هذا السياق التاريخي العام على فهم الطبيعة التي تشكل فيها علم النفس المجتمعي من حيث جذوره وكيفية تطوره ومظاهره المختلفة.

فقبل عام 1994 كانت الحكومة المسيطرة في جنوب افريقيا هي حكومة الرجل الأبيض الليبرالي العنصري، حيث لم يكن هناك تمثيل للسود أو الملونين داخل هذه الحكومة، ولم تكن هناك مفاوضات بين العرقين ، فاهيمنة والسيطرة كانت مطلقة للرجل الأبيض ، بينما كان السود مغيبين عن الواقع السياسي والاجتماعي والمشاركة فيه ، على الرغم من كونهم يشكلون الأغلبية البشرية. ففي تلك الفترة كان علم النفس السريري أو العلاجي هو المسيطر على الساحة، حيث كان التركيز على ممارسة علم نفس فردي ، وليس علم نفس مجتمعي تحرري، وكانت السيطرة عليه وعلى مفاهيمه من قبل التوجهات المعرفية الغربية، إضافة إلى أنه كان يدرس السوق وحاجاته ، بدلاً من



الإنسان وحياته وحاجاته، لذا كان يستخدم في جنوب افريقيا ، أو في دول العالم الغربي، لزيادة الانتاج والتسويق، والابتعاد عن الدور الحقيقي اتجاه المضطهدين (Naidoo, ND).

ففي تلك الفترة بدأت التساؤلات نظرح وتدور حول أهمية الخروج من هذا النمط التقليدي الاستعماري لعلم النفس، وطرح خطاب علمي بديل ، بحيث يختلف عن الخطاب الغربي في التوجهات والتطبيق والموضوعات التي يعالجها، والقيم التي يستند إليها، وربط الصحة النفسية مع السياق الاجتماعي والسياسي للدولة ؛ بسبب تعامل علم النفس مع الحالة الفردية بين البيض، وليس الحالة الجماعية للمجتمع المظلوم والمقهور ومن السود وغيرهم، وتركيزه على حل المشاكل النفسية التي يتعرض لها البيض نتيجة احتكاكه مع السود. من هنا؛ برزت الحاجة لوجود علم نفس بديل يحمل منطلقات بديلة، يكون بالأساس فيها إنتاج معرفي لدول العالم الثالث المستعمرة ، بحيث لا تطبق وتستورد المناهج الغربية بمناهجها وتوجهاتها النفسية ، ويسعى نحو تحريرها من عوامل الأضطهاد المختلفة ، ويصبح لديه أدوات مغايرة ومتعددة وبديلة أهمها ذات واعية، وهي أداة مهمة في تعلم ومعرفة كيفية العمل مع المجتمعات من أجل تغيير أوضاعها (Naidoo, N. D).

إن الخدمات النفسية، التي كانت موجودة في تلك الفترة ، تعكس التمايز الطبقي والعنقي والحضاري الرفي ، أما الأقلية البيضاء فقد كانت دائماً تقدّم لها خدمات راقية تراعي مساواتها مع الناس الغريبيين، وبلقبا كان هناك إهمال كبير للخدمات العقلية والنفسية للسود في جنوب افريقيا. عدا عن أن علم النفس التقليدي كان يأخذ أبعاداً علاجية عيادية، وليس أبعاداً وقائية وتحسينية لا تسعى للغير، مما يعني انتكاس الفرد أو المجموعات كل فترة نتيجة هذه السياسات . وأدت مجمل هذه الامور إلى النظر إلى أبعاد الأستعمار بشكل آخر؛ بأن الاستعمار الموجود كهيكلية اقتصادية سياسية اجتماعية، وعلماء النفس والاختصاصيون النفسيون يمثلون عبيد السلطة، أو بشكل أكثرت تحديدأ هم خدام الفصل العنصري في تلك الحالة، وخاصة في تركيز عملهم على البعد النفسي الفردي للأفراد . وقد بلغ حجم العاملين في مجال علم النفس ؛ من علماء وممارسين في جنوب افريقيا حوالي 8000 عالم، مسجلين رسمياً في الدائرة الرسمية، بالمقارنة مع أمريكا التي كان فيها ربع مليون، مقارنة بين علم نفس تقليدي وعلم

نفس تحرري، ومع ذلك تعطينا هذه الاسباب واللمحات فرصة لإقامة روابط وتعزيز شبكات التي تحمل الممارسة النفسية شكلاً آخر ، وتجعلها أكثر فعالية للمقاومة ، وتعد جنوب افريقيا مثالاً على الطريق لخارطة علم النفس السائدة التي تجعل من ممارستها وجها لوجه لمواجهة الاستعمار، والعنصرية، ومن ثم التوجه من هذه المرتكزات الى المقاومة العلمية المتمثلة بالاستغلال الرأسمالي والليبرالية الجديدة ، وتعزيز الوعي للبحث عن بدائل حاسمة لقلب التواطؤ الايدولوجي العالمي وخلق منافذ للمقاومة (Painter & Terre, N.D).

بمذا؛ فإن محاولة تصحيح نظم علم النفس في جنوب افريقيا، وتوفير الخدمات وتسجيل صوتها كصوت مركزي يقع في أدبيات علم النفس للمجتمع الدولي، التي تستعرض القوى الاجتماعية والتطورات الوطنية التي ولدت وأنتجت علم نفس بديل وتحرري ، وساهم في نشوء و تطور علم النفس المجتمعي المعاصر القائم على مبادئ الشمولية والمساواة والعدالة الاجتماعية في جنوب أفريقيا (Seedat & Lazarus, 2011). وعليه، فإن معرفتنا بهذه النماذج وإنجازاتها يساعدنا في نقد المؤسسات غير الحكومية، التي تقدم الخدمات النفسية والاجتماعية لأبناء شعبنا في فلسطين، حتى لو اختلفت الظروف وتركيبية المجتمع . إلا أن المستعمر، بسماته وأهدافه، لا يختلف بل يتغير ويتلون حسب ما يخدم وجوده.

## الفصل الثاني

### المنهجية

اتبعت الباحثة منهج البحث الكيفي، من خلال أسلوب دراسة حالة لمنظمة فلسطينية غير حكومية تعمل في مجال الخدمات النفسية، لوصف وتحليل برامج ومشاريع وتوجهات المؤسسة التي تم اختيارها لفحص عملها وما تتركه من أثر على تشكيل الذوات في ظل العنف الاستعماري، بالتركيز على الخدمات النفسية التي تقدمها وقد تم اختيار (مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب) كحالة دراسية. وكما هو معروف فإن دراسة الحالة منهجية يتم التركيز فيها على وحدة اجتماعية بعينها، وهي دراسة مفصلة ومستفيضة لوحدة واحدة للكشف عن جميع جوانبها حسب المنهج المونوغرافي<sup>18</sup>، وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات تطبق على غيرها من الوحدات المشابهة من المؤسسات غير الربحية التي تعمل بنفس المنهج في تقديم الخدمات النفسية (حسين، 2003). بحيث اشتملت منهجية البحث على الأدوات البحثية التالية وذلك لتحقيق الشمولية والمصادقية لدراسة الحالة.

### تحليل المضمون

يعرف تحليل المضمون بأنه الأسلوب الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم الكمي الظاهر للاتصال، ويعنى بالاتصال كل المعاني التي يعبر عنها بالرموز المختلفة (الكلمة أو الصوت أو الصورة أو الرسم)، وهو بذلك يشير إلى انتقال الأفكار والمعلومات والاتجاهات من شخص إلى آخر، أو من فئة إلى أخرى (أحمد، 2004). والهدف من استخدام هذه الأداة في البحث، محاولة الإجابة على أسئلة مثل: من الذي يقول، وماذا ولمن يقول؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك؟ وقد أردت استخدام هذه الطريقة لتحليل تعريف المركز عن نفسه في البروشورات الصادرة عنه، وكذلك لتحليل بعض ما يطرح من قضايا وتعريفات عن مساهمة المركز في المجتمع عبر صفحته

<sup>18</sup> إن البحوث المونوغرافية هي بحوث في العلوم الاجتماعية وتتأطر ضمن الحقل المعرفي الخاص بمجال الأنثروبولوجيا، وفي تكوينه اللفظي يعنى في مجالين Mono الشيء الواحد، وGraphie التعبير أو التشكيل الخطي، ويستند هذا التوجه على المقاربة الأنثروبولوجية التي تدرس الظاهرة بشكل شمولي

، تاريخ الدخول 2014/11/5 ، <http://khadhraoui.unblog.fr/2011/01/09/3/>

الالكترونية على الشبكة العنكبوتية. أما وحدات تحليل المضمون ، فقد حصرت في بعض الكلمات، مثل : تحليل اسم المركز (علاج، وتأهيل، ضحايا، التعذيب).

تعتبر الكلمة أصغر وحدة في تحليل المضمون، وقد تشير إلى معنى رمزي معين، والتي تجتمع من خلال عدد من المصطلحات والمفاهيم التي تعكس معنى خاص م عين (أحمد، 2004). هذه المعاني التي قد يعكسها اسم المركز، تكون مجتمعة في أهداف وغايات محددة. واستخدام طريقة التحليل للمضمون يمكننا من معرفة القيم التي يحملها المركز، أو يسعى إلى نشرها داخل المجتمع المحلي وفي الفئات التي يعمل معها، وسوف نكشف عن هذه القيم من خلال السلوكيات أو الممارسات التي يتبعها المركز والعاملون فيه لتحقيق غاياتهم ورؤاهم.

### الملاحظة المباشرة

الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة تعتبران وسائل لجمع البيانات، التي تحد ف إلى دراسة سلوك الأفراد في بيئة عملهم بشكل أو بصورة يومية. وتُمتاز الملاحظة بأنها تقدم للباحث معلومات ربما عندما يسأل عنها بطريقة مباشرة يزيد من مقاومة الباحثين الاجابة ، أو عدم تعاونهم مع الباحث ؛ نتيجة انشغالهم بعملهم . وبهذه الطريقة فإن العاملين لا يزيغون طبيعة عملهم أمام الباحث ؛ لأنهم غير مدركين أنهم موضع ملاحظته ، وبهذا يمكن أن يستنتج عن رضا العاملين في المركز من أخصائيين عن الفئة التي يعملون معها . وتعرف الملاحظة المباشرة على أنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما، مع استخدام وسائل أخرى في البحث ، التي تناسب طبيعة الوحدة المدروسة وتلائم معها، والتي تهدف إلى الكشف عن بعض الحقائق التي لم تكن استخدامها لاستنباط معرفة جديدة (أحمد، 2004).

وقد تم استخدام أسلوب الملاحظة المباشرة في حالات متعددة خلال مرحلة جمع البيانات لهذه الدراسة، حيثما لا يمكن استخدام طرق أخرى غير الملاحظة فيها، مثل : ملاحظة التفاعل الاجتماعي بين المنتفعين والأخصائيين في المركز في جلسات العلاج سواء الفردية أو الأسرية، وملاحظة تفاعل متلقي ورشات التدريب

حول المواضيع المختلطة من طلاب وعاملين مع المدربين . كما تم استخدام الملاحظة في مشاهدة تطبيق بعض من الاختبارات النفسية. وقد تنوعت الملاحظة، واجراءها، بتنوع الظروف بالنسبة للباحثة والمجتمع الملاحظ المبحوث ؛ وذلك وفقاً لعوامل الزمان والمكان. وقد ساعدت الملاحظة المباشرة الباحثة في التحقق من الإفتراضات، وادعاءات الدراسة، وفحصها، واختبارها واحدة تلو الاخرى، واستبعاد أي من الفروض التي لا تخدم غرض الدراسة . لم تكن الملاحظة المباشرة من حيث الاجراء ملاحظة منظمة، بل قامت الباحثة بتدوين الملاحظات بنقاط مختصرة وقت حدوثها، والتأكد من طبيعة الملاحظات من العاملين فيما بعد باستخدام المقابلة.

## المقابلة

المقابلة وسيلة لا يستغنى عنها في مراحل جمع البيانات التي يتبعها الباحثين الاجتماعيين ، والتي تم استخدامها في هذه الدراسة في المراحل الاولى من الدراسة للمساعدة على تحديد أبعاد مشكلة الدراسة مرحلة استكشافية أولية، ونوع المقابلة التي تم اتباعها في البحث هي المقابلة الفردية مع المبحوثين، ولم تكن الاسئلة مصاغة قبل توجه الباحثة إلى المركز ، بحيث كانت المقابلة مفتوحة ؛ مما أتاح للباحثة مساحة لصياغة الاسئلة خلال المقابلة بجرية ، وإعادة صياغتها بصورة تبدو منطقية حينها؛ لكي تلائم السياق العفوي التلقائي لأفكار الشخص المبحوث، وهذا ما أعطاهها طابعها الأساسي الطابع المرن التام (عقيل، 1999).

## عينة البحث

إن عينة البحث المنتقاة هي "مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب"؛ وهي مؤسسة فلسطينية غير ربحية تأسست في العام 1997، بناء على الخبرات المتراكمة مع قضايا واحتياجات ضحايا الأحداث الصادمة وعائلاتهم التي تشاركهم المعاناة، ومن هذه الخصوصية نمو المركز بشكل تصاعدي ومستمر ليقدم خدمات متنوعة للمجتمع المحلي، من خلال وصوله إلى أعداد كبيرة من ضحايا التعذيب في فلسطين<sup>19</sup>.

إن الهدف الأول من استخدام المركز كعينة للدراسة نابع من أن المركز مؤسسة نفسية تعمل كمؤسسة غير حكومية تقدم خدمات مختلفة، وهو الموضوع العام للدراسة. والهدف الثاني أن البحث ينطلق من موقف نقدي تجاه المركز؛ بسبب المنهجية والرؤى التي يتخلف بها نفسه، من حيث أن عمله تحديداً مع ضحايا التعذيب، أي مع ضحايا العنف الناتج عن ممارسات الاحتلال، والاعتقالات المتكررة في السجون، والتي تحتاج إلى تدخل نفسي حسب رؤيتهم، نتيجة تعرض المعتقلين للتعذيب الذي يهكّل صدمة مؤلمة، الأمر الذي يتطلب التدخل من أجل أن يتكيف "الضحايا" مع الحياة مرة أخرى بعد حياة السجن، فهو حالياً يوفر خدمات الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية لضحايا التعذيب والعنف المنظم، إضافة إلى عائلات هؤلاء الضحايا.

يضم المركز مجموعة متنوعة من التخصصات بما يتيح للعاملين تقديم خطط علاج شاملة لكل شخص يصل إلى المركز طلباً للمساعدة، ويتم فيها تحديد خطة علاج فردية تفصيلية وخاصة لكل شخص، للتمكن من التعامل مع احتياجاته الطبية والنفسية والاجتماعية. وبهذا فإن دراسة طبيعة العمل في المركز وتوجهاته وبرامجه وخططه سوف تساعد على الإجابة على السؤال المركزي للبحث. سبب آخر لإختيار المركز ينبع من كون الباحثة قد قامت بالعمل في هذه المؤسسة لمدة أربعة أشهر في بداية التحاقها ببرنامج الماجستير، حيث شغلت وظيفة مساعدة تدريب في دائرة البحث وبناء القدرات، الأمر الذي سهّل كسب الثقة وكسر الحواجز، وملائمة الباحثة من دخول ورش العمل كملاحظة ومتلقية في نفس الوقت، والمساعدة في الترجمة عند مجيء الوفود الأجنبية للإطلاع

<sup>19</sup> انظر الموقع الإلكتروني لمركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب: <http://www.trc-pal.org/>

على طبيعة العمل، وكذلك الدخول الى غرف العلاج الفردي والجماعي مع الأخصائي . والأهم، أن هذا المركز يعتبر من أكبر وأهم المراكز في الضفة الغربية؛ مما يبرر اختياره كحالة دراسية.

يقتضي هنا التطرق إلى مسألة مهمة من واجب الباحثة والبحث العلمي الالتزام بها، ألا وهي: "احترام آراء وحقوق الجهة المستهدفة من هذا البحث والمشاركين فيه"، بحيث تكمن قيمة هذا البحث في تبني النقد البنّاء الإيجابي، من أجل زيادة الوعي حول الخدمات النفسية في إطار المؤسسات غير الحكومية الممولة في ظل السياق الاستعماري للشعب الفلسطيني المحتل، وتجنب المؤسسة والعاملين فيها الضرر والإساءة.

كما أخذت الباحثة بعين الاعتبار، عند الكتابة والتحليل عدة اعتبارات، منها الصدق الكامل في نقل البيانات والمعلومات كما هي، وفي حال نقص أو عدم اكتمال معلومة معينة، لسبب ما، فقد قامت بالرجوع إلى المشاركين؛ مستخدمة وسائل الاتصال الاجتماعية الحديثة، والبريد الإلكتروني، والاتصال الهاتفية للاستفسار عن نقطة معينة؛ كي لا يفتنى التحليل على افتراضات وظنون. كما حرصت على سلامة العاملين المهنية في البحث، بحيث تم تغيير أسماءهم برموز، وكذلك لم تقم الباحثة بإحراجهم أو اشعارهم بالخجل في موضوع البحث، خصوصاً أن توجه الباحثة من موضوعات ومفاهيم العلاج النفسي نقدية.

### خطوات الدراسة

- التوجه النظري في البحث يعتبر الأساس الذي بنيت عليه تفاصيل الدراسة من: أهداف، وأهمية، وإطار نظري ومفاهيمي، ومراجعة الأدبيات السابقة وصياغة مشكلة البحث، وتساعد في تحديد الأدوات والوسائل وتشمل العينة وكيفية اختيارها، ووسائل جمع البيانات.
- عملية جمع البيانات تمت كمرحلة تمهيدية في الفصل الثاني 2013/2014، وذلك ضمن مساق يطرحه برنامج علم النفس المجتمعي كمتطلب للتخرج " تدريب ميداني 811"، والذي يعد من المساقات الرئيسة للتخرج، ويهدف هذا المساق الى دراسة الأفراد في الفئات الاجتماعية التي يتواجدون فيها، إذ يشكل العبء

- التدريبي لهذا المساق معدل (8) ساعات أسبوعياً في المؤسسة التي يتم إختيارها من قبل الطالب ويوافق عليها مدرس المساق، ويتم التدريب تحت إشراف أحد مقدمي خدمات الصحة النفسية ذوي الخبرة في المجال.
- وقد أتاح "مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب" للباحثة الفرصة لتحقيق الهدف المرجو من المساق؛ حيث زاد من معرفتها بألية العمل لدى العاملين في المركز من خلال الانخراط والمشاركة بالنشاطات التي يقدمونها على نحو حقق لها الاستفادة من تجربته في العمل.
  - قلمت الباحثة بالتنسيق المسبق مع مُدرّسة المساق: د. سماح جبر، ومشرفة الدراسة: د. لينا ميعاري، وأبلغت الطرفين بلّنها سوف تقوم بالتدريب وجمع البيانات، في آن معاً، وذلك لأنها رأت في نفسها القدرة على تطبيق المعارف والمهارات التي اكتسبتها من خلال دراستها للمواد التي طرحها البرامج على مدى سنتين، وقبلت المؤسسة المعنية بالدراسة هذا الطرح، لإتمام متطلب التدريب، وما يتطلبه ذلك من حصوله ا على البيانات كافة، التي تحقق الغرض لإتمام البحث.
  - استخدمت الباحثة مقابلات شبه منظمة مع العاملين والمتنفعين، ومع الهيئة الإدارية التي تضع الخطط الاستراتيجية للعمل، ومع أحد أعضاء مجلس الأمناء، كما قلمت بإستخدام الملاحظة بالمشاركة بشكل واسع، وذلك لوصف وتصوير حيثيات سلوك وممارسة وأنشطة المركز والأخصائيين في محيطهم الطبيعي والاعتيادي.
  - تعتبر المقابلات محوراً مهماً في الدراسة، وقد قامت الباحثة بالاعتماد عليها في مادة التحليل كمرحلة أولية، وساعدتها على تحديد أبعاد موضوع الدراسة، وتحديد المشكلة بشكل أوضح، وأتاحت لها الفرصة للكشف عن الاطر المرجعية الموجودة في أذهان الباحثين.
  - إجراءات المقابلة: تم اختيار المركز لكونه البيئة الدراسية للبحث لإجراء المقابلات فيه، مع الحرص على أن لا يكون أفراد آخرون حول المبحوث؛ كي لا يؤدي ذلك إلى تشويش أفكاره ويدفعه إلى العدول عن قول شيء ما. كما أن توجيه الأسئلة كان نابعاً من ضرورة استكمال بعض المعلومات التي كانت ناقصة وضرور يتق



للبحث. وقامت بتسجيل إجابات المبحوثين "صوتياً"، بعد أخذ الموافقة على التسجيل ؛ وذلك حرصاً على المعلومات التي يتم الاستماع إليها أثناء المقابلة.

### المبحوثون في المقابلات

إن المشاركين في المقابلات هم من العاملين في المركز ؛ من أخصائيين نفسيين ومدراء ومنسقي دوائر العمل المختلفة، وموظفين في المركز الرئيسي في رام الله. ولم تتقِ الباحثة بالموظفين في الفروع الأخرى ؛ حيث أن الفروع لا تشمل إلا على أخصائيين نفسيين فقط. وتتراوح المسميات الوظيفية للأخصائيين بين "أخصائي اجتماعي" و"نفسى إكلينيكي" فقط مع العلم أنهم، باختلاف المسميات، يقومون بنفس العمل في التدخل النفسي، ولكن الاغلب يحمل مسمى "أخصائي نفسي إكلينيكي".

لقد أجريت المقابلات جميعها في رام الله في المركز، ما عدا اثنين منها، وذلك لأسباب شخصية، وكانت المواعيد والأماكن تحدد من قبل المبحوثين، بعد مراعاة ظروف وأوقات عملهم، حيث تمت المقابلات في أوقات مريحة وودية؛ وذلك بحكم معرفة الباحثة الشخصية السابقة بالعاملين، وسُجلت جميع المقابلات باستثناء ثلاث؛ وذلك بسبب عدم رغبة المبحوثين بالتسجيل، وكانت مدة المقابلة تتراوح بين (40) دقيقة وساعة ونصف، ويعود السبب في ذلك إلى أن بعض المبحوثين قد وجد في موضوع الدراسة مساحة للتنفيس عن وجهة نظره وموقفه من المركز وسياسة العمل فيه، بحيث كانت تظهر بشكل جلي مشاعر الغضب، المزوجة بالمحبة على ما وصل إليه المركز والسياسية الإدارية فيه.

سوف يتم الإشارة إلى المبحوثين برموز؛ لأنهم لم يوافقوا على استخدام اسمهم الشخصية في الدراسة، لاعتبارات تتعلق بالعمل والخوف من الإدارة، مع العلم أن الأخصائيين لم يوافقوا على إجراء مقابلة إلا بعد أن تأكدوا من أن الباحثة قد حصلت على موافقة خطية وموقعة من الإدارة على إجراء هذا البحث وعمل المقابلات. فالمقابلات لم تعتمد نموذجاً من الأسئلة مُعداً مسبقاً، وإنما كانت مقابلات مفتوحة، ولقد قمت بتوضيح السبب

من هذا الإجراء في الصفحات السابقة . مع العلم أن المقابلات تداخلت فيها الفصحى والعامية، ولكن تركت الباحثة اللغة كما تم التعبير عنها في المقابلات للأمانة البحثية وذلك لتعكس كلمات المتقابلين.

### تحليل المقابلات

في البداية، تم تفرغ البيانات، وقامت الباحثة بقراءة النصوص أكثر من مرة لجمي ع المشاركين، حيث كانت الخطوة الأولى معلولة لتحديد القضايا الأساسية التي تنطرق إليها المقابلات ، وبناء على ذلك تم تبويب وترميز القضايا المختلفة لكل مقابلة على حدة والبحث في الجوانب المشتركة التي يتم الاتفاق عليها من جميع الباحثين ، والأخرى التي لم يكن فيها اتفاق ، والتي اشتملت على إضافات وتوضيحات أكثر من غيرها، بحيث اعتمد التحليل على مجموعة من القضايا التي استُخلِصت من المقابلات ، ومن تحليل المضمون لبعض النصوص الصادرة عن المركز، كما قامت الباحثة بمراجعة كتاب الاستقالة لمجلس الأمناء الذي حصلت عليه من عضو المجلس المعني نفسه.

## الفصل الثالث

### مدخل للتحويل

سيتم في هذا الفصل عرض القضايا والمخاور التي تم تناولها لتحليل حالة المركز وربطها بالقضايا النظرية، حيث أن البيانات والمعلومات التي تم جمعها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، الأمر الذي شكل نوعاً من التحدي في تحليل وتفسير العلاقات بين القضايا المختلفة التي تم التطرق إليها، وقد تطلب ذلك تصنيف البيانات حسب الموضوعات المتشابهة من أجل تسهيل عملية التحليل. كما تم تصنيف مكونات العمل في المركز إلى أبواب وأجزاء، وتفسير كيفية كل عنصر أو آلية وجودها على النحو الذي هي عليه، وتلخيص وتحليل هذه الموضوعات قائم على نقطتين مركزيين:

الأولى: الترابط بين بنية المؤسسة وآلية عملها والرؤى التي تتبناها في ضوء علاقتها بالجهات الخارجية التمولية. الثانية: قائمة على أثر عمل المؤسسة ونتاجها المعرفي من دراسات وكتيبات على فهمنا للسياق الاستعماري بالفرضية التي تساعدنا على التعرف على الأطر المفاهيمية التي تشكل مجال علم النفس التقليدي الغربي، وكيف يساهم في تشكيل الذوات الانسانية، وكيف يتم تبني ونقل هذا النموذج إلى فلسطين الواقعة تحت الاحتلال، لتبيان إشكالية تطبيق هذه المفاهيم على السياق الفلسطيني، التي تُصي أشكالاً أخرى من الذوات وتنتج ذواتاً غير مناهضة للاستعمار.

يتطرق الباب الأول لتعدد واختلاف التعريفات التي يستعملها المركز للتعريف عن نفسه عبر موقعه الإلكتروني ومنشوراته، كما يتطرق لتعريف المركز لمفهوم التعذيب والجدل القائم حوله بصفته مفهوماً مركزياً في رؤية وعمل المركز. وفي الباب الثاني يتم التطرق إلى روايات تأسيس المركز ونشأته بهدف إظهار التناقض في الروايات. أما في الباب الثالث، فيتم طرح قضية التمويل والإجابة على أسئلة أولية: من أين يحصل المركز على تمويله؟ وكيف يحافظ على استمرارية تدفق التمويل؟ وما هي الأسس أو الرؤى التي يتبعها عند كتابة مقترحات المشاريع والخطط الاستراتيجية؟ وما هو التعاون المهني بين المؤسسة والجهات المانحة؟ يتناول هذا الباب الفئة المستفيدة من عمل

المركز، والآلية التي يتبعها المركز من رؤى وأهداف ، وكيف يؤثر العمل على المستفيدين أو المنتفعين من خدماته المتنوعة . يطرح الباب الخامس واقع وتحديات العمل الميداني من منظور الأخصائيين، ويبين العلاقة بين الرؤى والعمل في الواقع المجتمعي. كما يطرح هذا الباب قضية التوثيق التي تهتم بتسجيل الانتهاكات القانونية والإنسانية التي تقع على الإنسان الفلسطيني. و يشهد الباب السادس على التوجهات النفسية المتبعة، من أدوات واختبارات تستخدم في عملية العلاج النفسي للفئات المستهدفة. والباب السابع يدرس إسقاطات عمل المركز ومناهضته على الاستعمار، ويتطرق لوعي الأخصائيين والمؤسسة بقضية الثقافة الفلسطينية وخصوصيتها في السياق الاستعماري ، وماذا نعني بالصحة النفسية في هذا السياق الاستعماري العنيف . والباب الثامن والأخير يتناول إفرازات الخطاب الاستعماري وأثره على العاملين في المؤسسة والتحديات التي يواجهونها في إطار عملهم.

## الباب الأول: تعريف المركز

يقدم مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب نفسه في العديد من المنشورات والمواقع الإلكترونية، بفلسفة خطاب متباينة تعكس محددات مختلفة للتعريف بالمركز، والتي سوف يتم الوقوف عليها في الصفحات التالية . وتأتي ضرورة عرض التعريفات ونقاشها من أجل البحث عن فلسفة الخطاب التي يستخدمها المركز ، حيث تكمن الأهمية في عرض مختلف التعريفات التي يقدمها المركز عن نفسه في كونها اسلوباً لغوياً يستخدمه المركز للتواصل والاتصال مع الآخرين ، سواء كانوا من الجهة المنتفعة أو الجهات الممولة ، وذلك لأن المعاني أو الكلمات تحمل في طياتها الاتجاهات والأفكار التي يبغى المركز إيصالها.

الهدف من التمعن في هذه التعريفات هو تسليط الضوء على ما يحاول المركز قوله في وسيلته الاتصالية هذه، وماذا يقول، ولمن يوجه خطابه. كما يفيد هذا الطرح في معرفة الآثار التي يمكن أن تترتب على ذلك ، وقد قامت الباحثة باستخدام هذه الطريقة لتحليل كل من تعريف المركز عن نفسه في البروشورات الصادرة عنه ، وكذلك لتحليل بعض ما يطرحه من قضايا وتعريفات عن مساهماته في المجتمع ، عبر صفحته الإلكترونية على الإنترنت. وينحصر العرض في بعض الكلمات، مثل تحليل تسمية المركز (علاج، وتأهيل، ضحايا، التعذيب )، وقد تشير الكلمة إلى معنى رمزي، والذي تجتمع من خلال عدد من المصطلحات والمفاهيم التي تعكس معنىً خاصاً معيناً (أحمد، 2004). هذه المعاني التي قد يعكسها المركز قد تكون مجتمعة في أهداف وغايات سيتم تحليل مغزاها في هذا الباب.

مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب، حسبما ورد في البروشورات التي يصدرها المركز هو : "مؤسسة أهلية غير ربحية للدفاع عن حقوق الإنسان، تتمثل مهمتها التنموية في الوصول إلى مجتمع خالي من التعذيب والعنف المنظم، ومن أجل تحقيق ذلك يعمل المركز على توعية المجتمع ونشر المعرفة حول مواضيع حقوق الإنسان والتعذيب

والعنف المنظم (فئة الأسرى، الجرحى، أهالي الشهداء، ضحايا الجدار العنصري و لتعطيل على الحواجز، وضحايا اعتداءات المستوطنين... الخ)، ويقدم المركز خدمات نفسية ومجتمعية وطبية لضحايا التعذيب والعنف المنظم".<sup>20</sup> ما يهمنا في عرض التعريف السابق هو إبراز النقطة أو النقاط المركزية التي نهدف إلى تحليلها فيما بعد، بحيث نجد من هذا التعريف أنه يقف على دور المركز التنموي المجتمعي ، من خلال خدمات التأهيل النفسية والاجتماعية، وذلك الدور الذي سيتم تفصيله في هذا الباب لفهم خطاب التنمية من خلال نشاطات المركز المختلفة.

#### وحسب الموقع الإلكتروني للمركز، فإن المركز يقدم نفسه على أنه

"جمعية أهلية غير ربحية ... تقدم خدمات إنسانية جلييلة وضرورية وملحة للمواطن الفلسطيني المتضرر من ممارسات الاحتلال ، بما فيهم الأسرى وعائلاتهم والجرحى وأهالي الشهداء والفئات الفقيرة والمهمشة الأخرى، تُعنى بمناهضة التعذيب والعنف المنظم، تقدم خدماتها المختلفة للضحايا وأسرههم بشكل تنموي وم تكامل . خدماتنا تتلخص بتقديم المساعدة النفسية والاجتماعية والطبية الأولية بالإضافة إلى رزمة متكاملة أخرى من الخدمات في مجال التدريب وبناء القدرات والبحث العلمي . العلاج والتدخل يتم من خلال عيادات المركز أو الزيارات لغير القادرين على الوصول للمركز وجميعها مجانية. يوجه المركز خدماته بشكل مباشر للمتضررين وأسرههم مثل الأسرى المحررين وأسرههم، والجرحى والمعاقين، وأهالي الشهداء، وضحايا الجدار العنصري، ضحايا اعتداءات المستوطنين، ومناطق التماس... الخ، وكذلك يعمل المركز على توعية المجتمع ونشر المعرفة حول مواضيع الصحة النفسية والوقاية من الصدمات النفسية وحقوق الإنسان ومناهضة التعذيب والعنف المنظم وغيرها إضافة إلى نشر الأبحاث والدراسات"<sup>21</sup>.

<sup>20</sup> بروشور تعريفى صادر عن المركز (بدون سنة اصدار) ، بعنوان: مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب.

<sup>21</sup> انظر: الموقع الإلكتروني لمركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب: <http://www.trc-pal.org/>

عندما نتمعن في هذا التعريف نجد أن المركز ، هنا أيضاً، يؤكد على دوره التنموي الذي يتكامل مع الخدمات النفسية والاجتماعية والطبية بصورة مجانية، كما يوضح أنه يعمل على بناء القدرات والبحث العلمي والتوثيق ورزومة أخرى من الخدمات، بحيث يعمل على التطوير المعرفي والوقائي على الصعيد بين الفردي والمجتمعي للوقاية من الصدمات النفسية. كما نفترض، في اطار هذا التعريف ، أن خطاب المركز من خلال خدماته يُخرج الفرد المُتضرر من ممارسات الاحتلال عن السياق السياسي العام، ويعيد صياغة وتعريف الضرر بحيث يترجمها الى لغة خطاب الصحة النفسية بطابعها الليبرالي، وكذلك يُخرج الاحتلال من سياقه الاستعماري. وهذا ما سيسلط عليه الضوء في القراءة التحليلية لهذا الخطاب التعريفي.

وكما ورد في تعريف المركز باللغة الانجليزية حسب الموقع الالكتروني:

**"The Treatment and Rehabilitation Centre** for Victims of Torture... aims to promote Human Rights in Palestine by researching and disseminating information regarding the plight of the torture victims...TRC has become a forerunner for the promotion and dissemination of information regarding human rights throughout the West Bank and Gaza.

TRC also works to reduce the traumatic and devastating physical and psychological consequences of torture and politically motivated violence, as well as the retaliatory behavior of the victims through its Treatment and Rehabilitation Program. Through this, TRC offers the victims and their families' comprehensive medical, psychiatric, physical, and psychosocial care –that is completely free of charge, in a safe and comfortable atmosphere. TRC also works to combat systematic torture and violence throughout the West Bank. It also aims to tackle the belief of impunity that often the perpetrators feel, as well as the complete feeling of hopelessness often experienced by the

victims. It aims to do all this through its training, research and advocacy programs".<sup>22</sup>

تم عرض التعريف السابق باللغة الإنجليزية كاملاً ، مع اختصارات طفيفة ، وذلك لاعتبار أن كل جملة تشكل نقطة مهمة ومركزية في التحليل ، وقد تم الوقوف عليها بالتفصيل.

### جوهر الاختلاف في التعريفات عن المركز

نلاحظ من خلال العرض السابق لتعريف المركز ، الذي يقدمه عن نفسه عبر الموقع الإلكتروني والبروشورات ، أن هناك اختلافًا في الكيفية التي تعرف بها المؤسسة عن نفسها ، وه ذا الاختلاف ينعكس في مضمونه تحليلاً لدور المؤسسة في تسويق نفسها للممول والجهات المستفيدة.

بما أن التعريف المعروض في الكتيبات أو البروشورات باللغة العربية موجه إلى المجتمع المحلي والفتة المستهدفة ، فهو تعريف مقتضب وموجز يشتمل على رؤية المركز ، ومن هي الفئة المستهدفة التي يسعى إلى لعمل معها ، وطبيعة الخدمات التي يقدمها لهذه الفئة ، بالإضافة إلى الجانب التوعوي بقضايا حقوق الإنسان والتعذيب ، دون الخوض في طبيعة الخدمة النفسية ، ونوعية الطاقم المقدم للخدمة أو طبيعة الآثار الناجمة عن "الأحداث الصادمة" التي مرت بها الفئة المستهدفة ، ولا عن طبيعة الجو العام الذي يقدم به الخدمة ، كما هو معروض في تعريف المركز باللغة الإنجليزية حسب الموقع الإلكتروني ، فهذا التعريف الواسع الفضفاض بالإنجليزية الموجه للمجتمع الدولي والإقليمي ، أكد على وجود طاقم من الخبراء والمهنيين في مجال الضغط والمناصرة والبحث ، وعلى أن المركز هو صاحب الدور الريادي في نشر المعلومات حول حقوق الإنسان في الضفة الغربية وقطاع غزة . وهنا يضيف المركز قطاع غزة مع العلم أنه لا يوجد أي نشاط للمركز في قطاع غزة ، وإنما تقتصر الخدمات التي يقدمها على مجتمع الضفة الغربية وربما تتسائل هنا ما الغاية من وراء ذكر قطاع غزة في التعريف باللغة الإنجليزية؟

<sup>22</sup> انظر : الموقع الإلكتروني لمركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب: <http://www.trc-pal.org/>



ومباشرة في الفقرة التعريفية التالية يعرج المركز على توضيح الآثار الناجمة عن الصدمة، وقد قامت الباحثة بترجمة الجزء المتعلق بتعريف المركز عن نفسه في النسخة الإنجليزية: "على أنه يعمل للتخفيف من الآثار النفسية والجسدية الصادمة والمدمرة الناتجة عن التعذيب والعنف ذي الدافع السياسي، وكذلك السلوك الانتقامي الثأري للضحايا ، وذلك خلال برامج العلاجية والتأهيلية، كما يهدف إلى معالجة الاعتقاد بالإفلات من العقاب الذي غالبا ما يشعر به الجناة، فضلا عن الشعور باليأس الكامل في كثير من الأحيان الذي يعيشه الضحايا، من أن الجاني سيفلت من العقاب دون أن تتم محاسبته . حيث يهدف المركز إلى القيام بكل هذا من خلال برامج التدرج والبحث والمناصرة".

وعليه؛ فإن المؤسسة تفترض أن هنالك نتائج مدمرة للعنف السياسي والتعذيب ، وبالتالي فإن الناجين من التعذيب (ضحايا التعذيب) بحاجة إلى برنامج علاج وتدخّل من أجل تأهيلهم.

لا شك أن تجربة التعذيب تترك آثارا على نفسية الشخص الذي يتعرض له، ولكن كيف تفهم هذه القضية حول التعذيب، ضمن العلاج النفسي وخطة التدخل التي يسعى المركز إلى تطبيقها على فئة المعتدّين؟ وكيف يرون عملية التأهيل التي هم بحاجة إليها؟ هل هي عملية تأهيل من تجرّمهم النضالية ضد الاستعمار الصهيوني ، وبالتالي عملياً هي عملية تفرّغ وتغييب ال صمود والمقاومة؛ لخلق صورة أو ذات جديدة عنهم ، على أنهم ذوات تعاني وضعيفة وبحاجة لمساعدة سريعة وماسّة، بدلاً من تعزيز قصص النضال والمقاومة لديهم؟!

لقد تم طرح الحالة القائمة على أنها تقع ضمن مفهوم "العنف السياسي" ، وكأن فلسطين دولة مستقلة ، بمجتمعها المدني ، وتعيش حالة صراع أفقي سياسي عنيف مع طرف مساوي لها، كالصراعات الدينية والعرقية والطائفية دون وضعها في سياقها الاستعماري، الذي تعيش في ظل سلطوته.

كما أشار المركز إلى أنه يسعى في عمله إلى تخفيف الأعراض النفسية الجسمية المدمرة الناتجة عن التعذيب والعنف ذي الدافع السياسي، والذي ينجم عنه سلوك انتقامي لدى ضحايا العنف المستهدفين، وأن هذا السلوك الانتقامي، الذي يشير إليه المركز، يتم التخفيف منه عن طريق برامج العلاج والتأهيل المستخدمة في المركز . وبهذا

نلاحظ ان السلوك الانتقامي قد يقع في قالب الترويض ، من خلال التدخل النفسي والاجتماعي مع الاشخاص المتضررين من الاحتلال، والذين هم الاشخاص الذين يقومون بمقاومة الاحتلال ، ويتعرضون للأسر أو الإصابة أو الاستشهاد، بحيث تشكل صورة في إطار المفهوم السابق العلاج والتأهيل لها (ضحايا التعذيب) وهو المفهوم الذي يتم استخدامه مع الممول والتشغيلي في المركز، وهي في الغالب صورة ذهنية لذات مشوهة تعاني من عيوب نفسية، وبحاجة لعملية إعادة تشكيل وتأطير.

كما ويدعي التعريف باللغة الانجليزية، أن الخدمات المقدمة تتم في جو آمن ومرح ! وهذه النقطة تستدعي تساؤلين: الأول، إن جلسات الدعم النفسي غالبًا ما تتم في الميدان في بيوت الناس، وبيوت الناس هي المستهدفة من قوات الاحتلال، إذن فهي لا تمثل المكان الآمن. والجانب الثاني: أن المركز نفسه يقع في السياق الاستعماري؛ وبذلك هو مكان غير آمن أيضاً، حيث قام الجيش الإسرائيلي عام 2011 بمداخلة المركز كجزء من مداخلة للمبنى كاملاً. وعليه؛ فإن مفهوم الجو الآمن، في ظل السياق الاستعماري، لا يتوفر - ربما يتوفر جزئياً - في منازل الأشخاص، وبناء منشأة المركز، لأن السياق العام هو سياق تهديد وقضية الأمن فيه هي قضية نسبية غالباً لا تتحقق.

ويضيف المركز للتعريف أنه "يعمل على معالجة المفاهيم المتعلقة بالإفلات من العقاب على **صعدين**: من جانب الجاني، أن الجناة يشعرون أنه لن تتم محاسبتهم على أفعالهم، وبالتالي يفلتون من العقاب، وأن الضحايا يشعرون باليأس في كثير من الأحيان، من أن الجناة سيحاسبون يوماً ما على أفعالهم. ويدعي المركز أنه يعمل على أن الجاني سيحاسب خلال العلاج النفسي، ولكن بطريقة مؤسساتية، وعبر إيصال قضاياهم لنشطاء حقوق الانسان، الأمر الذي تم الوقوف عليه مفصلاً في الابواب التالية.

في الوقت نفسه، فإن تعريف المركز باللغة العربية على الموقع الالكتروني لا يتطرق إلى القضايا التي تم ت الإشارة إليها في التعريف باللغة الانجليزية على ذات الموقع، وإنما يضيف: "أن الفئة المستهدفة تشمل أيضاً الفئات الفقيرة

والمهمشة في المجتمع، إضافة إلى ذكره بالتفصيل من هم ضحايا التعذيب في المجتمع الفلسطيني : أسرى وجرحى وأهالي شهداء وضحايا اعتداءات المستوطنين وضحايا جدار الفصل العنصري ومناطق التماس".

وعليه؛ فإن المركز، من خلال ذكره لهذه الفئات بالتفصيل ، يحقق الاستفادة من القيمة الرمزية لذكر المسميات لمن هم ضحايا التعذيب للجمهور الناطق بالعربية ، حيث انصب التمويل ما قبل أو سلفاً على دعم الصمود للشعب الفلسطيني على أرضه في موجات هتة الاحتلال ، خصوصاً من الدول العربية (على سبيل المثال ، العراق وليبيا)، أما التعريف باللغة الإنجليزية فيقتصر على ذكر ضحايا التعذيب ، كمفهوم عام ، دون التطرق إلى ذكرهم بالتفصيل. وفي هذا إشارة إلى أن الخطاب الموجه للقارئ بلغة العربية من المجتمع المحلي والإقليمي يميل إلى الترويج للبعد الوطني واستثارة العواطف، فغالباً ما ينجذب الممول العربي إلى بذخ عطفه وتعاطفه مع هذه القضاة، ذات البعد الوطني أو لمآرب أخرى ، حينما يتعلق الأمر بالشأن الفلسطيني، وبالتالي قد يسهل عليهم التمويل من الجهات المعنية - بمد يد العون، إن صح التعبير.

نجد أنه لدى المركز خطاب تمويلي مزدوج واضح ؛ إذ يملك خطاباً للمجتمع المحلي والعربي، وآخر للمجتمع الغربي. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل هذا الاختلاف هو من أجل التحايل على الممول واستجلاب رضاه، أم هو فعلاً الصورة التي يتبناها المركز ويتماها معها ويتبناها في استراتيجيات عمله؟ وهل يستخدم في هذا الخطاب مصطلحات الممول العربي، أم مقتنع بهذه المصطلحات ويتبناها؟ إنه في هذه الحالة الأخيرة يعيد تشكيل صورة الذات الفلسطينية التي تتوافق مع الرؤية الغربية الفردانية للفرد ذات الأبعاد الليبرالية التي تعمل على تأصيلها في المجتمع.

كما يعمل المركز، في خطابه للمجتمع العربي والمحلي ، على ذكر الفئات المستهدفة بالتفصيل، وهذا أيضاً فيه إشارة إلى البعد الوطني للقضية الفلسطينية، لما في ذلك من صدى لدى الممول العربي، في حين أن هذه القيمة يتم استثنائها في التعريف باللغة الإنجليزية، كخطاب موجه للممول الأجنبي ، باعتبار أن ذكر هذه القيمة قد يشكل عائقاً في الحصول على التمويل من الجهات الأجنبية ؛ لأن ذكرها يعكس صورة الذوات الفلسطينية الصامدة

والمتضررة من أفعال الاحتلال الإسرائيلي ، التي تتطلب مقاومته والتصدي له، وهذا لا يتناسب مع الأهداف التمويلية الغربية، التي تسعى إلى دعم عملية السلام والتنمية في الأراضي الفلسطينية . وفي ما يلي نورد مثالاً على كيفية الحصول على التمويل من الجهات العربية والمحلية ، ونذكر، بهذا الخصوص ، توجه المركز إلى : (شركة جوال، ويونيبال، ورويال، وشركات خاصة أخرى )؛ للمساهمة في تغطية نفقات المخيمات الصيفية التي يقدمها المركز لأطفال الأسرى والشهداء، وهي عبارة عن حقائب مدرسية وأحذية وقرطاسية وغيرها من الهدايا والوجبات. كما تطرقت التعريفات المختلفة إلى مفهوم التنمية أكثر من مرة، في موضع (تمثل عمل المؤسسة مهمتها في الوصول الى مجتمع خالٍ من التعذيب )، وفي آخر (تقدم خدماتها المختلفة للضحايا وأسرههم بشكل تنموي ومتكامل). وعند قراءة "التنمية"، يتوجب علينا وضعها في سياقها العام ل فهم معناها . وفي هذا السياق ، فإن التنمية تشكل مرحلة من مراحل التدخل في فلسطين ما بعد اتفاقية أوسلو؛ وهي مرحلة ذات طابع سياسي بالأساس، ومن مخزجات اتفاقية أوسلو التي تعمل على خلق بيئة مناسبة ، لكي تؤسس لمرحلة ما بعد الاحتلال (وكأنما الاحتلال انتهى )، فليتبطلت تلك التدخلات التنموية بمصطلحات سياسية محددة في حياة الشعب الفلسطيني، حيث أن طبيعة التمويل المقدم من الجهات المانحة الخارجية ، سواء مشاريع لدعم الصمود ، أو لشراء ولاءات سياسية ترتبط غالباً بالدعم المقدم من مصادر وجهات عربية . ولكن التمويل المقدم من الجهات الغربية مرتبط بالخطاب المعولم حول الصحة النفسية، والذي يتم العمل من خلاله على استدخال مفاهيم جديدة للذوات الفلسطينية الخاضعة للاحتلال، وبرزت مرحلة (أو عقلية) ما بعد الاحتلال عقب اتفاقية أوسلو (كقلب وآخرون، 2010).

### اقتصاد الصدمة

نلاحظ مملورد في تعريفات المركز عن نفسه ، أنه في التعريف باللغة العربية لا يوجد تطرق لقضية الصدمة كما هو في التعريف باللغة الإنجليزية، فللتعريف في اللغة الإنجليزية يجزم بوجود الصدمة ، ويعمل على تقديم العلاج

للتخفيف من عوارضها المدمرة، في حين أن التعريف باللغة العربية يتطرق في طرحه إلى أن المركز يعمل على نشر المعرفة والوعي حول مواضيع الصحة النفسية؛ من أجل الوقاية من الصدمات النفسية، ولكي لا يبرزها كما أبرزها في التعريف باللغة الإنجليزية.

يظهر من خلال التحليل أن هنالك خطاباً موجّهًا للممول الغربي؛ لمراعاة تقنيات خطاب تتناسب مع البرامج التي يعمل الممول الغربي على طرحها، وبالتالي قد يتسنى للمركز الحصول على فرصة التمويل، حيث يوضح خصوصية الواقع الفلسطيني، نتيجة العنف السياسي الذي يفرز الصدمات النفسية التي قد يترتب عليها وجود أشخاص ومرضى نفسيين بحاجة إلى العلاج النفسي. كما يعمل المركز على استخدام خطاب موجه إلى الأشخاص الفلسطينيين الذين يتم العمل معهم أو إلى القارئ العربي، حيث يحرص هذا الخطاب على أن الشعب الفلسطيني يعاني من نير الاحتلال، ويحتاج إلى توعية في مجال الصحة النفسية كي لا يقع فريسة للصدمات النفسية.

لعله يتضح من خلال ما سبق الإشارة إليه، أن هنالك لغة خطاب (أو إن صح القول أيديولوجية خطاب) مزدوج، تستخدمها المؤسسات غير الحكومية في سعيها للحصول على المشاريع الممولة من الجهات المختلفة، وبهذا نستنتج أن بنى المؤسسات غير الحكومية والتوجهات النفسية التي تعمل بها هي عبارة عن اقتصاد للصدمة، اقتصاد استعماري إقصائي بالأساس، بحيث يقصي إشكالاً أخرى من الذوات (الذات المقاومة المناضلة)، ويعزز ويبرز الذات التي تعاني من الصدمة.

ورد في تعريفات المركز أن العلاج والتأهيل هي خدمة غير مدفوعة الثمن وهي مجانية بالكامل، وفقاً لآلية العمل التي يتبعها المركز، والتي يتبنى فيها التوجه العملي لتقديم الخدمة النفسية من خلال الزيارات المنزلية. وبهذا فإن ممارسة التوجهات النفسية العلاجية رقم من خلال أطر ومناهج التوجه الغربي التقليدي، وهي نفس الأطر الممولة. وهذا التوجه نفسه، والذي خلق في سياقه الأصلي بحد ذاته، يوجد فيه إشكالية، ويتم نقله واستيراده لحل مشاكل الأفراد والذوات الفلسطينيّة القابعة تحت العنف الاحتلالي، بمعنى أن عملية تشخيص الآثار النفسية

ليست نقاشاً جدلياً بحد ذاتها حول قيامها أم لا، حيث أن النماذج الغربية المطبقة هي قوالب جاهزة ، افترزه ا  
حاجة النظام الرأسمالي إلى ضبط الأفراد في مجتمعاتها ، ويتم استجلاهما وتطبيقها كما هي على المجتمعات العربية  
(ومنها المجتمع الفلسطيني)، وليست النماذج المحلية التي تفرزها حاجة الواقع الفلسطيني.

هنا؛ يبرز تساؤلين: الأول، ترى ما هو السعر الذي يتم دفعه حقاً، مقابل هذه الخدمة المجانية التي تصل بخدمة  
الإيصال إلى البيوت في المناطق كافة (Delivery)، رغم صعوبتها. والثاني، هذا التنبؤ للمناهج الغربية التقليدية  
في العلاج النفسي في سياقنا الفلسطيني، هل يحمل في مضمونه إشارة إلى افتقارنا إلى خبرات، تشكل أطراً لممارسة  
توجهات نفسية علاجية نضج من سياقنا الفلسطيني؟

من خلال اتباع المركز لمناهج علم النفس الغربي، والتي سيتم الوقوف عليها وفحصها في الأبواب القادمة، فإنه  
بذلك يمارس الضبط الاجتماعي على المنتفعين، من أسرى وأهالي شهداء وغيرهم من الفئات الأخرى المتضررة من  
الاحتلال الإسرائيلي، فهذه المناهج ممنهجة ومدروسة من قبل الممول، وعن غير وعي العاملين في المركز من  
أخصائيين أو مدراء، وهي بذلك تؤدي وظيفة اجتماعية، كوسيلة من وسائل الضبط، ولكن وسيلة نفسية  
علاجية، بحيث تغرس ما هو مرغوب فيه، وتعمل على إبعاد الجماهير أو الفئات عن المرغوب عنه، وبهذا يكمن  
المرغوب عنه في تعزيز قيم النضال والصمود وغرس مفاهيم التحرر ودمج الذات، التي تعاني من مشاكل نفسية مع  
الذوات الأخرى في سياقها الاجتماعي والسياسي وتاريخها الطويل من مناهضة الاحتلال. أما المرغوب فيه  
فيكمن في غرس قيم الفردانية، وتعزيز روح الأنا لدى الأفراد، بعيداً عن الأنا الكلي الجماعي حسب مناهج  
العلاج المستخدمة، والتي تظهر هذا الجانب، وبالتالي تكون بعيدة عن السياق الاستعماري.

### قضية التعذيب

من هم ضحايا التعذيب حسب رؤية المؤسسة؟ يعتبر المركز أن المتضررين بشكل مباشر من ممارسات  
الاحتلال، وهم: ضحايا العنف المنظم ذو الدوافع السياسية؛ ومن ضمنهم الأسرى وعائلاتهم، والجرحى، وأهالي

الشهداء، والمعاقين، وضحايا جدار الفصل العنصري، وضحايا اعتداءات المستوطنين، والفئات الفقيرة والمهمشة الأخرى. وهم، جميعاً، ضحايا التعذيب.

هكذا؛ يتركز تعريف المركز لضحايا التعذيب على فئة الأسرى المحررين من السجون الإسرائيلية، الذين تعرضوا لتعذيب نفسي وجسدي خلال فترة احتجازهم. ولكن نقطة الجدل هنا هي أن المركز يتناول مصطلح الأسير / الأسرى وليس المعتقل، وهذا ما يختلف معه عضو مجلس الأمناء (خ، ب)، بقوله:

"وأنا بالمناسبة، لا أتفق مع مصطلح أسرى؛ أنا بعتقد أنهم هم معتقلون مدنيون يزرعون تحت

الاحتلال، وجرى اعتقالهم، وتحميهم معاهدة جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب.

الأسير هو ذلك الذي يمارس عملاً عسكرياً ويأتي من خارج البلاد....".

عند التمعن في هذا المفهوم نجد أن دلالاته تبرز المعنى الذي حرص مؤسسوا المركز في البداية، ولاحقاً من واصل العمل في المركز، على انتقائه؛ بشكل حذر وواعٍ للدلالة التي يحملها هذا المفهوم، بمعنى أنه في اعتبار "ضحايا التعذيب هم الأسرى الذين يتعرضون للاسرة في السجون الإسرائيلية" إشارة إلى ربط الأمر بوجود الاحتلال على الأرض، وأن الممارسات التي يقوم بها الاحتلال هي التي تنتج ضحية التعذيب.

في هذا الصدد، فإن فلسطين ليست بدولة وليس لها جيش نظامي، ولذا فإن المجتمع الفلسطيني يشكل في تواجده مجتمعاً مدنياً تحميه اتفاقية جنيف الرابعة. فالأسير بهذا الطرح الذي تناوله المؤسسة يعني المقاتل أو الجندي الذي يتم القبض عليه من قبل العدو، ولا يخضع الأسير للتحقيق والمحاكمة، ويعود إلى بلده بعد انتهاء حالة النزاع المسلح بين الأطراف المتعادية، في حين أن المعتقل يتم التحقيق معه ومحاكمته، ويعود إلى أهله بعد أن ينهي فترة محكوميته.

بناء على ذلك، يفتخر السجناء الفلسطينيون الذين يقعون في سجون الاحتلال معتقلين، وليسوا أسرى حرب؛ تنطبق عليهم بعض بنود اتفاقية جنيف الرابعة للمعتقلين السياسيين، فهم جماعات وتجمعات تخوض النضال<sup>23</sup>

الذي أقرته الأمم المتحدة في بنودها في مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، والتخلص من الاستعمار الأجنبي<sup>24</sup>. ولكن في الحالة الفلسطينية تقف الأمم المتحدة عاجزة عن تطبيق مبادئها ومبادئها التي رسمت من أجل الحفاظ على الأمن والسلام العالمي، والذي يجعل من الأمم المتحدة منظمة غير حكومية عالمية تعمل من أجل أنظمة سياسية رأسمالية، تمول أعمالها ومشاريعها وتخدم أيديولوجيتها بالأساس؛ فهي السوق الكبير بهذا الموضوع، والسلعة تكون المنظمات غير الحكومية المصغرة عنها، لتظهر لنا الأمم المتحدة، وكذلك المؤسسات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي، على أنها تتدخل بعد وقوع الأزمات والحروب، فهي لا تحد منه، ولكنها تقف متفرجة محايدة إلى حين انتهائها. ويظهر لنا كل ذلك أن الاتفاقيات، ومن ضمنها اتفاقية جنيف الرابعة، بوصفها جزء من القانون الدولي الإنساني، مهمتها تأطير وإعادة العلاقة بين الشعب الفلسطيني وإسرائيل (حنفي وليندا، 2006).

24 قرار الامم المتحدة رقم 3013 لعام 1973 الصادر عن الجمعية العامة ينص على: أن كفاح الشعوب الواقعة تحت السيطرة الكولونيالية و الاحتلال الاجنبي والانظمة العنصرية، من اجل تحقيق حقهم في تقرير المصير والاستقلال، هو شرعي وينسجم كلياً مع مبادئ القانون الدولي. شوقي، عيسى (2013) أسرى حرب أم معتقلين مدنيين؟! النظر، الموقع الالكتروني: <http://www.shawqiissa.org>



## مفهوم التعذيب

جاء مصطلح التعذيب، في تسمية المركز في البدايات ، وفقاً لارتباطه بقضية التعذيب النفسي والجسمي الذي يتعرض له الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ولكن لاحقاً لم يعد يقتصر مصطلح التعذيب على الحالة الفلسطينية الإسرائيلية فقط ؛ وإنما شمل جوانب أخرى، حيث أوضح أحد أعضاء مجلس أمناء المركز، وهو أحد المؤسسين للمركز ، هذه القضية ، بقوله : " لم يخصصوا من أي جهة ( يتم ) التعذيب ، لأنه يمكن أن يكون من الجانب الإسرائيلي أو الفلسطيني أو داخلي مجتمعي . التعذيب هو من يملك السلطة، ويمارسه تجاه شخص خاضع له حسب التعريف الذي ورد في اتفاقية مناهضة التعذيب . لكن أنا " بشروف أن الضحية بتفرقش مين الي ضربته؛ أبوه والا شرطي عشان أسميه تعذيب".

بناء على ما ورد فإن التعذيب ، وفقاً لإتفالية مناهضة التعذيب ، هو التعذيب المنهجي والمنظم المتبع وفقاً لسياسة وغاية معينة والذي يكون مُأسساً، أي تنفذه جهة رسمية (حكومية أو دولة وليس أفراداً) وفي إشارة أخرى، حسب ما ورد في مصطلح التعريف لدى المركز ، انه عندما اختار مصطلح التعذيب لم يحدد جهة التعذيب، وعليه فإنه قد يشمل التعذيب الذي قد يرد في إطار العنف غير المنظم (من قبل أفراد)، وفي هذا ربما يكون هناك لبس في تعريف التعذيب الواردة في تسمية المركز ، من حيث أنه يساوي بين المعذب الفلسطيني والمعذب الإسرائيلي ، وهذه المساواة هي في رأيي كارثية، فهي تُخ رج الخاضع للتعذيب من سياق التعذيب الاستعماري ؛ من خلال المساواة بين الطرفين، وتشوه التاريخ، أيضاً، أي تاريخ الحالة التي تعرضت للتعذيب، فالذي يضربه أباه يختلف عن ذلك المعذب في زنازين الاحتلال، وفي أقبية المخابرات.

وقد أوضح أحد الأخصائيين وجهة نظره، أن هوية المعذب أشد ضراوة نفسياً، حينما تمثلها مؤسسة السلطة الفلسطينية بممارستها للعنف المنظم في سجونها، حيث يعمل مع الجهتين، عند سؤاله عن أيهما أصعب: العمل مع الحالات المعذبة في سجون الاحتلال ، أم في سجون السلطة من ناحية الأثر النفسي؟ فكان جوابه كالتالي :

"عند الإسرائيلي أسهل؛ تحديد العدو والاتجاه، ولكن الأثر النفسي أكبر بكثير وعلاجه أطول مع ضحايا التعذيب في سجون السلطة".

نجد هنا أن مفهوم "ضحايا التعذيب" أصبح يشمل، أيضاً، السجناء في سجون السلطة الفلسطينية، بمعنى أن جهة التعذيب أصبحت مرتبطة أيضاً بجهاز السلطة، بغض النظر عن أن هذا الجهاز الذي يقوم بممارسة التعذيب بحق المواطنين الفلسطينيين يقع ضمن إطار الكيان الإسرائيلي الاستعماري. وبالتالي فإن الأثر النفسي على ضحية التعذيب يكون أشد إن كان المعتدب فلسطينياً، أما إذا المعتدب إسرائيلي فإن قدرة (ضحية التعذيب) على الخروج من الأثر النفسي وتخطي الازمة تكون أكبر.

كما يتناول المركز قضية التعذيب من خلال التصريح بأنه يعمل على مناهضة التعذيب، من خلال برامج في مجال التوعية والبحث والضغط والمناصرة، وعلى وجه الخصوص بلتباع خطاب حقوق الانسان والمواثيق الدولية، وتشكيل قاعدة بيانات تعتبر مصدر أ عن الانتهاكات، وممارسات التعذيب بحق ضحايا التعذيب، والآثار التي تنجم عن هذه الممارسات على المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث أن دور المركز يكمن، حسب ما أورده مدير دائرة البحث وبناء القدرات في:

"البرامج التوعوية والتدريب حول مواضيع ذات علاقة بالصحة النفسية، وتجريم وتعذيب، حسب ما ورد في: اتفاقية مناهضة التعذيب، والبروتوكول الاختياري، والقانون الدولي الإنساني، والأشياء القانونية الأخرى المترتبة على التعذيب، التي تستهدف الأجهزة الأمنية؛ لأن هناك مستشارين أمنيين لا يعرفون ما هو التعذيب، وهناك خلط بين التعذيب والعنف، وهذا يتوجب علينا التغلب عليه لتقليل ظاهرة التعذيب... إحنا عندنا قاعدة بيانات، في تقديري لا يوجد مثل لها في الدول الغربية بتقدمها، في التقييم والمراقبة والتوثيق للعمل، وقياس النتائج بطريقة علمية، نكاد نكون المؤسسة الوحيدة التي تعنى في ضحايا التعذيب، ومن فترة إلى أخرى، بناء على البيانات، نصدر إحصائيات ونماذج، وفق وثيقة اسطنبول التي تُخرج عدد ضحايا التعذيب

وتكراره وتركيزه ونوع التعذيب وتأثيره على المستوي النفسي والاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة

إلى التوثيق لضحايا التعذيب من أجل الحفاظ على حقوقهم".

يتم هذا العمل من خلال إدخال عدد الحالات التي يتعامل معها الإحصائيون في برنامج إحصائي على الحاسوب بشكل إسبوعي، ولقد لثنت الباحثة أثناء عملها يقوم بهذا الدور؛ أي إدخال بيانات الحالات وعدد الجلسات والأنشطة اليومية لدائرة العلاج، وقد كان يتم آخر الشهر إستخراج التقارير، لمراقبة وتتبع عمل الإحصائيين، وفق الخطة السنوية التي كان يطلب فيها من كل فرع عمل جلسات بعدد معين، على سبيل المثال فرع الخليل (1200) جلسة وفرع نابلس (1200) جلسة، ولكن الفرع الرئيسي يشكل ضعفي هذه الجلسات. وسوف يتم توضيح هذه النقطة من خلال التقرير الإحصائي السنوي لعام (2009)<sup>25</sup>، الذي يظهر عدد الجلسات العلاجية الفردية والجماعية، بحيث شكلت عدد الحالات الفعالة التي يتم العمل معها خلال السنة 1172 حالة، وعدد الحالات القديمة المأخوذة من السنوات السابقة، وما زالت تحت قيد العمل معها (680) حالة، وعدد الحالات الاستشارية الفردية؛ أي رؤية الحالة مرة أو مرتين فقط، تشكل (1942) حالة، وتأخذ بعين الاعتبار في تلك السنة أن عدد الأخصائيين كان ثلاثين إحصائياً وأخصائية، بالإضافة إلى أربع أطباء نفسيين موزعين على فروع المركز. بحيث شكلت عدد الجلسات لتلك السنة (17535) جلسة؛ ما بين الجلسات المكتتبية الذي يصل عددها إلى (4024) والزيارات الميدانية (9654) والاستشارات الفردية (3857). والفئة الأكبر التي تم العمل معها هي فئة ضحايا التعذيب، بحيث شكل مجموع عدد الحالات (442).

إن عدد الجلسات ونوعها، فردياً أو جماعياً، يقرر ضمن الخطة السنوية التي تأتي مع المشروع الممول، فيشترط المشروع الممول، ويجدد مسبقاً طبيعة الأنشطة التي يقدمها طاقم الأخصائيين، وتكون الفئة المستهدفة مشترطة مسبقاً، وهم الأسرى، بناء على الهدف الذي قام من أجله المركز ويحدد مقترحات مشاريعه لهذا العمل. ولكن بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية في العام 2000، اهتمت المشاريع الممولة بفئة الأسرى الأطفال.

يستدعي التركيز على فئة الأطفال الأسرى الوقوف عليه وطرح التساؤل: لماذا تقوم المشاريع الممولة بإستهداف الاطفال؟ والجواب هو برأبي لأنهم يأخذون بعين الاعتبار الأطفال في سن يتشربون ألم تجربة السجن ، حسب سيكولوجية الأطفال التي نص على أن الطفولة هي طور التشكيل والتطور الجسماني والمعرفي والاجتماعي ، والأطفال هم الأكثر عرضة للمعاناة من تجربة التعذيب النفسي داخل السجون الإسرائيلية ، وبالتالي فإن بنيتهم النفسية هشة، وبحاجة لعلاج ضمن ما يفترضه الممول ، نظراً لأنهم في الغالب الفئة غير المؤطرة أيديولوجياً ، وغير المعبأة سياسياً وتنظيمياً، حيث أن هذه الفئة عندما تتعرض لتجربة العلاج والتأهيل النفسي بعد تعرضهم لتجربة السجن، يجعل بعضهم يصلون إلى قناعة أن تجربة السجن حرمتهم من استكمال التعليم ، وبالتالي قد لا يعودون لممارسة النشاط النضالي.

بمذهذه الذهنية قد يتشكل مفهوم عن الذات حسب ما يريده الممول ؛ وهو الهوية الفردانية (بعيداً عن الهوية الجماعية) التي تسعى أجنحة الممول من أجل تفرغ الذات من محتواها النضالي ، ومن سمات الشخصية المناهضة للاحتلال التي تشكلت من التاريخ والإرث النضالي للأجيال السابقة ، طوال سنوات من العمل المقاوم والسعي للحرية. كما أننا نلاحظ تسليط الضوء على الكم الإحصائي لقضية التعذيب، كأنما تحولت لقضية رقمية حسب التقرير السنوي دون الإشارة الى المناهضة الفعلية أو لثيقية المناهضة او آلية المناهضة إلى قضية التعذيب.

## الباب الثاني: التناقضات حول النشأة

يتناول هذا الباب الروايات المتعددة لنشأة المركز، ويتتبع أوجه الإجماع والتناقض حول رواية النشأة، في سياقها العام الذي تأسست فيه، وذلك بهدف تحليل التحولات على رؤية المركز لذاته، وتتبع خطاب الصحة النفسية والتحولات عليه كذلك.

## السياق العام الذي تأسس فيه المركز

لقد تم تسجيل مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب في بداية إنشائه تحت اسم "شركة غير ربحية" من الناحية القانونية في دوائر الإدارة المدنية الإسرائيلية، وكان الهدف من ذلك التسجيل التحايل على الاحتلال لتفادي الملاحقة من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلية لدفع الضرائب، وكان هذا في أواسط التسعينات. وبعد تأسيس السلطة الفلسطينية أقرت في عام 2000 قانون الجمعيات الخيرية والمنظمات الأهلية، الذي طالبت فيه المؤسسات بتقييد أمورها القانونية.

لا يمكن فهم هذا التحول بعيداً عن السياق السياسي القائم في تلك الفترة؛ إذ اتسمت فترة في أواخر التسعينيات بنسب أولي لبيئة دستورية وقانونية، وهو الشكل الملائم والمنظم لإنشاء علاقة بين السلطة الوطنية الفلسطينية وبين المؤسسات غير الحكومية للعمل معاً لتطوير بيئة حكم عامة ومشاركة، ولكنه يعتبر على أنه غير كافي، وذلك لعدم توفير الحد الأدنى من البيئة العامة في حالة انتقالية بين مجتمع يعيش في دولة ذات سيادة وحكم محدود الصلاحيات على الأرض (لدادوة وآخرون، 2001).

لقد وقعت فترة الإنشاء للمركز بين عامي 1993-1997 ما بين بزوغ الفكرة وترسيخها، وتعتبر هذه الفترة مفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية؛ إذ كان طابعها نابعاً من اتفاقيات بين السلطة الفلسطينية وبين سلطات الاحتلال الإسرائيلي بما يهرف ب"اوسلو". وقد تم، على أساس ذلك، الانسحاب من غزة وأريحا لتأسيس سلطة

وطنية فلسطينية في الضفة الغربية . وفي عام 1995 في واشنطن تم وضع تفاصيل انتخابات المجلس التشريعي وانتخابات الرئاسة للسلطة، وتم إقرار العديد من القوانين من ضمنها قانون الجمعيات الخيرية (الشوا، 2000).  
 يضعنا هذا كإله يضعنا في الصورة لفهم البنية العامة التي تشكلت فيها المراكز غير الحكومية في ظل السياق الاستعماري، بحيث تم إقرار القوانين التنفيذية للسلطة خارج فلسطين، وبناء على إتباع النموذج الغربي لبناء مجتمع مدني، بغض النظر عن المدرسة الفكرية، وذلك من أجل دعم (عمليتي التنمية والسلام) تحت شعار "تدخلات تنموية" في مرحلة ما بعد أوسلو ، التي تعهد فيها المجتمع الدولي (من خلال مؤتمر الدول المانحة المنعقد في واشنطن)، بتقديم مبلغ (204) بليون دولار خلال خمس سنوات 1994-1998 من أجل إنعاش الاقتصاد الفلسطيني، والذي سوف يباشر على العملية التنموية وذراعها التنفيذي المتمثل بالمفوضية الأوروبية أو الاتحاد الأوروبي، الذي يمول المشاريع ، ويشكل الوسيط بين الدول المانحة والمؤسسات غير الحكومية، من أجل بناء القدرات المؤسساتية والتدخلات لدعم وزارات السلطة الوطنية، ورفع مستوى حياة الأفراد (نخلة، 2004)، والتي وفرت الفرصة والمساحة للزيادة من حجم التمويل.

وقد أغرقت الدول المانحة الضفة الغربية وقطاع غزة بالأموال الوفيرة، على الرغم من صغرها الجغرافي، ويبيّن ساري حنفي حجم هذه المساعدات ، في دراسة تفصيلية أجراها عام 1999 عن حجم هذه المساعدات من الجهات المانحة، رغم عدم إفصاح عدد من المنظمات عن الأرقام والبيانات، فوصلت المساهمات آنذاك إلى أكثر من 60 مليون دولار سنوياً (حنفي وطير، 2006).

كما لاحظنا من خلال تعريف المركز عن نفسه، ورؤيته أنه يسعى إلى تحقيق تنمية المجتمع عبر تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية والطبية والتوعية حول حقوق الإنسان. ولفهم خطاب التنمية في الحالة الفلسطينية، الذي يحاول المركز تبنيه وإتباعه، من غير الممكن فصل هذا الخطاب عن السياق العالمي لتنمية المجتمعات؛ فالجتمعي الفلسطيني ليس المجتمع الوحيد الذي يعاني ويعاني من انعكاسات وإسقاطات الخطاب النيو- ليبرالي المعولم، الذي تدعمه

المؤسسات الدولية كوسيلة للتدخل في دول العالم الثالث، حيث أن خطاب التنمية، في هذا الإطار، هو أداة هيمنة غربية لتشكيل فلسطين ودول الشرق حسب ما يراه هذا الخطاب وبالصورة التي يريده أن يكون عليها. ويرى صبيح (2011) أنه في إطار هذه المنظومة "تصبح التنمية المصير المحتوم للشعوب، وما على الشعوب إلا استخدام الوصفات المعدة سلفاً لبلوغ هذا المصير، بحيث تصبح التنمية أقرب إلى العقيدة، إذ أنها تحدد السلوك الفردي والجمعي، وتصف مستقبل البشرية، في حال توافق هذا السلوك مع الوصفات التي أعدتها المؤسسات الدولية، وتحديدًا للدول والشعوب المستعمرة سابقاً، والتي ما زالت تحت الاستعمار (صبيح، 2011).

خلال الفترة التي سبقت أو سلو نرى أن مصادر التمويل كانت متنوعة؛ فبعضها كان تمويلًا عربيًا إسلاميًا، وبعضها الآخر كان تمويلًا غربيًا مقدمًا من الجهات المانحة، ولكن لم يكن الحديث عن التنمية والصحة النفسية آنذاك قضية أولوية، ولم تكن الأموال من المصادر العربية والإسلامية لتحقق تنمية في وقتها لأنها كانت تحت شعار المعلن "دعم الصمود" (كثب وآخرون، 2010)، فدعم الصمود في هذا السياق بحد ذاته هو عملياً عبارة عن تقديم دعم نفسي معنوي وتضامن عربي وإسلامي للقضية الفلسطينية، الأمر الذي يشكل عاملاً مهماً للتخفيف من الآثار المترتبة على الاحتلال وبناء الجِدِّ النفسي والقدرة على التحمل وتعزيز الذات والإيمان بالقضية، بحيث يرتبط الدعم النفسي بالسياق السياسي العام.

إن القصد من التمويل الخارجي المشروط والتوجهات النفسية، هو جعل الحياة اليومية تحت الاحتلال أكثر تقبلاً، وهذا لا يتم إلا من خلال التدخل المباشر في تطوير المجتمع المدني وتوظيف أهدافه في المنظمات غير الحكومية لتؤدي مهمتها، في خلق شرائح وفئات منتفعة من تلك المساعدات، تحت شعارات الدعم النفسي وعلاج ضحايا التعذيب وغيرها، في الوقت الذي يتم فيه تفكيك القضايا ذات المصالح الجماعية العام عبر إلقاء الضوء على المشكلة وتعزيزها أو الصدمة النفسية الفردية، وإعطاء تفسير آخر ليس فقط لجعل الحياة أكثر تحملاً تحت الاحتلال كذلك لتجسيم مقاومته مستقبلاً (المتنفع النفسي).

إن التحولات التي طرأت على المؤسسات غير الحكومية، وخطابها في السياق الفلسطيني، اختلفت بعد أوسلو؛ بحيث أدت إلى تراجع العمل النضالي والوطني، والذي جاء متزامناً مع هيمنة الفكر الليبرالي الجديد والأجندة الرأسمالية الغربية، بشكل يعيد فيها إنتاج علاقات الاستعمار السياسي والاقتصادي في المجتمع الفلسطيني، ويعمل على احتواء أي قوى ثورية، تكون قادرة على التصدي ومقاومة الاحتلال والنظام العالمي الذي يدعمه؛ من خلال توظيفها في المؤسسات غير الحكومية، التي تكون من حيث البنية الاعتمادية تابعة إلى النظام العالمي الذي تسيطر عليه الأنظمة الرأسمالية، وبالتالي، يجب أن يكون الخطاب النفسي متواطئاً مع هذا الخطاب العالمي، وأن يدعمه ويتم تهيئة الأفراد نفسياً لتقبله كبديل (كتاب وآخرون، 2010).

### التحولات على رواية النشأة

حسب ما ورد في البروشور التعريفي للمركز: "في العام 1997 تبلورت فكرة تأسيس المركز ليكون مؤسسة أهلية مستقلة غير ربحية، تقدم خدماتها لضحايا التعذيب والعنف المنظم، وكان ذلك بمثابة تنويع للخبرات المتراكمة في التعامل مع قضايا واحتياجات التعذيب، وأسره، ومن لهم علاقة بهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويشاركوهم في المعاناة المترتبة عن الأحداث المؤلمة التي مروا بها. وتعود جذور المركز إلى منتصف الثمانينات حين كان بعض المهطوعين، من مهنيين وعاملين في مجال الصحة النفسية، يقدمون خدماتهم للمعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية بالقدر الذي كانت تسمح به الظروف آنذاك."

وفقاً لما ورد في الرواية باللغة الإنجليزية على الموقع الإلكتروني للمركز، نستطيع ملاحظة أن رواية النشأة على الصفحة العربية تركز على نفس التعريف الذي نجده في البروشور التعريفي، ولكن دون ذكر الجذور التاريخية للإنشاء. وعند قراءة تاريخ النشأة في اللغة الإنجليزية على الموقع نلاحظ أن هنالك روايات مختلفة ترجمتها كالتالي:

"أنشئ مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب عام 1997 على يد الاستشاري في الطب

النفسي دكتور محمود سحويل، حيث جاءت فكرة إنشاء وتطوير المركز على إثر الانتهاكات



التي ارتكبتها الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية ، على مدار خمسين عام . حيث لاحظ الدكتور محمود سحويل أن المؤسسات القائمة لمساعدة ضحايا التعذيب كانت تنقصها المعرفة والخبرة، فروح الدكتور محمود لفكرة الربط بين التعذيب والصدمة النفسية التي يجتربها الفرد، ومن ثم بدأ عملية توظيف أفكاره عبر إعطائه للعديد من الضحايا مكاناً لمناقشة وتفريغ مشاكلهم لأول مرة . وفي أواخر التسعينات بدأ مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب ب في التعاون مع منظمات أخرى المناهضة للتعذيب . وبعد ما تلقى تمويل من (SDG)<sup>26</sup>، كان قادراً على إنشاء مجلس الأمناء، وبعدها بدأت سمعة مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب ومنظمات حقوق الإنسان الرائدة في فلسطين بالنمو والتطور . وبعد الانتفاضة الثانية في العام 2000، تغيرت الأحوال السياسية إلى حد كبير، وأصبح العمل في المركز أداة ضرورية لضمان الصحة النفسية للعديد من المواطنين الفلسطينيين. وقد أدخلت من بعدها فكرة المناصرة ومشاريع الأبحاث التي من شأنها ليس الترويج فقط لعمل مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب فحسب، وإنما أيضاً للآثار النفسية الناجمة عن التعذيب التي تلحق بالأفراد . وقد واصل عمل المركز بالنمو، وعمل المركز على تعزيز عمله الفريد في كل أنحاء فلسطين، بحيث أصبح المركز لاعبا رئيسيا في قطاع العلاج وإعادة التأهيل، من خلال العمل في مجال الضغط والمناصرة – إذ أصبح TRC سباقاً للضغط والمناصرة والأبحاث وبناء القدرات في مجال حقوق الإنسان ككل".

رواية أخرى للنشأة:

في مقابلة مع أحد المؤسسين، جاءت رواية أخرى للنشأة، حيث قال:

"فكرة إنشاء مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب هي بالأساس بزغت من مؤسسة مانديلا لرعاية شؤون المعتقلين ... في الانتفاضة الفلسطينية الأولى كان عدد المعتقلين الفلسطينيين يتزايد بدرجة

كبيرة حتى وصل في فترة من الفترات إلى ما يزيد عن 40 ألف معتقل في حقبة زمنية واحدة، في مختلف السجون والمعتقلات الإسرائيلية ... هذا الاعتقال الكبير للفترة الأولى من الانتفاضة ، لم نكن نحن نلمس أي تبعيات نفسية تعود على المعتقلين ، إلا بعد ما "طلعوا" من السجن، في البداية الكم الكبير من المعتقلين تعرضوا لأساليب تعذيب سواء كانت جسدية أو نفسية... "هلاً" بالنسبة إلنا إحنا في مؤسسة مانديلا ، وأنا كنت عضو مجلس أمناء، كان في هديك الفترة أحد الأشخاص اللي بساعدونا في زيارة السجون من ضمن الأطباء العاملين ، كان دكتور محمود سحويل. فالدكتور محمود سحويل كان يقوم بزيارات منتظمة إلى السجون و في الزيارات كان يقوم بمعاينة الأسرى الموجودين في داخل السجون الإسرائيلية . هلاً الدكتور محمود سحويل كان يأتينا بتقارير ويقول أنو في هاي التقارير في جزء كبير من الأشخاص يعانون مشاكل نفسية فللي صار إن إحنا طرأت فكرة أنو نبدأ نعمل مركز، لان مؤسسة مانديلا هي مؤسسة تقوم بزيارة السجون، لكنها بعد ما ينتهي عمل السجن يطلق سراحه ما إلها دخل فيه .. واستلهمنا تجربة من جنوب أفريقيا عندما جرى إطلاق سراح المعتقلين، وأصدرنا كتيب إسم "مرحلة الحرية" إللي حكينا فيه مع تعديل كبير تجربة المعتقلين الذين أطلق سراحهم في جنوب أفريقيا وكيف تعايشوا وعودتهم للاختراط في الحياة العائلية مجددا".

ومن هنا نستطيع قراءة التحولات على رواية النشأة منذ البد ايات، بحيث أن الخطاب النفسي والآثار النفسية لدى الاسرى الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية كان ثم سيجي ضمن خطاب القضية السياسية العامة قبل مرحلة أوسلو وغير منفصل عنها، في حين أنه فترة ما بعد أوسلو أصبح الخطاب النفسي خطاباً منفرداً وقائماً بحد ذاته وبعيد عن الخطاب السياسي العام في المنطقة، الأمر الذي انعكس على العمل وابتعد عن الرؤية الأ سياسية للتأسيس التي استلهمت من تجربة جنوب افريقيا فيما يخص جانب المعتقلين.

تجسدت تجربة جنوب افريقيا في ممارسة علم النفس ، وهي إحدى دول العالم الثالث ، من خلال تأسيس علم النفس التحرري، الذي يدرس المشكلات النفسية ويفهم الفرد في إطار سياقه الاجتماعي والسياسي، والذي عرف بعلم النفس المجتمعي والذي يهدف من خلال ممارسته إلى تمكين الأفراد كجماعات مجتمعية فاعلة ، وقادرين على تغيير ظروفهم الاجتماعية التي وُلِدت معاناتهم النفسية، حيث برز علم النفس البديل هـ ذا عن علم النفس التقليدي في فترة التسعينات من القرن العشرين، بحيث لا تفصل هذه الممارسة عن قضية النضال من أجل حقوق الإنسان وضد القمع، وضمن خطاب يسعى إلى إعادة البناء للمجتمع، وهي التي صنعها علماء النفس الاجتماعيون أنفسهم للعمل في سياقهم الاجتماعي الثقافي الافريقي، بإعتبارهم القوة الاجتماعية التي تعزز الحالة الوطنية القائمة على مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية في جنوب افريقيا.

فهذا هو النموذج الذي تأسس على غراره مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب ، كما أشار أحد المؤسسين في حديثه السابق، ولكن هل كان المركز على أرض الواقع نموذجاً تحريراً على شاكلة النموذج الافريقي من ناحية التطبيق والممارسة؟ أم هل عمل على تكريس استمرار الخطاب الاستعماري المستورد من الخارج دون تنقيح ، وفقاً للذهنية وإرادة وأجندات الممول الغربي؟ وهذا ما سوف يتم إلقاء الضوء عليه والتحقق منه في الصفحات القادمة .

### الرواية السائدة للنشأة، والتي ينشرها المركز عن نفسه، وفيها شرح عن سبب توسيع الفئات المستهدفة

ذكر مدير دائرة البحث وبناء القدرات في المركز في حديثه عن الرواية الدارجة ، والأكثر شيوعاً والمتداولة بين العاملين في المركز، ما يلي:

"تأسس المركز عام 1997، وجاء تأسيسه بناء على حاجة كوننا شعب تحت الاحتلال ، وهناك تواصل في تلقي الصدمات، بشكل متواصل ومتنوع ومستمر، وبالتالي هذا يؤثر على كل فئات الشعب الفلسطيني ، وتحتم على المركز من بداية الانتفاضة الثانية بتوسيع الفئات المستهدفة، بحيث (بطل) مقتصر فقط على فئة ضحايا التعذيب وأصبحت لأسرهم هؤلاء الفئة

المعذبة ... الشيء الآخر أن أصبح لدينا شريحة كبيرة من العائلات الفاقدة أي bereaved family والجرحي ... الذين تعرضوا لإعاقات وهم في مقتبل العمر، وبالتالي ما في تقبل لهذا الصدمة وأصبح هناك حاجة لتقدم دعم نفسي من أجل أن يستأنفوا حياتهم . الجانب الآخر الجدار وما يترتب عليه من فقدان للأرزاق والأرض والمدخرات التي تعتبر مصدر أساسي للناس، كل هذه العوامل ساهمت أو عملت لكي نوسع الشريحة التي نستهدفها، وبالتالي نتيجة لكل هذه العوامل يوجد في المركز أربعة برامج أولها وأهمها حسب تقديري هو برنامج العلاج النفسي والاجتماعي الذي يتشكل من فريق من الأخصائيين النفسيين وطبيب نفسي وأخصائي اجتماعي".

نستطيع هنا أن نلاحظ الاستجابات السريعة للتدخل النفسي بعد الانتفاضة الثانية، والحاجة إلى إنشاء برامج دعم نفسي جديدة مع مجموعة من الأخصائيين والأطباء النفسيين، وهذا ما أطلق عليه (Fassin & Rechtman, 2007) مفهوم القيمة المضافة للصحة النفسية (Added Value) وقد ورد في تقرير عن المدير العام لمنظمة "أطباء بلا حدود" في العام 2000 أن المستشفيات في الأراضي الفلسطينية أصبحت مجهزة تجهيزاً جيداً، وتملك طاقم أ من الأطباء ذا كفاءات عالية . وعليه، لا نستطيع إضافة قيمة جديدة، بالأخص في البلاد التي يكون فيها نظام الرعاية الصحية متطوراً، والتركيز في هذا النطاق، حسب وصفه، يجب أن يكون على قضية "الصدمة النفسية".

لقد وصلنا هذا المفهوم من المنظمات غير الحكومية الإ نسانية التي تعنى بالتدخل النفسي في مناطق الصراع والحروب، وقد عملت بهذا الاتجاه في يوغسلافيا سابقاً، ولكن بعد أشهر أو أسابيع من وقوع الأحداث الصادمة قبل طرح فكرة التدخل النفسي . ولكن في الحالة الفلسطينية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، كان نشاط الصحة النفسية **والعاملون** يتواجدون في الحدث، بعد انقضاء ساعات قليلة من هدم منزل أو استشهاد طفل أو

اطلاق النار على المدنيين، بحيث لا يتوفر أصلاً وقتاً لتطور ما يحرف باضطراب ما بعد الصدمة، وطبيعة العمل هذه كانت غير مألوفة (Fassin & Rechtman, 2007).

أي أن المركز يعمل وفق نموذج معد مسبقاً، أو قالب جاهز، يسمى "آليات التدخل وقت الأزمات" (Crisis Intervention Protocol)؛ بحيث يشرح أفراد الطاقم ردود الفعل الطبيعية للضغط النفسي للأفراد، وتتم خلال الساعات الأولى من الحدث الصادم استخدام آلية التدخل؛ لتفريغ شحنة التوتر الناتج عن الحدث والمعروف بـ (Defusing)، ويتبعها آلية إعادة المرور بالحدث الصادم في ظروف آمنة (Debriefing)، والهدف منه تقليل احتمال تطور أزمات نفسية فيما بعد<sup>27</sup>.

إن هذا، وغيره من فلسفة العمل في هذا الاطار، هو عبارة عن تنفيذ لسياسة الصدمة النفسية التي يتم التعامل معها مع كل الفئات المتضررة من أي نوع من الحوادث الصادم، بنفس الطريقة، وتستخدم نفس اللغة، وتعطي لتجارب الناس مصطلحات الطب النفسي؛ من قلق وخوف وفزع، التي هي عبارة عن عوارض للحدث المؤلم لكي يخلق الأخصائيون الحيز أو المساحة المسموحة للتعبير فيها عن ردة فعلهم الطبيعية، لكي تبقى حيز الحاجة لدعم نفسي ولا تتحول لترجته لعمل أي نشاط أو فعل مناهض لمسببات الاحداث الصادم من البداية.

<sup>27</sup> للمزيد أنظر كتيب تحت عنوان "التدخل وقت الأزمات" من إصدارات المركز

## التناقض في رواية النشأة

يقول الدكتور سحويل<sup>28</sup>: "تنامت فكرة إنشاء مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب من خلال تجريبي أثناء زيارات السجون الإسرائيلية، حيث كنت أعمل كأخصائي ومستشار نفسي في مستشفى الأمراض النفسية والعقلية في مدينة بيت لحم... فقد لاحظت أثناء توجيهي للسجون أنه، وبعد أن يتعرض العديد من المعتقلين الفلسطينيين للتعذيب، فإنهم يعانون من تأثيرات سلبية طويلة الأمد."

نلاحظ مما ورد أن د. سحويل لم يتطرق، في الطرح السابق للنشأة، إلى أن جذوره كانت تعود إلى مؤسسة مانديلا، وأن المركز افتتح كدور تكميلي لها، لأن مؤسسة مانديلا عمل مع الأسرى داخل السجن فقط، و أن فكرة المركز جاءت بناء على الحاجة لتدخل نفسي مع المحررين من الأسر. وتستند الرواية الأخرى لتجربة المعتقلين من جنوب أفريقيا، في تعایشهم وانخراطهم في الحياة مجدداً بعد التحرر من الأسر، نلاحظ أنها غير واردة في مقالته الصادرة عن المركز، كما أكد سحويل على وجود آثار نفسية سلبية طويلة الأمد للمعتقلين الفلسطينيين، طويلة الأمد، بمعنى تطور الاثر النفسي إلى حالة الاضطراب النفسي أو المرض النفسي، التي قد يعاني منها بعض (ضحايا التعذيب)، وبهذا فإنه ضمناً يتوجب وجود مؤسسات للعمل مع من يعانون لأن علاجهم يطول، الأمر الذي يقودنا إلى نقد تسمية المركز (علاج وتأهيل)، الذي يروج في المجتمع، وينشر مفاهيم متعلقة بالأسرى لعلاجهم وتأهيلهم، وبذلك فإن الأسرى لا ينظر لهم كمناضلين وعاملين وناشطين من أجل التحرر في سياقهم الوطني بمعناه الفلسطيني، بل يفيد أن الأسرى جراء الاعتقال والتعذيب يحتاجون إلى علاج وتأهيل، وهذا له دلالة محيطة حيث يلعب دوراً في تراكم تكوين نفسي لدى الأسير، بل والمجتمع يتطبع به ويتبناه بهذه الدلالة النفسية العلاجية المؤثرة سلباً.

كما أن تعريف النشأة، حسب الموقع الإلكتروني، يشير إلى أن "د. محمود سحويل" هو المبادر إلى إنشاء المؤسسة، وهو ما لا يظهر في التعريف الجماعي للنشأة، إذ أن محمود سحويل كان طبيباً نفسياً يعمل في

<sup>28</sup> في ورقة له مقدمة في كتيب صدر عن المركز بعنوان "معالجة الصدمة التي هي ليست ماضياً قد مر".

مستشفى الأمراض النفسية والعصبية في بيت لحم، وكان يقوم بزيارات منتظمة إلى السجنون تحت إيطار مؤسسة مانديلا، ومن ضمن توصياته أن هناك معاناة نفسية لدى الأسرى . وعليه، فقد قام جمع من العاملين من مؤسسة مانديلا بأخذ هذه التوصيات على محمل الجد، وبالتالي تبادرت إلى أذهانهم فكرة إنشاء هذا المركز في إطار جهود جماعية وليست فردية.

ويمكن تفسير اختلاف الروايات حول النشأة مما ورد على الصفحة الالكترونية باللغة الإنجليزية، لأن الممول والجهات المانحة ترغب في التعامل مع الفرد الواحد، وليس الجماعة، لكي يسهل تفادي الهرمية والأمر البيروقراطية الإدارية؛ لأن التعامل مع الفرد أسهل من التعامل مع جماعة حسب رؤيتها الليبرالية الفردانية.

الباحثة، كموظفة سابقة في المركز، وعند استفسارها عن فكرة وتاريخ الإنشاء تلقت الرواية الموجودة على الصفحة الالكترونية، ولم تصع أبداً بالمؤسسين الآخرين ودورهم وفي كل دورة تدريبية، وعند تقديم المركز للوفود الأجنبية فهذه هي الرواية التي يتم تقديمها.

قد يرجع سبب تغييب الجذور التاريخية لإنشاء المركز عن الموقع باللغة العربية وبالأخص اللغة الإنجليزية، إلى أن الدعم الذي كان يقدم للمؤسسات غير الحكومية عبر المنظمات الأوربية خلال فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، كان من أجل إبداء التعاون والتضامن مع القضية الفلسطينية، حيث ركز الدعم على النشاطات ذات الطابع الإغاثي والحقوقى، ولكن مع التحولات السياسية على القضية الفلسطينية ، فقد حدث تحول على الخطاب العام ، من خطاب تضامني وتعاوني، ليجتمع يعاني من الاحتلال العسكري ، يتركز عمل المنظمات فيه وقتها على الأعمال التطوعية وتقدم أنشطة مزجت بينها وبين الأهداف الإغاثية والتنموية والتوجه الوطني في وقت واحد، ليحول إلى خطاب تنموي يدعم منظمات المجتمع المدني من أجل أن يرسخ ويروج لعملية السلام، ويبعدها عن التوجه الوطني الذي كان سائداً في فترة الثمانينات وهذا ما يبينه نحلة (2004)، حيث أن هدف التمويل هو إبعاد هذه المنظمات عن طبيعة علاقاتها مع القاعدة الشعبية والحركة الوطنية، وجعلها تتبنى خطاي حقوق الإنسان والتنمية، وخطاب الصحة النفسية كذلك.

## الباب الثالث: قضية التمويل

إن مؤسسات المجتمع المدني تستند الى جلب التمويل ، باعتباره إحدى المقومات الأساسية من أجل قيامها واستمرارية عملها، ولكن هذا العمل الممول يقع في فخ التبعية ويتخلى، الى حد، ما عن استقلاليتته الذاتية، باعتباره يخضع لحتمية التمويل من الجهات المانحة تبعاً لبرامجها وسياساتها التمويلية. ولهذا فإن قضية التمويل تستحق البحث والتمحيص في أبعادها وأثرها على المركز ؛ لما تعكسه من تداعيات و آثار على استقلالية المركز ، باعتباره مؤسسة تخدم المجتمع المحلي . فمع مجيء أوسلو الذي أغرق المجتمع الفلسطيني بالتمويل الغربي المشروط، مشكلاً حلقة مكملة للاستعمار الغربي بجهود فلسطينية ، عن طريق ما يسمى "المنظمات غير الحكومية" ، التي اعتمدت بالدرجة الأولى على التمويل الخارجي ، الذي يخدم أجنداتها السياسية التمويلية، ويخترق المجتمع الفلسطيني ليهدم بنيته النفسية والاجتماعية، ويسعى الى تفتيت اللحمة الجماعية، من خلال تعزيز المصالح الفردية والوظيفية التي تعمل على إحلال القيمة الاقتصادية بديلاً عن القيمة الوطنية التي كانت الركيزة الأساسية للمنظمات الوطنية الفلسطينية، التي قدمت خدمات إغاثية وإنسانية للمجتمع الفلسطيني في سنوات ما قبل أوسلو (بكير، 2012). وفقاً لهذه الرؤية، خضع مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب لشروط التمويل الغربي ، الذي سعى الى تمهيش وتذويب القيمة الوطنية للعمل النفسي والاجتماعي للمجتمع الفلسطيني في السياق الاستعماري كما يتضح في الصفحات القادمة.

## بدايات التمويل

قال (خ، ب)؛ أحد مؤسسي مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب شارحاً بدايات التمويل الأولية، وبدايات العمل التي تطور منها المركز ليستقل بنفسه: "بدأنا نعالج بعض القضايا في مركز مانديلا، وأعطينا مكتب صغير



جزء من مؤسسة مانديلا للعمل لعلاج ضحايا التعذيب وأعطينا من ال (core fund)<sup>29</sup> تنوع مانديلا للامور اللوجستيك...".

من خلال هذه الكلمات هنا، نبدأ برؤية العلاقة بين التوجه والتمويل؛ فلا تمويل بلا أجندة سياسية وأيديولوجية، فمؤسسات التمويل ليست جمعيات خيرية، ولا تدعم أفراداً أو جماعات، بل تدعم جهات نظيرة لها؛ لكي يسهل عليها التعامل ضمن المهرمية والبيروقراطية التي تتطلبها الخدمات المؤسساتية. كما أن جهات التمويل هي مؤسسات تابعة لحكوماتها وتخدم بالأساس أهداف ورؤى حكوماتها، وتشكل مؤسسات التمويل الوسيط للتدخل في شأن المجتمع؛ لأن الحكومة لا يمكنها التدخل بشكل مباشر. هكذا نرى جدلية العلاقة في التوجه لنشأة المركز في إطار مؤسسة مانديلا من أجندة حقوقية، وهذا يعكس أيديولوجيا سياسية، على اعتبار أن التدخل النفسي هو حق من حقوق الإنسان يجب الدفاع عنه، وهذا يدل على أن المركز كان في بدايته كوحدة متصلة بمؤسسة مانديلا وليس جسماً منفصلاً عنها.

ويكمل (خ، ب) حديثه، ليقول: "... أول تمويل جبته كان 13 ألف دولار أو ضعفه 26 ألف دولار، مش متذكر الرقم... ووظفنا آنذاك خضر رصرص وميسر صبيح بشكل جزئي، ودخلوا وعملوا بالمقر أي بمؤسسة مانديلا، وقمنا بتسميته "تأهيل وعلاج ضحايا التعذيب"... كان خضر يعمل في مستشفى بيت لحم مع الصحة وكانت ميسر أيضاً هناك، أجو عندنا واتفقنا على أيام محددة أنهم يستقبلوا المرضى وهكذا شيئاً فشيئاً بدأ العمل...".

تتضح من خلال هذا الحديث ملامح الانفصال عن مؤسسة مانديلا، بأن أصبح هناك بداية لتشكيل جسم جديد منفصل عن مؤسسة مانديلا ومستند على نفس الخطاب الحقوقي لأشخاص في السجون الإسرائيلية، ولكن يضيف عليه الخطاب النفسي الذي يتقاطع في مضمونه مع خطاب حقوق الإنسان. ويظهر

The MEDA democracy Program (EU).  
The Westminster Foundation  
The United Nations Voluntary Fund For Victims of Torture  
The British Partnership Schema

<sup>29</sup> جهات تمويل مؤسسة مانديلا وقتها كان من:

هذا أنه أتاحت للمركز فكرة الانفصال والاستقلال كمؤسسة قائمة بذاتها لها خططها وبرامجها ورؤيتها المستقلة ، حينما أتاحت لها فرصة التمويل، وعليه فإن هذه التمويل يلعب دوراً رئيساً ومركزياً في توليد مؤسسات في هياكل متعددة وتحقق استقلاليتها من خلاله.

والنقطة الثانية ، التي تبينت في الحديث ، هي توظيف عاملين جدد ، بخلفيات نفسية تتعامل مع الأفراد على أنهم مرضى نفسيين (توظيف موظفين يعملون في مستشفى الأمراض العقلية وال عصبية)، وهذا يعكس الصورة الذهنية التي يحملها العاملون الجدد بخلفياتهم الأيديولوجية النفسية عن الآخر (الفئة المستهدفة للمركز)، على أنه شخص مريض نفسي أ، وليس ضحية تعذيب أو أسيراً ومعتقلاً ضمن المنظومة القيمية الوطنية الاجتماعية في السياق الفلسطيني.

كما نرى التحول أيضاً، عندما طرحت فكرة إنشاء المركز من الناحية النظرية ، وعندما أطلقت الشعبية على المركز الذي أصبح يسمى "مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب" ، حيث كانت الرؤية النظرية تصف النظرة لأفراد الفئة المستهدفة على أنهم ضحايا تعذيب وعنق ومنظم، في حين عندما بدأ تطبيق الفكرة لكآلية عمل أصبحت تحمل مسمى "مرضى" (نفسيين)، وهذا يوضح التناقض بين نظرة التأسيس ونظرة التطبيق من أجل كسب التمويل، وبهذا نرى أن الأسير المحرر أصبح مريضاً نفسياً حسب الرؤية العملية للمركز.

وعليه، فقد لاقت الفكرة استحسان الممولين الذين يدعمون عملية السلام والتنمية في الأراضي الفلسطينية، من أجل التخفيف من حالة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، ويأتي هذا الدعم ضمن المدرسة الفكرية الرأسمالية الليبرالية التي من شأنها ترسيخ فكرة الفردانية وتبسيط الضوء على الصحة النفسية للأفراد بعيداً عن الجماعات من أجل أن ينشغلوا عنها بعيداً عن السياق الوطني التحرري.

ويتضح ذلك في قول (خ، ب):

"... بدأ الاهتمام من doners بدهم يشوفوا لأنهم في غزة مركز للصحة النفسية وفي الضفة

بدهم يشوفوا في اشي مع تعاضم عمليات اطلاق سراح المعتقلين في الصفقات في أوصلو وما

بعد أو سلو، فصار أن في إمكانيّة للدعم . فحصلنا على دعم مصاري أكبر من مؤسسة مانديلا ولأينا أنو مانديلا لا تستطيع أن تكون حاضنة ومن الأفضل انو يطلعوا خارج مانديلا ويصير أشي مستقل separate، مانديلا تعمل شغلها وإحنا مش بدنا نفرخ مؤسسات بدنا نعمل إشي يكون حقيقي لذا خلي مانديلا focus مركزة في شغلها . غلط أنو مؤسسات حقوق الإنسان تدعي أنها هي أبو حقوق الإنسان وتصير هي إلي مفحجة على كل شي، فلازم إحنا نركز على المعتقلين..."

وفي هذا الإطار ، أصبح المركز كياناً منفصلاً عن مؤسسة مانديلا ، بحيث لا يدعم جهود المؤسسة الواحدة وبرنامجها الجديد تحت نفس الاطار ، وإنما يعزز في انسلاخه كبرنامج منفرد وقائم بحد ذاته في مؤسسة خاصة، الامر الذي يساهم في التدبير المؤسساتي . وبالتالي تعمل على تحقيق مشروع تنموي بالمسمى ولكن على الصعيد التنموي يعمل على التدبير للجهود البشرية والتوجهات الأيديولوجية للأشخاص الذين يحملون الفكر والهّم الوطني. وبهذا نجد أن نفس الفئة تعمل عليها أكثر من مؤسسة في المجتمع، ضمن برامج مختلفة لأكثر من مؤسسة، وكأن الفرد الأسير (ضحية التعذيب) هو سلعة للتداول بين المؤسسات المختلفة، سواء على صعيد حقوق الإنسان أو على صعيد الصحة النفسية، حيث عمل التمويل الخارجي في إطار توجهاته الأيديولوجية على إنتاج خطاب يعيد إنتاج الخطاب الاستعماري الذي يستغل المنظمات غير الحكومية كأدوات تعبئة لصالح دول المركز (نخلة، 2011).

وفي الرواية عن المؤسسات غير الحكومية ، وعملية إدخالها كجزء من المجتمع المدني كقطاع ثالث ، فانه تطور دورها مع نهاية الحرب الباردة مع ازدياد هيمنة الخطاب الليبرالي الجديد، الذي ترافق مع تغيرات اقتصادية ، والتي تسعى إلى عوامة رأس المال والحد من الاشتراكية وإدخال الرأسمالية إلى أكثر المناطق بعداً عن المركز الرأسمالي الغربي، وتم تمثيل ذلك من خلال إعطاء الدور لأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، كأداة استعمارية جديدة تحت مسميات وزعامة ادخال التنمية الى مجتمعات دول العالم الثالث.

ذلك الدور الذي وظفت فيه المؤسسات غير الحكومية للقيام به وقيادته، والذي يعمل على تحميل الوجه الحقيقي للامبريالية، بحيث يضع قيودا ويشكل نظام مراقبة على الدول التي تحاول ان تنتهك قيم وقواعد هذه النظام. ويحافظ خطاب المؤسسات غير الحكومية العاملة في القطاع النفسي على هذا الكيان ؛ لأنه جزء منه وتحاول أن تثبط أي محاولات لانتهاكه وانتهاك المشروع الصهيوني ، ولكن بأليات نفسية (كتاب وآخرون، 2010).

وتتجسد هذه الرؤية في بنية انتاج المؤسسات غير الحكومية وتكائها لخدمة نفس الفئة ، وترويج الادعاء بأنه هذه لن يكون بإمكان ضحايا التعذيب الانتفاع من هذه الخدمات لولا وجود جهة ممولة له ، وللتالي فإن هذا الطرح يعمل على تحميل صورة النظام الرأسمالي المهمين ويبرز تبني حالة العجز لاعتماده على الآخر (الممول). كما أن خروج أحد المؤسسين من قيادة المؤسسة وتولي الطبيب النفسي رئاسة المركز له تفسير ، قد يعني العمل على خدمة تحقيق أهداف دول المركز كمنظومة تسعى الى إبعاد أي محاولات ثورية تناهض القيم والمثل الليبرالية، وبهذا الطابع فهي تحول فكرة نضال المنتفعين ضد الاستعمار، الى نضال مؤسسات غير حكومية في مجتمع مكون من مجموعة من المهنيين والمتقنين والبرجوازيين ، الذين يربطون مجتمعات العالم معا في حلقة تدور في فلك النظام الرأسمالي، والتي تعمل على خدمة ذلك النظام وتعزيزه من خلال بتني قيمه وتطبيقها (كتاب وآخرون، 2010).

## جهات التمويل

اعتمد المركز على المصادر التمويلية الأوروبية منذ بداية عمله، واعتمد عليها بشكل أساسي؛ إذ لا تستطيع المؤسسة أن تبدأ أو تكمل دورها بدون الاعتماد على التمويل الخارجي من جهات مختلفة ومتعددة (فترة الدراسة)، وهذه الجهات هي<sup>30</sup>:

European Union ( EU )  
 Spanish Agency of international cooperation for development (AECID)  
 UN Voluntary Fund for Victims of Torture (UNVFVT)  
 Netherlands Representative Office (NRO)  
 Swiss agency for development and cooperation (SDC)  
 International Rehabilitation council for torture survivors (IRCT).

وتقوم هذه الجهات بإخضاع المركز سنوياً لعملية تقييم للأداء المهني ومخرجاته ، من خلال قيام المركز بكتابة التقارير السنوية التي تقدم لها ومن ضمنها الخطط الاستراتيجية، كما تقوم الجهات المانحة بتكليف أشخاص هم أعضاء فيها وممثلين عنه بتقييم المركز وعمله وقياس أثر الخدمات التي يقدمها على المنتفعين، وكذلك تقييم سبل صرف ميزانية الدعم المخصصة لنفقات المركز من (خلال مدقق الحسابات) لمتابعة القضايا المالية كبنية و أنشطة مختلفة مع الفئات المستهدفة ، مثل: تكاليف ضيافات، وورش العمل، ولقاءات التوعية، والمؤتمرات ومصروفات المكاتب والسفريات، ويأتي ضمن هذه المصروفات: طباعة لافتات جدارية، وبروشورات تثقيفية يتم نقاش وتحديد موضوعها من قبل المشروع الممول . فلقد طلب من الباحثة أثناء عملها وتدريبها في المركز أن تقوم بمساعدة الأشخاص المراقبين والترجمة لهم عند تحوّلهم في المركز وحديثهم مع الموظفين، وتخلّلت أغلب اللقاءات استفسارات تفصيلية عن الكيفية التي يتم بها العمل في برامج ودوائر المركز المختلفة، وعدد الحالات التي يستقبلها المركز سنوياً.

<sup>30</sup> المرجع.....؟

## التعاون المهني مع الجهات المانحة

يتم دفع المؤسسة من قبل الممول إلى العمل في إطار المدافعة والمناصرة مقابل الخدمات ، بدليل وجود دائرة خاصة وبرنامج خاص بالمركز يعني بهذا الجانب فقط، حيث تقلص الميزانية لهذه المشاريع ليكون عمرها قصيراً وبحيث تحدث أثراً على المدى القصير وليس بشكل تراكمي، لذا تبقى المدافعة والمناصرة<sup>31</sup> إستراتيجية للموازنات القصيرة، ولا يتم من خلالها إحداث تأثير حقيقي على الناس.

من خلال إطار هذا العمل بتوجيه النقد للأعمال الإسرائيلية كانتهاكات في إطار حقل حقوق الإنسان ؛ يتم تحويل القضية الفلسطينية بعيداً عن السياق الاستيطاني الاستعماري، وجعلها في سياق القوانين الدولية الإنسانية (حنفي وليندا، 2006). ودائرة التوعية والمناصرة في المركز هي من الدوائر النشطة جداً بعد دائرة العلاج النفسي ، بحيث تقوم باستمرار بالتنسيق مع مجالس البلديات والقرى ومؤسسات المجتمع المختلفة، مثل المدارس والجامعات لعمل ورشات عمل وندوات توعية حول مواضيع مختلفة ، كالتعذيب والعنف وانتهاكات حقوق الانسان ، وهي بذلك تشكل حلقة وصل دائمة مع الفئات الاجتماعية من نساء وطلاب مدارس وجامعات.

وبخصوص فهم العاملين في المركز لطبيعة العلاقة بين التمويل وأحدثته السياسية وأثرها على العمل، أفادت (م).

(ز):

"بالبدائي ما كان يخطر ببالي هيكل تحليل ، إحنا الموظفين بنشتغل على أساس خدمة الوطن وانه مصدر رزق الشغل كمان، مع العلم أن الرواتب النالك كانت عينية مقارنة برواتب المدراء . يمكن كنا هُبل، يمكن تعاملنا لإحساسنا زينا زي باقي العاملين، بس في شي مش مريح صار في السنوات الأخيرة للمركز ، وصار عنده استعداد للتشبيك ، وانه يجيب مدربين من إسرائيل عشان تدريبات بناء القدرات للموظفين، وهاد كان يثير التساؤل والجدل، لأنه كان المفروض هيكل طرح ممكن

<sup>31</sup> التوعية والمناصرة دائرة متخصصة التي تعنى بالتنسيق حول مواضيع التعذيب من خلال التواصل الدائم مع الفئات المجتمعية المعرضة للتعب، وتدعو إحدى الركائز التي قام بها المركز بتطويرها في مجالات الصحة النفسية والاجتماعية وحقوق الانسان، حيث تعمل وفق استراتيجيات وخطط ممنهجين من قبل طاقم المركز.

ينفهم انه تطبيع مع الاحتلال . . . وسنة 2012 أعد المركز لدبلوم في السيكدوراما والتحليل الجماعي... كان من ضمن البرنامج بروفيسور إسرائيلي مختص في الموضوع وكان المركز بد هيجيبه عشان من جهة هو قيمة علمية وخبير وثانياً موجود في البلد ويوفر تكاليف، إلي صار بعدها المجموعة أنه أعضاء من المتدربين اح تجوا أن يتم تدريسهم على أيدي إسرائيلية، واتوقف الموضوع بعد الاعتراض عليه . وما بين 2009-2011 نسق المركز في احد التدريبات أن يتم تدريب الأخصائيين في القدس الغربية وكانت بعنوان العلاج الموسيقي، ونسقوا في 2011 مجموعة تدريبات في تل أبيب ولكن في منهم جاءهم رفض ا مي ما راحوا ولكن بعض من الأخصائيين ذهبوا واخذوا التدريب."

لم نكن الباحثة من الحصول على معلومات حول أي من الجهات الممولة التي تم ذكرها قد فرضت بحكم التعامل تعاوناً مهنياً معها بصورة مباشرة، ولكنها تفكر حادثة مر بها المركز ، وقد كان يعاني وقتها من أزمة مالية، بحيث تم تقليص عدد الموظفين على أثرها أواخر عام 2012، حيث لجأ المركز للاستعانة بإحدى المنظمات التي كانت تدعمه وتقدم ورشات عمل حول العلاج الروائي، إذ اقترحت تلك المنظمة أن تدفع رواتب مدربي العلاج الروائي الذين حصلوا على دبلوم عالي في هذا المجال لمدة سنة كاملة، كي لا يتم الاستغناء عنهم في الأزمة المالية، وكان عددهم ثلاثة . ولكن استطاعت الاستنتاج، من خلال الحديث مع المدربين ، أن المنظمة سعت في مراحل معينة من هذا التعاون العلمي والعملية إلى أن تستدرج المركز والمدربين للموافقة على لقاء مدربين إسرائيليين أنداد لهم في المجال، كون العلاج الروائي دخل إسرائيل كعلاج نفس ي في الثمانينات، وهم على درجة أكبر من التقدم والتطور في هذا المجال، وكان الاقتراح أن يتم اللقاء من أجل تبادل الخبرات والمعارف.

وفي حادثة أخرى شبيهة بالموضوع قدم المركز دبلوم أ آخر تحت مسمى "العلاج الجماعي والسيكو-دراما"، حيث نظمه سنة 2011 بالتعاون مع الجمعية العالمية (السيكو-دراما)<sup>32</sup>، بحيث كان يستقبل مدربين أجانب

<sup>32</sup>.International association for group psychotherapy and group processes (IAGP)  
www.iagp.com

لكي يعطوا التدريب لطاقم المركز وغيرهم من المهتمين في الحصول على هذا الدبلو م من مهنيين وأخصائيين . والمدربون الأجانب هم متطوعون متضامنون مع القضية الفلسطينية، ويقوم المركز بتغطية تكاليف السفر والإقامة لهم. وقد كان هنالك اقتراح بلنذا يُستبدلوا بمجموعة المدربين من الجانب الإسرائيلي ، فولفق المدير التنفيذي للمركز على هذا الاقتراح وسعى إلى تحقيقه، وأوضح السبب للمجموعة التي تخضع للتدريب آنذاك ؛ على أنه نابع من الوضع المادي الصعب للمركز، وأن هذه الخطوة كي يوفر على المركز تكاليف دفع رسوم للمدرب الإسرائيلي ، بحكم كونه متطوعاً ويستطيع السفر يوماً من تل أبيب إلى رام الله دون الحاجة للإقامة . وقد رفضت المجموعة هذا الاقتراح رفضاً قاطعاً، وكان لها موقف من تلقي التدريب على يد إسرائيلي ؛ لأنه يعتبر شكلاً من أشكال التطبيع .

وحيثما رفضت المجموعة خضوع المركز لرغبة المتدربين وقام بإعطاء الورشات لدرسين أجانب .

وعليه، نستطيع الاستفادة من المثالين أعلاه ، لاستنتاج أن المركز على استعداد أن يقبل أية اقتراحات ؛ نتيجة الضغط التمويلي الذي يخضع له! وهو ضغط له عواقب وسمات سياسية، تتعارض مع المطلب الوطني الذي ينادي بمقاطعة التطبيع مع العدو الإسرائيلي على كافة الأصعدة بما فيها المقاطعة الأكاديمية والمهنية . كما أن الممول يدفع باتجاه لعب دور الحيادية، ويحاول أن يجمع المؤسسات غير الحكومية وطواقمها مع المؤسسات المثيلة لها التي تعمل في المجال النفسي من اجل المناقشة والتبادل العلمي والمعرفي.

فقد حصل أن تلقت مجموعة من العاملين في المركز دورة تدريب حول العلاج بالموسيقى مع الإسرائيليين، وعند سؤال أحد المشاركين عن مكان التدريب ، قال : "كان معظم التدريب في القدس في فندق بلبلدة القديمة، ويمكن مرتين في "نفية شالوم" (واحة السلام) اللي يعيش فيها عرب ويهود غرب القدس على طريق القدس - يافا" . وهنا يبرز الدور الفعّال للعاملين والمهنيين في محاولة التصدي لهذه الأحداث والعمل على ابطالها من خلال عمل وجهود جماعية".

ونظراً لتشابك المصالح ما بين أحداث الممول الغربي والأحداث الإسرائيلية التي تلعب دوراً في طبيعة المساعدات المقدمة للمؤسسات ، كي لا تتناقض مصالحها مع بعضها البعض في قضايا ومشاريع الديمقراطية



وحقوق الانسان والعلاج النفسي، يتم العمل على زيادة التمويل، الذي بدوره يعمل على إغراق هذه المؤسسات بالأعباء البيروقراطية وإبعادها عن علاقتها بالقاعدة الشعبية والحركة الوطنية (نخلة، 2004).

وتسرياًنف الأخصائية (ن.م) حديثها بطرح إشكالية أخرى حدثت في المؤسسة:

"وفي المقابل في 2007 مركز الاستراتيجيين "دولتش"، سعى إلى أن يلتقي طاقم المديرين الروائيين مع الفريق الإسرائيلي الروائي؛ بغرض الأهداف العلمية، والمدير كان متشددًا في الرفض مع أن ههو نفسه الذي عرض فكرة البروفسور في السيكدوراما في 2012، المديرين رفضوا ولكن في 2012 صار عندنا ليونة وقرنا ان يصير في لقاء ونختار أن يكون في القدس وان نلتقي لأغراض علمية مع تواجد الطرف الثالث "الاستراتيجيين" وجزء من التغيير في الرأي أهم أقوى في مجال العلاج الروائي من 1986، واحنا في التجربة بلشنا في 2004، وحببت أسمع كيف هم بطبقوه وهم المعتديين . كان عندي هاد الفضول وما زال، كان الموضوع كله فحص للنوايا، وكانت مساعي ولم يتم اللقاء أبدا، وانتهى الموضوع ان ما ينطرح ولا يتم التفكير فيه وخصوصا انه الفئة اللي يشتغل معها المركز ففة حساسة وهيكل معلومة مش سه لة. وكمان هاد الشئ بتناقى مع انّ المركز رفض يوقع على اتفاقية الإرهاب ورفض أي تمويل من USAID، بتشعر إنه في حلقة ضايعة ومش مفهومة بلحظة من اللحظات، يعني مركز وطني ولمصلحة وطنية وخدمة مجتمع ينهار هيكل فجأة ويتوقف عنه التمويل ب 2012 فيه لغز، شو الطرح اللي انطرح وليف وقف التمويل؟ وليف لليوم مش قادرين يستردوا حالهم، وصاروا يفكروا باللجوء للتمويل العربي عشان يستمر أكم وا حد بالمركز؟ شو الخلل اللي صار في خطاب المؤسسة وبطل يقنع الممول الغربي والأوروبي؟ كثير تساؤلات ما إلها إجابة بأذهان كل الموظفين اللي استغنى عنهم المركز مع العلم أنهم كفاءات مهنية."

نلاحظ أنه منذ عام 2012 تعرضت العديد من المؤسسات غير الحكومية الى انقطاع التمويل، مما اضطرها إلى توقيف عملها، وما تعرض له المركز جاء من ضمن السياق العام للأزمة الاقتصادية، وللأجندات السياسية التي

تواجهها المؤسسات غير الحكومية ، والتي لا تزال قائمة الى يومنا هذا . إن عملية دعم وتمويل المنظمات غير الحكومية هي عملية بالأساس تعنى بتوطيد التبعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع الدول المانحة، وبالتالي مع الاحتلال ومؤسساته، عبر التطبيع الذي تحاول ترسيخه بين فئات اجتماعية مختلفة ومؤسسات فلسطينية ، وبين مجموعة من مؤسسات الاحتلال ، وبالتالي تعمل من أجل أن تثبط المقاومة ورفض التبعية والتحرر من الاحتلال (كتاب واخرون، 2010).

لقد اتسمت مقابلة الباحثة مع مسؤولة كتابة المشاريع التمويلية في المركز بطرح أسئلة استيضاحية، لكي نكتفهم عن طبيعة المقترحات التي تكتب في المقترحات للمشاريع التي تقدم للممول وعلى أي أساس ، والكيفية التي يعيها ذلك والجهات التمولية، وعن شعور الموظفين بعدم الأمان الوظيفي في الفترات الأخيرة ، والذي لاحظته في الفترة التي عملت بها في المركز ، وما يعكسه ذلك على أدائهم، كون التمويل وقتها كان شحيحاً ومتقطعاً.

من خلال الاجابات التي كانت على عجل، بحكم أسلوب الحوار، أتضح أن الشعور بالأمان لا يرتبط في بيئة المؤسسات غير الحكومية الممولة من الخارج ، فهي مؤسسات تبنى على أساس مشاريع لا تضمن ولا توفر الأمان الوظيفي، ولا يمكن البحث عنه فيها، الأمر الذي كان من الصعب استنتاجه في البداية.

كما حاولت الباحثة، في تلك الفترة، الاستفسار عن أسباب كتابة التقارير السنوية ، فاطضح لها أن هذا من شروط وأساسيات العمل مع الجهات المانحة ، لضمان تدفق تمويلها وحرصها على رؤية آلية الصرف للميزانية . وعندما سألته : لماذا نعمل وفق طريقتهم في كتابة هذه الأسس والتقارير ولكن على أرض الواقع نطبق ما نراه مناسباً أكثر ووفقاً للاحتياج الملح للأفراد؟ حيث أن الممول لا يلحق الأخصائي إلى المخيمات وبيوت المرضى ، قال:

"إن مجلس الأمناء وغيرهم من صانعي القرار لا يتحلون بالجرأة وبهذا التفكير الناقد أو العملي، كونهم يركزون على الشفافية والمهنية وغيرها من الأمور التي يرون أنها من أساسيات المؤسسة و من

أجل ضمان استمرارية التمويل، ولكي لا يخاطرون أمام المقيمين للمركز من الأجنب " . والمحاوران  
التاليان يوضحان كيف يؤثر الخطاب التمويلي على رؤية وعمل المؤسسة".

### رؤية وأهداف المركز

تتمثل مهمة مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب ورؤيته في الوصول إلى مجتمع خالٍ من التعذيب والعنف المنظم. كما تنصب أهداف المركز في أربعة نقاط رئيسية<sup>33</sup>:

أولاً: الاستمرار في تقديم الخدمة النفسية الاجتماعية والعلاج والتأهيل لضحايا التعذيب والعنف.  
ثانياً: بناء ثقافة مجتمعية عامة مبنية على احترام القيم والمبادئ الإنسانية المنبثقة عن القانون الدولي والإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان واتفاقيات مناهضة التعذيب.  
ثالثاً: المساهمة في تناقل الخبرات والمعارف من خلال قيام المركز بالتدريب لبناء قدرات المؤسسات والعاملين في المجالات المتعلقة بحقوق الإنسان والصحة النفسية ومنع وتجريم التعذيب.  
رابعاً: العمل على استمرارية تقديم الخدمة للضحايا من خلال الحفاظ على استدامة العمل في المؤسسة عن طريق بناء إستراتيجية وهيكلية إدارية توفر ذلك.

### التخطيط الاستراتيجي

تعتمد المؤسسات غير الحكومية على خلق وتبني وتنفيذ خطط إستراتيجية ، تساعد على الاستمرار ، وتتبع سير العمل، وهذا يتطلب مراجعة مستمرة لرؤيتها ورسالتها وأهدافها بشكل سنوي، وبالأخص في هذه الفترات التي تشهد انقطاع التمويل أو الشح فيه، وهذا الأمر جعل من عملية الإدارة عملية صعبة، مما دفع الكثير من المؤسسات إلى تبني التخطيط الاستراتيجي لضمان استمرار العمل وتفادياً للإغلاق (شويكي واخرون، 2013).

<sup>33</sup> بروشور تعريفى للمركز.

ويعتبر التخطيط الاستراتيجي الطريقة التي تمكن المسؤولين وصناع القرار في المراكز من توجيه المؤسسة ، بدءاً من الإدارة اليومية ومواجهه الأزمات التي تواجهها، والمؤسسة التي لا ترسم خططاً وتنوع من خدماتها تكون عرضة لفقدان الفرصة باللاحاق با لاحتياجات ومتطلبات المجتمع المحلي الذي تستهدفه، ويكون الثمن لعدم تطبيق التخطيط الاستراتيجي السليم هو الركود والتراجع (المراجع السابق).

ويوضح أحد العاملين في المركز معلقاً على رؤية المركز والطريقة التي يعمل بها، بأنه يتم العمل وتنفيذ رؤية المركز حسب مفهوم الإستراتيجية ، الذي طوره المركز للمرة الأولى بالشراكة مع أعضاء مجلس الإدارة والموظفين سنة 2008، محاولين بذلك تحليل كل من البيئة الداخلية والخارجية معهم ، لخروج بأفضل النتائج وأنسب الخطط . وعلى الرغم من أن عمر المؤسسة تجاوز العشر سنوات إلا أن هذا التخطيط قد جرى لأول مرة بالشراكة مع شركة إدارة بقيادة وليد نمور، حيث أوضحت إحدى العاملات (م. ز) من خلال المقابلة العملية:

"أنا حضرت إستراتيجية عام 2008 بصراحة كان فيها بالبداية والفريق عم يفكر شو الاستراتيجية اللي بدو يتبناها استغرق وقت كبير بالتفكير ، الرؤيا كانت واضحة وسهلة نحو مجتمع خال من التعذيب، بس الرسالة استغرقت وقت كبير بزيد على ساعتين الكل علق في نص الرسالة، مع أن الأصول أن تكون من بدايات تأسيس المركز الرسالة واضحة . اللي صار إنه وليد نمور المسئول عن هالورشة الإستراتيجية هو والمدراء كانوا يفكروا كل مرة بكلمات ومفاهيم تكون واضحة وما فيها أي لبس في خطابها للممول، لأنه لازم تكون مقنعة للممول . ركزوا في النص على إبراز تاريخ المركز وحاجة المجتمع لوجوده ... يعني الطرح لوجود المركز كان كله مبني على انه إحنا مجتمع محتل وشعب يعاني نتيجة وجود الاحتلال وخصوصاً الأسرى وأه اليهم والشهداء، وأن الأسرى بعد ما يتعرضوا للسجن الإسرائيلي بتأثروا نفسياً وبنعكس هاد الحال على أهاليهم وأولادهم، وبالتالي هم بحاجة لمساعدة مهنيين نفسيين عشان يساعدهم يقدرُوا يتوازنوا ويتأقلموا

مع الحياة من جديد . وانه لازم التدخل يكون مش بس على صعيد فردي وجماعي وأسري كمان لازم يشمل المجتمع وخصوصا مراكز التحقيق في السلطة والأجهزة الأمنية."

فالخطة الإستراتيجية التي وضعها المركز آنذاك تبدأ بقائمة المشاركين في وضعها ، ومن ثم نص للرسالة والرؤية والمبادئ التي يتبناها المركز ، وفيها شرح مفصل للخطة والنشاطات والأهداف والتوقعات والمخاطر التي يتنبأ بحصولها خلال العمل على تنفيذها، بحيث ينفرد المركز بتفعيل دائرة خاصة تتابع أمور التخطيط والتطوير، من أجل متابعة تنفيذ الخطط الإستراتيجية والبرامج والأنشطة، وتقوم بالتنسيق مع وسائل الإعلام، بالإضافة للتواصل مع الجهات الداعمة لضمان الاستمرارية وتجنيد التمويل اللازم لديمومة قيام المركز بمهامه التنموية والإنسانية.

وعلى الرغم من أن عملية التخطيط الاستراتيجي هي إحدى العمليات الأساسية لمأسسة المركز، إلا أنها رغم إعادة هيكلتها للمركز لم تنجح في إحداث أي تغيير جوهري على سباق عمل المؤسسة والخدمات التي تعمل بها، وإنما قادت الى إخماره. ويؤكد على ذلك النص الذي ورد في استقالة المجلس<sup>34</sup>:

"في السابق لم ينجح مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب في أن يتحول الى مؤسسة . لقد حاولنا أثناء عضويتنا في مجلس الادارة أن نعمل على وضع البنات الصحيحة لمأسسة المركز، وعلى الرغم من أننا كنا نلقى كل عبارات الترحيب، إلا أن الممارسة على أرض الواقع من الإدارة العليا للمركز كانت تشير إلى عكس ذلك . وعلى الرغم من قيام شركة "ادارة" بعمل تقييم وخطة استراتيجية للمركز، وعلى الرغم من أنها تعكف الان على إعادة هيكلة المركز وفقا للخطة الاستراتيجية إلا أننا لا نتوقع مطلقا أن يكون هناك أي تغيير جوهري نحو مأسسة المركز طالما أن المدير العام (مع الاحترام لشخصه الكريم) بقي حيا لعقلية "مؤسسة الفرد الواحد."

<sup>34</sup> كتاب الاستقالة موقع من رئاسة مجلس الإدارة وأمين السر بتاريخ 2009

وهنا، تبرز قضية لا بد من الوقوف عندها، وهي أن المؤسسة حسب الرؤية أعلاه أصبح يقوده أفراد بعقلية فردية، بتوجه فردي وليس النهج المؤسساتي الذي ينبغي المصلحة الجمعية. ومن هذا المنطلق، فإن المركز أصبح قطاعاً خاصاً وليست مؤسسة أهلية، وربما بحاجة إلى إعادة النظر في العديد من القضايا في هذا الإطار. ولقد إشتهلت رؤية المركز وأهدافه، حسب ما ذكر في السابق، على المساهمة في تناقل الخبرات والمعارف من خلال قيام المركز بالتدريب لبناء قدرات المؤسسات والعاملين في المجالات المتعلقة بحقوق الإنسان والصحة النفسية ومنع التجريم. وعند مقابلة الباحثة لأحد المؤسسين مستفسرة عن هذا الهدف، الذي يشكل وحدة حيوية من عمل المركز تسمى بدائرة البحث وبناء القدرات، قال (خ، ب):

"كان هدفي تدريب المدربين training of trainers العاملين في المجال لأننا لا نستطيع معالجة الكل وفتح فروع في كل الضفة لأن هذا فوق طاقة المركز، بل هدفي كان أن ينتشر التدريب ليغطي كل قرية ومدينة ومخيم ومكان في هذا المجال أو هذه الرؤية، ولكي ننقل تجربتنا للعالم، نحن نملك تجربة ميدانية حيث نعالج الحالات الخارجة من سجون السلطة أو القابعة فيها في الوقت الحاضر، وهدفي كان أن نؤسس المركز كي لا تكون مؤسسة الرجل الواحد. التخطيط الاستراتيجي لم يغطي أي من هذه الرؤى أو الأهداف، وبعدها تم دفع 40 ألف دولار لمؤسسة إدارة من أجل كتابة المخطط الاستراتيجي من قبل مدير الشركة".

فشل الخطة الاستراتيجية التي قام بها المركز آنذاك، وقد كلفته مبالغ طائلة، تلخص في أن من يضع التخطيط الاستراتيجي مقولب وفق ليبرالية "المؤسسات غير الحكومية" ويضعها لمن هم جاهزون للقبول وفق ذات التوجه. وهذه صفة عالمية في المنظمات غير الحكومية ولقد قام المركز مجدداً "بعد أربع سنوات" بصياغة خطة استراتيجية جديدة، وقد تحققت من المدير التنفيذي من الموضوع بحيث استأنف العلاقة مع نفس الشركة ونفس الشخص، وكان رأي العاملين في المركز أن الخطة الجديدة لم يطرأ عليها أي تغيير؛ وإنما إعادة محاورة للقديمة.

## الباب الرابع: آلية وتنفيذ العمل

يتتبع هذا الباب بالتفصيل مجالات العمل في المؤسسة ، ابتداء من قيامها بعملية المسح والتقييم للفئات التي تستهدفها يتم رؤيتها من العمل الميداني وقيامها بعملية التوثيق لانتهاكات التعذيب، وكذلك التطرق لبعض من منشورات المركز من بروشرات وأبحاث علمية لما في ذلك من أهمية بالغة لفهم بنية المؤسسة وعملها في السياق الاستعماري على تشكيل صورة الفئة التي تعمل معها.

### مجالات عمل المركز

يتركز عمل مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب على التوعية بمجال الصحة النفسية وانتهاكات حقوق الإنسان، وتقديم علاج نفسي وتأهيلي للمتضررين من عنف الاحتلال، وبالأخص فئة الأسرى المحررين وأهاليهم، وتشغيل عيادة نفسية لتقديم العلاج الدوائي، وتنظيم دورات وورش عمل لتطوير العاملين في مجال الصحة النفسية ودورات تدريبية للطلبة الجامعيين لصقل مهاراتهم العملية من أجل تحضيرهم للعمل في الميدان . كما ويشمل عمل المركز تنظيم مخيمات صيفية في المدارس، بحيث يستهدف الأطفال من أبناء الأسرى والشهداء والمتضررين من العنف المنظم، إضافة إلى تقديم دورات توعية للنساء ضد العنف وغيرها وذلك حسب ما يتطلب المشروع ، ومن هي الفئة المستهدفة، وما هو الموضوع المطلوب تغطيته.

### فلسفة العمل

يستند المركز بالأساس على فلسفة العمل الميداني والزيارات المنزلية، بحيث يسعى لأن يصل للناس في منازلهم لعدة أسباب منها : نظراً لوجود وصمة اجتماعية للصحة النفسية والعلاج لدى الأفراد والجماعات وعند ذهاب الأخصائي لبيوت المنتفعين يخفف من الوصمة للعلاج النفسي لديهم ، عندما يبدأ الأخصائي بالتعريف بنفسه ودوره وطبيعة عمله، ويعرض الخدمات التي يقدمها المركز هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى لكي لا يكون الجانب

الاقتصادي معيقاً لتلقي الناس للخدمة، إن واجهتهم مشكلة التنقل والمواصلات من جهة أخرى، وفي أحيان أخرى، قد لا يكون الأفراد من الفئة المستهدفة على معرفة بوجود المركز وبالتالي فإن العمل الميداني يعمل على نشر رسالة المركز ووجوده لخدمة الفئة المستهدفة، وبالتالي يسعى في عملية وصول الأفراد له من خلال وصوله هو إليهم. وعن هذا تحدثت (م. ز):

"تواجدنا في منازلهم يعتبر أمام الغير نوع من التكريم، لأن تواجدنا بالأساس هو بسبب إن في حدا أسير أو شهيد في العائلة."

### المسح والتقييم

سوف يتم في هذا الجزء تناول فلسفة وآلية العمل ، التي ينطلق منها المركز إلى الميدان ، لتوضيح فلسفته حول الإنسان المعذب أو الأسير أو أي شخص له علاقة بهما، هذا الشخص الذي قد يكون بحاجة إلى دعم نفسي . وانطلاقاً من هذه الرؤية، يتوجه الأخصائيون إلى الميدان في زيارات منزلية بحثاً عن حالات لكي يتم التعامل معها. وحول التوجه للعمل الميداني، توضح الأخصائية (م. ز):

" من السهولة أن نصل إلى الناس الذين أسروا أو استشهدوا؛ إذ نحصل على قائمة بأسمائهم من نادي الأسير، وننزل ميداني ونعرّف عن حالنا ونعمل تقييم احتياجات، إذا توفر رقم هاتف نتصل ونحدد موعد قبل الذهاب إلى المنزل وإذا لم يتوفر نسأل الناس المحيطين لأن أهل الأسرى والشهداء معروفين".

وفي العادة ، حسب إجماع الأخصائيين تتجاوب الأغلبية مع عرض تقديم ويتم تحويلهم لحالات، يعلق الأخصائي (م. ع) على آلية العمل بقوله:

"ننزل إلى مخيم أو قرية غربية ومنعمل جرد ومسح لعدد الأسرى المحررين في الفترة الأخيرة ، ونزورهم في بيوتهم ونحصل على المعلومات والعناوين من الحارة أو أي تجمع موجود نسأل فيه أو



نتواصل مع رئيس المجلس القروي أو البلدية ونعرض على الأسير خدمتنا بعد سماع قصه أسره ونعمل تقييم إذا بحاجة أو مش بحاجة للعلاج النفسي . وسياسية المركز أن نرى الحالات في بيئاتهم أي بيوتهم..."، والاشارة هنا إلى ان سياسية المركز تعمل على تقديم العلاج النفسي ضمن الزيارات المنزلية والعمل الميداني وليس في مبنى المركز".

والبعد الثاني ، أن الافراد الذين يتوجهون للمركز طلبا للخدمة هم ، حسب مدير دائرة البحث وبناء القدرات<sup>35</sup>:

"نتيجة الرضا والاكتمال الجيد للتدخل عادة يوجهون أقارب ومعارف وأصدقاء، بمعدل حوالي 30-40% حالات . وفي 10% من مؤسسات حالات تحويل مثل وزارة الأسرى والشؤون ومؤسسات ذات علاقة . بطبيعة الحال الفئات المستهدفة يكون حوالي 3-5% هي حالات اجتماعية تسمى social case هذه للفقر والحالات التي اجت للمركز ونعالجها، اثر مسؤوليتنا المجتمعية والأخلاقية نقوم على مساعدتها بحال وجودها إما أن نقوم بتحويلها لمراكز أخرى أو نقوم بمساعدتها. إضافة للأدوية التي تشكل غالبا نسبة تتراوح بتذبذب بين 10-12% من الحالات بحاجة لأدوية وما تبقى هو غالبا علاج نفسي".

كما أضافت (م. ز) بهذا الخصوص:

"دكتور محمود سحويل يحول كمان حالات من عيادته للمركز".

<sup>35</sup> متى أجريت المقابلة؟

## التوثيق

يتم التوثيق من خلال تعبئة استمارة أنواع التعذيب ، بعنوان : "أساليب التعذيب وأبعاده الجسدية والنفسية والاجتماعية"، والتي تركز على الفحص السنوي لأساليب التعذيب التي تتبعها سجون الاحتلال ضد الأسرى، وتعمل على قياس شدة الأثر النفسي والاجتماعي والجسمي والوظيفي على حياة هؤلاء الأشخاص . وقد طور هذه الاستمارة طاقم من المركز في العام 2007، تحت إشراف ومراجعة وتدقيق مستشار الطب النفسي دكتور محمود سحوي. بحيث شملت الاستمارة خمسة أجزاء رئيسية : الجزء الأول منها يغطي المعلومات الديمغرافية وعدد الاعتقالات التي تعرض لها الشخص وجهة الاعتقال (جهاز السلطة الفلسطينية أو إسرائيل)، والجزء الثاني يلخص أنواع التعذيب المختلفة التي يلجأ إليها الجاني وتكرار حد وث التعذيب وشدته، والجزء الثالث يتناول طريقة التعذيب أثناء الاعتقال قبل الوصول الى المعتقل أو مركز الاحتجاز، والجزء الرابع يغطي الآثار النفسية وتقيس حالة الشعور أو ردات الفعل لدى ضحية التعذيب ، قبل وأثناء وبعد تعرضه لتجربة الاعتقال ، والجزء الخامس والأخير يقيس الآثار الجسدية للتعذيب . وسنعرض بعضاً من العبارات الواردة في الاستمارة ؛ لفهم أبعاد عملية التوثيق في خطاب المؤسسة النفسي وتحليلها:

"هل تعاني من عدم قدرتك على التأقلم في المجتمع؟

هل ترغب في هجرة مكان السكن أو الوطن؟

هل تشعر بالذنب اتجاه عائلتك بسبب اعتقالك؟

هل تشعر بأن لديك شعور بالنار والانتقام؟

هل لديك شعور الحقد والغضب؟

هل تشعر بأن السجناء اتبعوا أسلوباً ممنهجاً في التعذيب؟

هل تشعر بالقدرة على مسامحتهم؟

هل تشعر بضرورة شعور اعتذار عام لضحايا التعذيب من اعلى جهة خاصة بالمعتدين كأن يعتذر

رئيس الدولة أو رئيس الوزراء؟

هل تشعر في نفسك بالرغبة أو النزعة في ممارسة العنف اتجاه الآخرين؟ "

عملية التوثيق عملية مهمة جداً بلا شك للحالات التي تعرضت للتعذيب، من أجل تداول قضية المعتقلين . ولكنها، من حيث التوثيق، تقوم على وصف الممارسات الإسرائيلية بصفتها انتهاكات لقوانين حقوق الإنسان، التي تغطي كل جوانب مناحي الحياة وليست كانتهاكات للقانون الدولي الإنساني، وبهذا يكون دفاعها عن حقوق الانسان كمفهوم خارج عن المجتمع وبنائه ومؤسساته المختلفة؛ لأنها لا تسعى بذلك إلى احداث تغيير أو مساعدة الأفراد للتحرر النفسي ، بل تبقى مهمتها و هدفها منصبة على توثيق الانتهاكات تحت شعار وخطاب حقوق الانسان بعيدا عن الواقع المعاش، وبذلك تكون استراتيجيتها مدفوعة بهذا الاتجاه (كتاب وآخرون، 2010).

لا مانع من أن تأخذ المنظمات غير الحكومية في الوقت الحالي هذا الاتجاه إلا أن المشكلة تكمن في أن التوثيق يسجّل من أجل الحفاظ على الحقوق الفردية للأسرى على حساب حقوقهم الجماعية، كبديل عن تنفيذ مشاريع تمكن هؤلاء الأفراد من كسب المهارات التي تساعدهم على المطالبة بحقوقهم بأنفسهم.

لكن المؤسسات غير الحكومية تتعامل، على أرض الواقع، مع قضية التوثيق بحيث ترى نفسها ممثلاً للجماعات المتضررة من التعذيب وتمثل مصلحته، أمام الجهات سواء المحلية أو الخارجية، بل وترى نفسها بديلاً عن السياسة الدولية العالمية، بحيث تطرح نفسها على أنها نابعة من بدائل قاعدية على المستوى المحلي . وتجمعها، على المستوى العالمي، العديد من القضايا التي تحفزها لتكون حركة اجتماعية عالمية تتحدى القوى العالمية على نفس القضايا التي تم تناولها، وتركت دون معالجة من قبل الامم المتحدة، لكن الحركة لا تعمل خارج النظام العالمي، بل هي في

أحسن حال ومع كل الجهود والفعاليات التي تبذلها هي حركات اصلاحية تقوم على مبادئ وأسس ليبرالية، يتشكل هدفها العام من اجل خدمة وإبقاء النظام الرأسمالي ويكون ضمن عوامة الحقوق (كتاب وآخرون،

2010).

لقد تطورت الحاجة الى إدلاء الشهادة والتوثيق عبر السنين ، من قبل المنظمات الإنسانية التي تقدم خدمات طبية أولية ، إثر احتجاجها على موت الجنود الجرحى في المعارك ، دون تقديم الرعاية المطلوبة لهم . وفي القرن العشرين واجهت هذه المنظمات الإنسانية العديد من التحديات ، مما اضطرها إلى تقديم بعض التنازلات ، بالأخص في عهد الاتحاد السوفييتي وألمانيا النازية . وقدمت هذه التنازلات في سبيل القبول بتواجدها بالقرب من الضحايا للمساعدة والاعانة.

ولا تأتي الحاجة الى الشهادة من أجل التوثيق ، بدون تناقضات أو عواقب ؛ وذلك لأن الشهادة المسموعة ، والتي يتم تداولها في العادة، هي ليست صوت الضحية ، بل صوت المتحدثين الرسميين باسمهم (Fassin & Rechtman, 2007). وفي هذه الحالة هو صوت المدراء الرسميين للمراكز ، الذين يتداولون قصص وتجارب الضحايا في المؤتمرات الدولية لمناهضة التعذيب. كما أن الطريقة التي يتم فيها التوثيق في المؤسسات غير الحكومية مرتبطاً بالقوى الأجنبية الممولة، فهي منفصلة عن مجتمعها ومفاهيمه (وفي حالات تكون مناقضة له)، كالاسلوب المبع في توثيق الانتهاكات ، فهو يأخذ طابع تحقيقي ومخبراتي حسب الثقافة السياسية الفلسطينية، فهذه المؤسسات لا تخدم مجتمعها الذي تدعي أنها تمثله في القضايا السياسية ، عندما تحول تسجيل الحالات إلى قضايا فردية، ولكن هي ترى أنها تفعل ذلك عبر علاقاتها وموقعها الخارجي بالنسبة للجمهور الخارجي ، من خلال التقارير والبيانات التي ترسلها (كتاب وآخرون، 2010).

وعن هذا تحدثت الأخصائية (م. ز):

"يتم التعامل مع الفرد على أنه ضحية مضطهدة، وانه إنسان مريض أو مضطرب نفسياً غير متوازن وعرضة للانتكاسات الدورية، وأنه شخص غير متوافق نفسياً واجتماعياً وبحاجة إلى دعم وإسناد، وهاد الشئ عند البعض برسخ ثقافة الشعور بالعجز والاعتمادية على المؤسسات والآخر، وقد يهدر كرامة الفرد في مواقف ثانية . يعني بكفي انه يتم التعامل معه على أساس مسمى انه "حالة" أو "منتفع" ويتم إدخاله ضمن رمز (Code) على نظام الحاسوب للبيانات الخاصة ،

يعني بتحول لرقم . وبالأحر، لما يجي الممول يعمل تقييم بآخر السنة بشوف أرقام لعدد الحالات بس ما بشوف ولا بعرف قصص ولا أسماء كثيرة ونضالات وتحديات وصراع بقاء ووجود لهاي الأسماء "الأرقام".

### واقع العمل الميداني

يتطلب العمل في مجال تقديم الخدمة النفسية للأفراد أن يمتلك الأخصائي مجموعة من المبادئ الأساسية؛ لتبادل الخبرات المعرفية الأساسية مع المتفاعلين في الميدان، والقدرة على تغيير الأحكام المسبقة التي يحملها الناس، من خلال الفهم الخاطيء للتخصص، وذلك من أجل تخفيف الوصمة المرتبطة بالعلاج النفسي. وسوف نعرض مثلاً على طبيعة وواقع العمل مع الناس من الميدان من خلال تجربة الأخصائيين:

إن الإنسان بطبيعته كل متكامل ومشكلاته ذات صلة بهذا الكل يشرح أحد الأخصائيين سوء الفهم لدى الناس حول طبيعة عمل الأخصائي (م.ر): "الأخصائي سوق يعالج كل مشاكل الفرد وهذا بسبب قلة الوعي لدى الأفراد والجماعات لفهم دور الأخصائي النفسي، مثال على حالة لدي، أسير كان يشرح لي عن مشكلة مالية لها دخل بالشؤون الاجتماعية، هذه لها علاقة بالوصمة النفسية والإعلام وبعض من الممارسات الخاطئة للأخصائيين لأنهم أحياناً يتدخلون في حياة الحالة أكثر مالم يجب".

كما يوضح الأخصائي (م.ر) نظرة الأشخاص للأخصائي من خلال قوله: "صاحب المشكلة، توقعاته من الشخص الذي يبجي يقدم له الخدمة أكبر من قدرة الفرد نفسه، بمعنى خبرتي بمجال عملي لما كنا نزور أسير محرر ينظر إلى الأخصائي النفسي وكأنه إنسان الذي بدهيجي يخلصه من كل المشاكل التي بعاني منها ويحطه في واقع مختلف تماماً. هذا له بعدين إن الناس ما عندها الوعي والنضج و الفهم الكافي وهذا موضوع كبير إله علاقة بالموث السلي

والوصمة الاجتماعية وغيرها من الأمور، وكمان في بعض الممارسات الخاطئة هي مش خاطئة ولكن الأخصائي يطول أن يساعد خارج صلاحياته".

ومن أجل مخزجات عمل أفضل ، يتطلب من الأخصائي القدرة على التعامل مع الآخريين بصورة أفضل، جراء الفهم الأوسع لتصرفاتهم ومشاعرهم وردود أفعالهم، والقدرة على مناقشة أفكارهم ومشاعرهم المتعلقة بالمشاكل اليومية والحياتية ، ولكن بوضعها في سياقها السياسي والاجتماعي ومعرفة أن ثقافة الصحة النفسية والعلاج النفسي هي ثقافة جديد ة ومستدخلة على الشعب الفلسطيني . ولذا؛ فمن الطبيعي أن تكثر الصور الرمطية عن هذا العلاج وهذا يمكن للأخصائي الماهر في أن يفسره ويغيره.

### الأدبيات الصادرة عن المركز

يعمل المركز، في سبيل تحقيق رؤيته "نحو مجتمع خالٍ من التعذيب"، على توعية المجتمع، ونشر المواضيع ذات الصلة لزيادة الوعي والمعرفة حول مواضيع التعذيب. وتحتوي هذه المنشورات، في ظاهرها، على معلومات تثقيفية في مجال علم الاضطرابات النفسية ، مثل: القلق والاكتئاب والفقدان، إضافة إلى تثقيف حقوقي قانوني خاص بالمعتقلين الأطفال ، والاتفاقيات العالمية المناهضة للتعذيب والتقارير السنوية، ويتناول التثقيف في مجال حقوق المحتجزين في سجون السلطة الفلسطينية.

تأرجح الموضوعات والاهتمامات حسب سوق الطلب للعنف المنظم في المجتمع الفلسطيني، الناتج عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ إلى أن ينتقل ليشمل بعد عام 2007؛ حالة الصراع الفلسطيني-الفلسطيني كذلك، بحيث أصبحت تتناول قضايا لها علاقة بظروف الاحتجاز السياسي في مراكز الاحتجاز في السلطة الفلسطينية، وتسلط الضوء على الموضوعات ذات الصلة في هذا السياق.

إن الغرض من طرح وفحص المنشورات التي يصدرها المركز هو محاولة الكشف عن المعنى الضمني ، وهل أن المواضيع المطروحة والمطبوعات تتحدث بصوت الفرد الفلسطيني المستهدف ، ونقرده معاناته وطرق تكيفه، أم

تندرج هذه المنشورات تحت الخطاب الترويجي ؛ لتشكيل صورة محددة عن الذات الفلسطينية، أو "الضحية" كما يطلقون عليها، والترويج لانتهاكات حقوقها في مجتمع مدني تحت الاحتلال!؟

من الجدير بالذكر أن مخازن المؤسسة مغرقة بالمطبوعات، ولمكدسة بنسخ غير مستخدمة، ويتم توزيعها بشكل عشوائي؛ للتخلص منها. وقد ينتهي بما الحال في سلة النفايات؛ لأنها مواضيع مكررة تجتر المعلومة بتدفق فائض من المنشورات التي تتناول نفس الم موضوعات، وبنفس الطريقة والأسلوب، ولكن باختلاف اللون والطبعة للمؤسسات غير الحكومية المختلفة. وهنا يبرز تساؤل: هل تقوم المؤسسة بدراسة احتياجات المجتمع كي تصدر له هذا الحجم الفائض من المنشورات أم هي فقط آلية لصرف الميزانية المخصصة للمشروع (البروشور)؟

وقد لاحظت الباحثة أثناء عملها في المركز أنه كان يجلب من العاملين بيع الحقب التدريبية في مجال الصحة النفسية والتدخل وقت الأزمات وحقوق الإنسان للطلبة المتدربين. كما أنها تُخضع كبضاعة في المؤتمرات المطبوعة، مع تسعيرة فوقها، بهدف بيعها للمشاركين، وهذا يعكس ذهنية تجارية للاستفادة من إعادة تدوير الأموال المصروفة من جديد، واستخدامها ك **Pocket Money** للمركز، مما يظهر مدير المؤسسة كصاحب دكان يحاول التخلص من البضاعة.

من ضمن المواضيع المعنونة في البروشورات والكتيبات والتي تندرج تحت مصنفين حقوق الانسان والصحة

النفسية ما يلي:

## المنشورات ذات العلاقة بموضوع حقوق الانسان

- اتفاقية مناهضة التعذيب<sup>36</sup>
- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة : التي تسعى لضمان مساواة الرجل والمرأة في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية.
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: ينص على 30 مادة، الغرض منها النشر للملا بوصفه المثل الأعلى المشترك الذي ينبغي أن تبلغه كافة الشعوب وكافة الأمم . كيفما يسعى جميع الأفراد في المجتمع وهيئاته، واضعين هذا الإعلان نصب أعينهم على الدوام، ومن خلال التعليم والتربية يتم توطيد احترام هذه الحقوق والحريات .
- حقوق الطفل: ينص البروشور على (54) مادة تم الاتفاق عليها، والتي تشير إلى أن الأمم المتحدة أعلنت في الاعلان العالمي لحقوق الانسان أن للطفولة الحق في رعاية ومساعدة خاصتين واقتناع مرها بلأن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع والبيئة المجتمعية لفو ورفاهية افرادها .
- الحقوق والحريات في ضوء القانون الأساسي : وهو دليل إرشادي مهمته تعزيز ثقافة حقوق الإنسان وصون الحقوق والحريات العامة.
- المرشد الوطني لمناهضة التعذيب ؛ وهو عبارة عن دليل ارشاد ي حسب التشريعات الدولية المتعلقة بمناهضة التعذيب من أجل رفع الوعي بموضوع مناهضة التعذيب، والوقاية منه، وضمان تطبيق القوانين والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الانسان.
- نشرة تعريفية للوكالة الإ سبانية للتعاون الدولي من أجل التنمية، والتي يتمثل هدفها الاستراتيجي للعمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، بإقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة من خلال محاربة الفقر (التنمية الاقتصادية والاجتماعية)، وتعزيز بنية المؤسسات العامة، ودعم المجتمع المدني في مجال تعزيز القيم الديمقراطية والسلام . وعليه ؛ فإنه، بهذه الطريقة و بهذا الخطاب ، تؤيد مشروع دولتين وشعبين وعاصمة مشتركة، بحيث



تحاول محاربة الفقر، وتسعى للتنمية بغرض يبعد عن القضية الأساسية، وهي أن مستعمر أَسْحَبَ الأرض من تحت أقدام السكان الأصليين.

- دليل إرشادي لحقوق المحتجزين: وهو دليل موجه للأشخاص في مراكز الاحتجاز والتحق قيق الفلسطينية، وهذا يوضح أجندة الممول الأوروبي الذي يستهدف المحتجزين في مراكز السلطة بالتساوي في النظرة والمفهوم للعنف من قبل المستعمر ضد المستعمر مع الأسرى في السجون الإسرائيلية.
- من أجل البقاء: بروشور يستهدف الأطفال لتوعيتهم بحقوقهم داخل السجن، ويعمل على توعيتهم بأساليب التحقيق وكيفية التعامل معها

### منشورات الصحة النفسية

- الاكتئاب وأشكاله.
- أبنائنا والتربية الجنسية.
- التبول الإرادي.
- القلق النفسي.
- الضغط النفسي.
- التعامل مع حالات فقدان.
- التدخل وقت الأزمات.
- الدليل التدريبي في حقوق الإنسان والصحة النفسية.

نلاحظ، من خلال التمعن في مضمون المنشورات الصادرة عن المركز، أنها تحتوي على مواضيع تثقيفية حول مجالين هما: مجال حقوق الانسان، والصحة النفسية. وتعكس هذه المنشورات فلسفة المركز وآلية عمله، وما الذي يسعى إلى ترسيخه في المجتمع. وجميع هذه المواضيع مجردة وخارجة عن مفاهيم المجتمع وقيمه وبنيتة ولا تسعى إلى

نشر ثقافة الصحة النفسية (للشعب المحتل أو المستعمر) رابطة إياها بعملية التغيير والتحرر، بل تبقى فائدة هذه المنشورات ضمن مهمة مشروع ممول تمت الموافقة عليه، وطبع منشورات تقع تحت بندوده، ويكمن هدفها في الانفصال والحيادية نوعاً ما عن ربط الصحة النفسية بالتحرر الوطني.

بالتالي؛ تكون هدف واستراتيجية هذه المنشورات خارجة عن هذا الإطار وعن احتياجات المجتمع، ويكون عمل المركز ضمن إطار الليبرالية الذي يجد فعاليتها كمؤسسة ضمن مفاهيم ومعايير اقتصادية رأسمالية تروج للبرامج المختلفة وعمل على إعداد المستهلكين (الزبون أو المنتفع النفسي) وفق سوق المال الرأسمالي القائم، وهي تحرص أن يكون دور المؤسسات غير الحكومية دوراً لا يحقق أي تغيير بنيوي في المجتمع بل يضمن استمرار الحال كما هو (كتاب وآخرون، 2010).

هذا ما نلاحظه، بعد فحصنا لمضمون المنشورات؛ حيث أنها لا تتحدث بصوت الفلسطيني المتضرر من ممارسات الاحتلال وطرق تكيفه، وإن فعلت فإنها تركز على الجوانب السلبية للتكيف على الصعيد النفسي والاجتماعي، وهذه هي الطريقة التي يتم بها تمثيل الذات الفلسطينية. حيث تسلط الضوء على الفلسطيني "الضحية"، وبالتالي تهدف إلى زيادة وعيه بأهميته وجود برامج ومؤسرات تعالجه وتنادي بحقوقه.

### الدراسات التي قام بها المركز

1) دراسة لرصد ظاهرة العنف سنة 2005: قام المركز بإجراء بحث لرصد ظاهرة العنف في المجتمع الفلسطيني، بحيث شكل الأطفال الفلسطينيون من عمر 14-18 الفئة البحثية المستهدفة؛ وذلك لإعطاء مؤشر على حال من هم دونهم عمراً أو يكبرونه م، شملت الدراسة (67) مدرسة، بلغ عدد الطلاب المبحوثين في الصفوف (2299) طالباً وطالبة، موزعين على محافظات الضفة الغربية. أظهرت بعض النتائج أن مدى المعاناة النفسية لدى الطلاب من أشكال العنف 47.5% بين غالباً ودائماً، ومشاركة الطالب في العنف 36% تتراوح بين دائماً وغالباً، كما أظهرت أن نسبة التوتر كانت عالية بنسبة

18%، والاكتئاب 19%، وأعراض جسمانية ذات منشأ نفسي 9%، وشدة الحساسية 21%، وأخيراً أظهرت النتائج أن 66.6% تأثروا نفسياً نتيجة مشاهدة العنف الممارس من قبل الجنود الإسرائيليين سواء اعتقال، أو منع تجول أو دهم المنازل وغيره من أشكال العنف المنظم.

(2) دراسة ثانية بعنوان "الوصمة الاجتماعية للأمراض النفسية " سنة 2009، والتي هدفت للكشف عن الأسباب في تدني الإقبال على الخدمات النفسية على الرغم من أنها مجانية ، على الرغم من كثرة الأحداث الصادمة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، وميل الأفراد في تقبل أو رفض الخدمات النفسية، كما هدفت لدراسة حجم الأضرار النفسية في المجتمع ومعرفة السلوك الذي يتبعه الأفراد للتعامل مع هذه الأضرار، وبلغت العينة (600) فرد بالغ، يقيمون في مناطق مختلفة في الضفة الغربية.

أهم ما توصلت إليه النتائج أن 41% عانوا من اضطراب ما بعد الصدمة، 19% عانوا من إجهاد نفسي حاد، 8% عانوا من النوع الحاد، 10% من النوع المزمن، كما أظهرت أن 18% يعانون اكتئاباً متوسطاً إلى شديد، وأن 12% يعانون من مؤشرات على الذهان على مقياس الصحة النفسية المعروف ب (SCL90)، و10% يعانون من العدوانية والأعراض ذات المنشأ النفسي، كما أظهرت الدراسة ان أقل من 6% من افراد المجتمع توجهوا لتلقي خدمات نفسية ؛ بسبب الوصمة الاجتماعية والنظرة السلبية للمرض النفسي والخدمات النفسية.

(3) دراسة عن أساليب التعذيب المستخ دمة في السجون الإسرائيلية وتأثيراتها سنة 2007، تهدف إلى دراسة الأدوات والأساليب المستخدمة وتكرار ممارستها على الأفراد، ومناطق الجسم التي يتم التركيز عليها، والتأثيرات الجسدية والنفسية للتعذيب. شملت الدراسة (600) أسير محرر، وتم إعداد أداة قياس خاصة صُممت بالاعتماد على مقابلة أكثر من (100) معتقل محرر ، بالإضافة إلى مقاييس عدة للكشف عن التأثيرات النفسية والاجتماعية مثل PTSD, BECK Depression Inventory, SCL90.

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها : أن هنالك علاقة بين الحالة الاجتماعية والتأثر في الإصابة في PTSD، وان الأشخاص الذين يتلقون دعماً من محيطهم بنسبة أعلى تقل احتمالية إصابتهم بالاضطراب، كما هو الحال لدى المتزوجين الأقل تأثراً من العازبين والمطلقين، وأن نسبة الاضطراب تقل عند المعتقلين الذين تكرر اعتقالهم أكثر من مرة مقارنة مع المعتقلين الذين اعتقلوا مرة واحدة.

4- دراسة 2011 عن تأثير الاعتقال على أسر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية "الضحايا الثانويين للتعذيب". سعت هذه الدراسة للكشف عن أهم الانتهاكات التي تتعرض لها الأسرة الفلسطينية جراء سياسة الاعتقال، وأهم مشاكلهم النفسية والاجتماعية والاق تصادية الناجمة عن اعتقال المتزوجين ، إذ اهتمت بدراسة وظيفة الأسرة، التي لا تؤدي وظائفها في ظل غياب الأب الذي يمثل السلطة الضابطة ، ولتحقيق الهدف تم توزيع استمارة على (358) عائلة من الأسر التي اعتقل احد أفرادها ومتزوج.

أظهرت النتائج 92% من الاعتقالات تمت في المنزل بأعداد كبيرة معظمها في وقت النوم العميق بعد منتصف الليل الأمر الذي يؤدي إلى ضرر ومعاناة نفسية على الأسرة بشكل مضاعف، ونتيجة تعرضها للصدمة المباشرة من جراء الانتهاكات التي تصاحب عملية الاعتقال، وغيرها من الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة، وبالأخص حالة الزوجة النفسية في هذا السياق في ظل غياب الزوج.

تعليقاً على الدراسات أعلاه، نجد أنها كلها اتبعت المنهج الكمي في البحث وهذا عليه مأخذ؛ إذ انه معني في رصد الظاهرة عدداً أي بالأرقام؛ فهو منهج يحول الظواهر الى أرقام ويعمل على إقصاء الحقائق مستفيداً من هذه الأرقام، بعرضها أمام الممول ليظهر عدد كبيراً من المتضررين من العنف والتعذيب، و بحاجة لتدخل ومساعدة نفسية، وهذا ما يبقى أبواب المركز مفتوحة للعمل . كما نلاحظ أنه لم يتم التطرق ولو لمرة لفهم ودراسة طرق تكيف الأسر أو الأسرى من ناحية إيجابية؛ كي يعكسها كثافة محلية للناس، بمعنى ثقافة التأقلم والتكيف مع الاحداث الصادمة التي يتعرض لها الاشخاص (ضحايا العنف المنظم) وليس فقط ثقافة الصحة النفسية التي تركز على أهمية العلاج النفسي للتمتع بالصحة النفسية.

كما يتم استخدام هذه النتائج والدراسات لعرضها في المؤتمرات العالمية والمحلية المناهضة للتعذيب، وهذه الدراسات وغيرها من طرق التوثيق يتم فيها استخدام قصص الأسرى ومعاناتهم لاستجلاب التمويل.

وبهذا؛ لا يسعنا إلا التساؤل حول مدى أخلاقية هذا الطرح من منظور وطني وثقافة المقاومة والنضال، وكيف يتم تشكيل صورة عن الذات الفلسطينية من خلال هذا الطرح، التي لا ننكر عليها التأثيرات النفسية ولكن قضية أن يتم تصويرها وتعميمها على أنها تمثل جميع أفراد الشعب الفلسطيني من خلال هذا الطرح، وعليه يمكننا القول أن المركز في عمله لا يدعم لبرأت النفسية المقاومة، ولكنه يعزز الذات السلبية (الضحية)!

بعد التعمق في الدراسات الصادرة عن المركز، نستطيع ملاحظة ان هذه الدراسات اعتمدت، في قياس الصدمة والآثار النفسية، على نظريات ومفاهيم علم النفس التقليدي والا تجاه الطبي في التشخيص وتصنيف الأمراض والمشاكل النفسية، وهي تعتبر أدوات جاهزة ومنقولة ومقبولة بحيث انطلقت الى الميدان لتختبر فرضيتها بلأن الشعب الفلسطيني، الذي يعيش في ظل سياق سياسي عنيف، لا بد من وجود ملاءم للصدمة في حياته.

كما ركزت في القياس على فحص متغيرات للصدمة، مثل: العمر والدخل ومستوى تعليم الأ بوين والمنطقة الجغرافية، وهذه الطريقة في الدراسة والبحث تتم من خلال تطوير استمارات تتم تعبئتها من خلال العاملين في المركز وبعض المطلوعين، بحيث لا تعطي مساحة للحوار بين الباحث والمبحوث، ويؤظر للمشارك على أنه مصدر بيانات تُستخرج منه المعلومات بأسلوب التحقيق، وهذا من شأنه ان يقصي أشكالاً وتجارب أخرى للذوات، التي تختبر وتعيش الأحداث الصادمة تحت الاحتلال.

كما أن الاستمارة مطورة، بحيث تقيس مؤشرات (لغة التعبير عن الصدمة ج اهزة) تجيب على فرضية التي براد فحصها. وهنا؛ يظهر إشكالية أخرى بأبعاد مختلفة، إذ أن المشاعر والأحاسيس هي مكونات داخلية للإنسان، يعبر عنها بالطريقة التي تناسبها والتي تكون بأسلوب شائع ومتعارف عليه ومقبول في المجتمع المحيط بالفرد، فكلمة "مشاعر" تحمل في طياتها مفاهيم عدة، وهي حالات مختلفة يعيشها الإنسان كالفرح، والحزن، والكآبة، والسعادة، فهي في واقع الأمر مصطلحات لغوية أطلق على الحالات التي يعيشها الإنسان ليتفاعل هو معها، ويفهم المحيطين

به الحالة التي يعيشها الفرد بناءً على طريقة التعبير عن حالته ومشاعره . وهذه المشاعر واللغة المستخدمة للتعبير عنها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ولا يصح إسقاط لغة الاستمارة عليها لحصرها وتضييقها، لاستخدامها نهج الاستمارة أولاً وثانياً لغتها المترجمة والتي تمت مواءمتها للسياق العربي والفلسطيني.

## الباب الخامس: التوجهات النفسية

### الأدوات المستخدمة في المركز وتبيان النظرة إلى الصحة النفسية

سوف يتم في المرحلة التالية التركيز على الخط العلاجي ، المسمى بالعلاج والتأهيل وفقاً لسياسة المركز، وهل هذا التوجه يتناسب مع المأثور الشعبي أم أنه إسقاط أجنبي مستورد من الممول. كما سيتم البحث في مدى توافق وانسجام رؤية المركز مع الرؤية الوطنية للمقاومة والتحرر من الاستعمار . وسوف يتم نقاش هذه النقاط من خلال عرض برامج الخدمات التي يقدمها المركز وهي العلاج والتأهيل النفسيين.

تعتبر دائرة العلاج من أهم دوائر المركز وهي الدائرة الخدمانية الأوسع فيه، إذ يعنى عملها بتقديم العلاج المتنوع لضحايا التعذيب ولعائلاتهم، فالمركز يقدم خدمات العلاج الطبي والنفسي والطبي الأولي، إضافة إلى خدمات العلاج والإرشاد النفسي الإكلينيكي والاجتماعي لضحايا التعذيب والعنف المنظم وأسرههم، ويتم ذلك من خلال طاقم العمل المتخصص بتقديم هذه الخدمات ، عبر استخدام أحدث التقنيات في العلاج والتدخل (مثل المعرفي السلوكي والعلاج الروائي والتدخل وقت الأزمات، وعلاج عن طريق حركة العين السريعة EMDR وغيرها). يتم ذلك من خلال استقبال (أو تعبئة المجتمع) المنتفعين والمراجعين داخل وخارج المركز في مختلف محافظات الضفة الغربية، واستحداث برامج الخدمات العلاجية المنزلية، والتي من شأنها المساهمة في الوصول بالسرعة القصوى إلى الحالات المتضررة ، للوقاية وتقديم العلاج السريع وتسريع عملية تعافي المتضررين (وكأنهم مصابين بوباء أو فيروس بحاجة للقاح نفسي وطبي فوري)، وهذا يعكس التوجه الطبي للمركز في إطار سياسة تقديم الخدمات التي يتبناها.

## علم النفس في السياق الاستعماري

إن دعم وتمويل منظمات المجتمع المدني ، وبالأخص العاملة منها في القطاع النفسي، تستوق الحالة الفلسطينية والشعب الفلسطيني في صورة حالة الضحية (Victimhood) وعلى أنه شعب منكوب مفعول به وليس فاعلاً صانعاً لتاريخه وحالته ووجوده.

ولفهم حالة الضحية يجب ، أولاً، توضيح الفرق بين الطب النفسي والعلاج النفسي ؛ وذلك لان كل منهما يعملان ضمن هذا الفكر ، فالطبيب النفسي يدرس بيولوجيا الأعراض، ويحاول أن يعطي الأدوية العلاجية التي تخفف من الأعراض، أما المعالج أو الأخصائي النفسي فإنه يحاول أن يفهم العرض أو مجموعة الأعراض ويعطيها معنى آخر، أو معنى بديل أو جديد، ولا يكتفي بالطبيعي أو غير الطبيعي . ويتم ذلك من خلال ما يعرف بالعلاج السقراطي نسبة إلى الفيلسوف سقراط في العلاج النفسي، إذ يحاول أن يخلق رواية بديلة عند الناس تجعل روايتهم الأصلية أقل جدلية، وأقل تطرفاً

كما يتوجب علينا أن نفهم عنصر أ أساسياً في العلاقة العلاجية النفسية سواء كانت على مستوى أفراد أو مجموعات، وهي علاقة بين اثنين، علاقة غير متساوية، وغير متكافئة، وتتميز بوجود عنصر السلطة Authority بحيث تخلق مساحة للتفريغ، والهدف منها مساعدة ش خص واحد وليس الطرفين بحكم أن الشخص المتلقي للعلاج هو الذي يسعى للخدمة ويطلبها.

رغم الفروقات بين الطب النفسي والعلاج النفسي، فإن كلا المنهجين يستندان إلى نفس الخلفية النظرية والمفاهيمية، وتنطلق من فرضيات وخطاب الصدمة، الذي لا يقتصر على عالم الطب النفسي ومفرداته، بل يتجسد في الاستخدامات اليومية والتفسيرات في العلاج النفسي، إذ انه خلق ل غة جديدة للتعامل مع الأحداث المؤلمة (Fassin & Rechtman, 2007).

هذه هي النظرة الاكلينيكية التي تعمل بها المؤسسات غير الحكومية في القطاع النفسي في سياقنا الفلسطيني ، من خلال خطاب كل من الصدمة وحقوق الإنسان، التي تخرج صورة جديدة للفلسطيني ين، وللأسير الفلسطيني



بوجه خاص، ضحية فردية غير مسيسة، وفردية بحاجة لعلاج أطباء وأخصائيين نفسيين وبمحاذاة أن يدافع عنهم نشطاء في حقوق الإنسان. حيث أن كل من المنظومة الفكرية للصدمة النفسية وحقوق الإنسان، تتشاركان في نفس الموضوع أو التسمية؛ وهي "الضحية"، التي هي بحاجة لتدخل نفسي من المهنيين والمختصين في المجال، كما أن فكرة الآخر (المستعمر) ضمن هذه الممارسات تكون ملغية، وبذلك يجب على الضحية اكتساب بنية نفسية عالمية متخيلة متبينة النمط الغربي في التعامل مع المشاكل من خلال التوجهات العلاجية (ميعاري، 2012).

### التوجهات النفسية في العلاج النفسي

يقدم هذا الجزء لمحة تاريخية للآليات المتبعة التي يقدمها المركز للأفراد المنتفعين من خدمات العلاج النفسي.

1- **العلاج المعرفي السلوكي** : اعتمد هذا النهج في البداية على علم النفس التحريبي متبوع بالتطور الالافتي، على علم النفس الذهني، وكانت معظم المشاكل النفسية تصنف على أنها إما خلل أدائي وإما خلل ذهني، بحيث استقر في النهاية على المزج بين التوجهين السلوكي والمعرفي. فهو علاج نفسي قصير المدى يقوم به المعالج والمريض بدور نشط، وهذا النوع أكثر شيوعاً في العلاج الفردي ولكن يمكن تطبيقه في المجموعات. وهو منهج أساسي للمركز لأنه يرى أن الناجي من التعذيب يعاني من ضعف في آليات التكيف ويحمل أفكاراً ومعتقدات سلبية تجاه الذات، بالإضافة إلى السلوكيات التجنبية ولوم الذات والشعور بالدونية وفقدان السيطرة، ويقوم على تشجيع المنتفع بالتفكير بأن سلوكهم تحت الت عذيب، وهي رد فعل طبيعي وضروري للبقاء، إن التعذيب صمم من أجل إشعار الم عذب بالدونية وقلة الخيلة، كما يسعى للتعرف إلى المعتقدات والقيم والافتراضات الخاطئة من قبل المنتفع وإمكانية تحويلها إلى معتقدات صحيحة. ويستغرق بين 12-15 جلسة فالعلاج به محدد بالوقت والمهدف ويتلاءم مع كم المنتفعين الهائل الذي يتعامل معه المركز<sup>37</sup>.

2- **العلاج الروائي**: تم تطوير منهج العلاج الروائي كمنهج غير مرضي Non-pathologizing على يد كل من مايكل وايت ودافيد ابستون، إذ يعرف العلاج بأنه عملية تمكين تعاونية، فالأشخاص يمتلكون

الكفاءات الطبيعية والمهارات والخبرات التي يمكن أن تساعدهم على تغيير مسار حياتهم . وهو عبارة عن أسلوب علاج يعمل على فصل الشخص عن المشكلة، ويشجع الأشخاص على الاعتماد على مجموعة مهاراتهم الذاتية للحد من المشاكل الموجودة في حياتهم اليومية . ففي كل مراحل الحياة، تتحول الخبرات الشخصية إلى قصص شخصية ذات معني وتساعد الشخص على تكوين هويته، بحيث يستخدم قوة القصص الذاتية للأشخاص ليكتشفوا هدفهم . كما يهدف إلى تغيير آثار المشكلة من خلال رؤية قصص المشكلات في سياقها الاجتماعي والسياسي والثقافي، الذي يؤثر على الطريقة التي نرى أنفسنا وقصصنا من خلالها38(Morgan, 2002) .

3- العلاج من خلال حركة العين السريعة EMDR: هو علاج نفسي حديث اكتشف عام 1987 بالصدفة، وأبدى العلاج نجاحه مع الحالات التي تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة، ويفترض مبدأ عملها أن الصدمة النفسية تخزن في جزء من الدماغ القديم ، بحيث تنغلق وتستمر في تغذية الدماغ بمشاعر غير مريحة وأفكار سلبية الأمر الذي يمنع النشاط الوظيفي للدماغ بصورة طبيعية . ويتم من خلال استثارة الدماغ ، باستخدام اليدين يميناً ويساراً بالتواصل مع عيون المنتفع وحركة النقر، والهدف منه المرور بالصدمة والعودة إليها واختبارها مرة أخرى ولكن في مكان آمن، ويح تاج من (3-6) جلسات للصددمات البسيطة و (12) جلسة للصددمات المتعددة، ويأخذ الطابع الفردي<sup>39</sup> .

4- التدخل وقت الأزمات : هو عبارة عن مجموعة من البروتوكولات التي يقوم بها طاقم متخصص فور انتهاء الحدث الصادم، واستخدام المركز هذه الطريقة مع أهالي مجزرة جنين عام 2002، لان استخدامها يتم في حالات الحروب والصراعات والكوارث، والآليات تبدأ بعملية الإخلاء، أي إبعاد المتضررين عن الحدث الصادم، ومن ثم البدء في التدخل لتفريغ شحنة التوتر الناجم عن الحدث بما تعرف Defusing وتتلوها مرحلة إعادة المرور بالحدث الصادم في ظل ظروف آمنة Debriefing.

من خلال ما تقدم نجد أن التوجهات النفسية التي يعمل بها المركز في دائرة العلاج النفسي تتبنى المنهج التقليدي في سياقه الاستعماري، ومؤخراً أصبح يتبنى المناهج ما بعد الاستعمارية Postcolonial مثل العلاج الروائي من الناحية النظرية . ولكن على أرض الواقع وفي الممارسة المهنية يوظف المنهج التقليدي، والمنهج "ما بعد الاستعماري" ، بنفس الأسلوب دون الوعي للبعد الاستعماري والتحرري في كلا النموذجين ، وهذه الممارسة بدورها تطمس الهوية التاريخية ، وتزيد المجتمع غرقاً واضطهاداً من منظورها الفكري هذا، حيث أنها تتمحور حول سياسة التجهيل والتعبئة من خلال المناهج المعرفية الغربية، والتي تهدف إلى السيطرة والتحكم بالفرد ووضعه في قوالب جاهزة للتعبير عن صدمته في حين يزيد تطويع إرادته لتقبل خبراته الصادمة وطمس إرادة المقاومة للتغلب على عوامل القهر والإضطهاد التي أنتجت معاناته النفسية (فريري، 1993).

رغم أن العلاج الروائي هو أحد المناهج التطبيقية لعلم النفس التحرري ما بعد الاستعماري، إلا أنه ، ومن خلال ملاحظة الباحثة عندما قامت بمرافقة إحدى الأخصائيات الممارسات لهذا المنهج في إحدى الجلسات العلاجية في زيارة منزلية عند أم شهيد، لاحظت وجود فجوة ما بين البنية الأساسية التي يتبناها هذا المنهج ، والتي تعزز القيمة والمعنى للايجابية للخروج من الصدمة من خلال إعادة تأليفها ، وربطها في سياقها الاجتماعي والسياسي ، وما له من علاقة في مفهوم العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان . إلا أن الأخصائية لم توظف أيّاً من هذه المفاهيم في جلستها العلاجية ، وإنما كانت تحقيقاتها في التركيز على اغراق المنتفعة (والدة الشهيد ) في صدمتها، وعدم مساعدتها على ربط معاناتها بالصدمة الجماعية للمجتمع الفلسطيني ، ومعنى قيمة الحياة كمفهوم من مفاهيم المقاومة واستمرارية العلاقة مع الشهيد كحالة نضالٍ عامة . وبهذا؛ فإن الأخصائية المعالجة تتبنى منهجاً غير واضح لها في فكرها ، وإنما تتركز على ذهنية علم النفس التقليدي لممارسة علم نفس تحرري، فأني تناقض هذا؟ وما هي الذات أو القصة التي سيتم إعادة إنتاجها بهذه العقلية المتناقضة، ما بين أسس المنهج العلمية وواقع ممارسته في الميدان؟.

## النقد على هذه التوجهات

تأخذ أغلبية المنهجيات، على المستوى الممارسة، الطابع الفردي في العلاج، وتنبع من فلسفة العلاج قصير المدى، من خلال الجلسات العلاجية، التي تمتد من 6 إلى 12 جلسة وأكثر مع الحالات المتضررة من العنف، الأمر الذي يجعل هذا العلاج في موضع شك حول ما يغيرونه في مفاهيم الناس ومعتقداتهم عن الصراع المسبب للحدث الصادم في حياتهم، وبالتالي ما هي القيم التي تتسرب لهؤلاء ضمن هذه المعالجة بالأخص عندما يتم إعطاء مسميات لمعاناتهم بمصطلحات نفسية (تشخيص نفسي طبي).

عند الحديث عن العلاج المقدم بهذه الطريقة، فإنه يقوم (من هو؟؟؟؟) بدوره بالتركيز على الصدمة في حياة الافراد وإبرازها، وترجمة خبرة الناس عن الصراع المحيط المتشكل في سياقنا الفلسطيني القائم في ظل السياق الاستعماري الاسرائيلي. وبالتالي، فإن مخرجات هذا العمل تُخذ ملامح مختلفة وأساسية، من خلال إضفاء الطابع الشخصي لتاريخ الصدمة في حياة الفرد، وتكشف عن الأبعاد النفسية الناتجة عن علاقة الفرد بالعنف مع تركيزها على الجوانب العاطفية، دون ربطها بالصدمة الجماعية والبنية السياسية الاجتماعية في ظل السياق الاستعماري. على الرغم من أن الفلسطينيين يعانون من مختلف مظاهر الاضطهاد، نتيجة الاحتلال، إلا أنهم يفضلون -بل يهتبرون أنفسهم- مناضلين وليس ضحايا. هذه هي الصورة التي يرونها عن ذواتهم في هذا السياق العنيف، كما أنهم يرون أن صمودهم أمام انتهاكات العدو الإسرائيلي المتكررة واليومية عبارة عن صور ونماذج للصمود والمقاومة، بدل التسليم بالامر الواقع والخضوع له، وليست معاناة نفسية بالنسبة لهم. كما أن نظرهم للماضي والمستقبل غير مثبتة ومرتبطة بالصدمة<sup>40</sup>. فقد لاحظت الباحثة، كملاحظة مباشرة، أنه عندما يتحدث الأخصائيون النفسيون مع هؤلاء المناضلين، ويطلبون منهم رواية الاحداث الصادمة التي مروا بها وبالتالي ما يشعرون به، لا يجرونهم على تكرار وسرد حكايتهم؛ ولكن يحاولون اقناعهم وجعلهم يصدقون أن هذه هي الطريقة المثلى والوحيدة للتعبير عن الصدمة، من أجل إجهالها للمجتمع الدولي الذي يهتم بقضايا من هذا النوع. ومن خلال السرد يتم التركيز على

الاعراض النفسية الناتجة عن الحدث بهذا الإطار معتقدين (المنظمات غير الحكومية) إن من خلال التركيز على الجوانب المؤلمة سوف يتم استثارة التعاطف مع القضية العامة وبالتالي إستجلاب المزيد من التمويل، وهكذا هي السوق (Fassin & Rechtman, 2007).

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن الأخصائيين العاملين في المركز ، والذين يتبنون هذه التوجهات العلاجية المختلفة ، ويتم تدريبهم عليها من جهات خارجية، هم لا يعكسون توجهاتهم الفردانية ، وإنما يمثلون المنظومة المؤسساتية للمركز بتوجهاتهم المختلفة. وعليه، فقد تبين للباحثة، من خلال الملاحظة المباشرة، أن المركز يهتم ببناء قدرات الطاقم المهني من الأخصائيين العاملين في مجال العلاج النفسي ؛ عن طريق تدريبهم على هذه النماذج العلاجية المستوردة، ولكنهم - في حقيقة الأمر - يطبقونها غالباً دون أدنى إدراك للفلسفة العلاجية التي تمثلها هذه المناهج المستنسخة. كما هو الحال في تدريبات العلاج الروائي، وتدريبات حركة العين السريعة.

نستنتج مما سبق أن بنية المؤسسات غير الحكومية ، العاملة في القطاع النفسي في الواقع الفلسطيني ، تساهم في تجهيل وتغييب الذهن الواعية للأفراد العاملين من خلال عدم وعيهم لما وراء بنية المناهج النفسية الجاهزة ، مطبقة بذلك "موضة" السوق التمويلي الدارجة للمشاريع التي يتم تنفيذها ؛ دون أدنى وعي لما يتوافق أو لا يتوافق مع الحالة الفلسطينية، متشكلة بذلك دمية يتم تحريكها من خلال السوق التمويلي كيفما يشاء .

## الباب السادس: الإسقاطات النفسية ومناهضة الاستعمار

الاختبارات النفسية المستخدمة التي تشكل إحدى الأدوات التي تستخدم من أجل التشخيص والتقييم

يتحدث المدير التنفيذي عن الاختبارات النفسية المستخدمة في عمل المركز، بقوله:

"الاختبارات الإسقاطية والعادية العالمية موجودة كلها في المركز، ويوجد لدينا إختبارات مسح أولي لكل الناس ، زي اختبار قائمة الأغراض التسعين وبيك وبي تي اس دي ، وفي أشخاص يكون واضح التشخيص، لأن الفرضية تاعتنا أن نحن شعب مصدوم ومكتئب وبالتالي معظم الأشخاص الذين نعمل معهم إلا أن نلاقي للصدمة مكان في حياتهم يا أم، ابن، أحوها، أو ابنها معتقل . قائمة الأعراض 90 تقيس الاضطرابات الأشهر التسعة ، والاختبارات الثانية مثل الذكاء نعمل الاختبار حسب الطلب مثل تحويله من المدرسة والاختبارات الثانية مثل ام ام بي اس متعدد المراحل متعدد الشخصيات، وأيضا في الحالات التي يكون فيها التشخيص صعب ومعقد ولا نستطيع تحديد المرض من أولها نعمل اختبارات مساعدة لحسم التشخيص في اتجاه معين."

أهم ما ورد في المدير التنفيذي: الافتراض بأن الصدمة موجودة، ومفروغ من الأمر فيها، وأن الافراد يعانون من اضطرابات الصدمة النفسية، وأن تطبيق الاختبارات النفسية يخضع لهذا الافتراض؛ للحصول على تشخيص مرضي يتناسب مع الصدمة والاضطراب، الذي يفترض المركز وجوده تلقائياً. وإذا تمعنا في هذا الطرح ، في خطاب المؤسسات غير الحكومية الممولة ، نجد أنه مبني على الافتراض بأن الأشخاص الذين يعيشون في سياق سياسي عنيف هم -حتماً- مرضى نفسيين، وبحاجة الى علاج نفسي؛ كي يتمتعوا بمفهوم الصحة النفسية بالمعايير الغربية. في حين يقول (م.ر) أن:

"الاختبارات التي يعمل بها المركز هي عبارة عن تقليد للاختبارات التي معمول بها عالمياً عامة، لأن الأصل فيها أن تراعي خصوصية المجتمع ؛ السياق، المجتمع والتركيبية، ويتخذ بعين الاعتبار أن في بند يطرح فكرة الثقافة الجنسية. مثل الجزء المتعلق بالثقافة الجنسية بالاختبار من باب الممارسة

وغيرها في مجتمعنا قد تسبب مشكلة، إذ أغلب الاختبارات لا تتواءم مع مجتمعنا وهي عبارة عن امتداد للاختبارات الأخرى . نحن لا يوجد لدينا تقنين، بل ترجمة حرفية . يجب أن نقن الاختبار بحيث يتلاءم مع مجتمعنا بالأخذ بالاعتبار العوامل النفسية والاجتماعية . اختبار بيك مثلاً بعض من بنوده لا تناسب عادات وتقاليد مجتمعنا، من تجريبي الشخصية شفت أنها لا تلائم في بعض بنودها سياقنا هي ممكن تعطينا توضيح ، لذا هو لا يقيس كل جوانب المشكلة ولك ن بالتأكيد يساعد بشكل أو بآخر."

وتضيف (م.ز) بهذا الشأن:

"أحد الاختبارات المطبق في المركز ، ألا وهو SL90، الذي يحدد إذا المريض ذهاني أو عصابي، اختبار ذو موضع شك بالناحية الموضوعية لأنه يعتمد على تجميع نقاط ومؤشرات عامة، مما يدل حسب المعطيات أنهم يتبعون النموذج الطبي الجامد."

**وحول الاختبارات النفسية كأداة من أدوات التقييم النفسي، تحدث (و، س):**

"إن عملية التقييم تخضع للفريق، ونتيجة هذا التقييم الأولي الذي يستند على اختبارات ومقاييس هي غالباً مقاييس عالمية . وأيضاً تستند إلى مصداقية وثبات عالي من ناحية قياس وحدة المشكلة والاضطراب الذي يعانيه الشخص وبالتالي نتيجة هذه المعاينة للشخص الذي يعاني، إما تحول لحالة مرضية ويصبح لها ملف وبحاجة لعلاج ومتابعة أو تحول لحالة استشارية أو الاكتفاء بتوثيق الحالة ضمن الفئات المستهدفة التي تم ذكرها سابقاً" .

كما يضيف (و، س) حول طبيعة التدخل لبعض الحالات:

"برنامج العلاج يستند في التدخل حسب طبيعة الحالة وتشخيصها للتدخل المناسب . حسب تقييمنا في 2012 تقريبا يوجد ما يعادل 9% من المرضى بحاجة لعلاج يزيد عن سنتين وأكثر وهذه الحالات تندرج تحت , psychotic وشوزفريا وه ذه النسبة تقريبا تعادل 100 حالة بحاجة لرعاية طبية ونفسية واجتماعية بشكل متواصل ، لأنها حالات يظل العلاج مستمر معها لان احتمالية الانتكاس واردة لكن هذه الحالات بحكم متابعتها يكون هناك عملية ضبط ولما يصير الانتكاس ما يصير بالحدة الكبيرة لان العلاج والتقييم المتواصل يمنع حصول ذلك، يعني ممكن أن تصير من الناس الآخرين . لدينا ما يقارب 20% من حالتنا هذه من ضمن الحالات تصل لحد تكون متوسطة لشديد هكذا التوصيف، وهذه الحالات تكون مختلطة بين chronic ptsd , severe depression , bipolar، هذه غالبية الحالات وهذه تقريبا يكون الأزمة تاعتها سنة واحدة وأحيانا تتعدى أكثر . وما يميز هذه الحالات أنها ترجع وتؤدي عمل منتج ويصبح عندها اندماج وتكيف مع الاضطراب وتلاشي لغالبية الأعراض المرضية واحتمالية الانتكاسة في لها احتمالية قليلة ولكن في نسبة من العشرين بالمية ممكن 2-3% تتوقع رؤيتهم من جديد وبالتالي نعمل لهؤلاء follow up كل ثلاثة شهور من إخراجهم . . . ما تبقى لدينا من حالات تتراوح بين 70% اقل أو أكثر تكون حالات عرضية أو حالات تعاني من اضطراب، ع سبيل المثال ما بعد الصدمة أو مخاوف مثل ocd, agora phobia, acute stress disorder واكتئاب ولكن متوسط. إذا منحكي عن تصنيف الحالات الموجود بالمركز يوجد ما يعادل 55% هي حالات تعاني من ضغوط ما بعد الصدمة بحكم أن الغالبية منهم هم ضحايا تعذيب وهذا العرض هو الأكثر شيوعا وانتشارا بينهم . إذا أخذنا بالمعدل اضطراب المزاج في نسبة تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة وبشكل ثانوي من الاكتئاب الذي يندرج تحت بند



اضطرابات المزاج . وفي نسبة بقدرها من 15-20% هي إما أعراض الذهان أو صار عندهم

مرض ذهاني."

أين التعليق على ما سبق؟؟

### حقيقة الاختبارات

تصاغ الاختبارات النفسية على افتراض : أن الاضطرابات الاكلينيكية تنشأ على أساس اضطرابات معرفية على المستوى الادراكي والسلوكي والمعرفي ، بحيث تتصف هذه البنى المعرفية بالتشويه بدرجات مختلفة ، وهذه التشوهات هي شكل من التمثّل غير الملائم للمعلومات ، ويقصّف على أنّها استنتاجات عشوائية وتجريدات انتقائية وتعميمات مفرطة ، ويوضح ذلك ( رضوان، بدون تاريخ ) في دراسته التي هدفت الى تقنين مقياس الاكتئاب على الطلاب الجامعيين في سوريا.

إن الاختبارات المعمول بها في المركز ، كغيرها من الأدوات المستخدمة في مجال تقديم الخدمة النفسية ؛ تابعة للمنهج الفكري المسيطر ، الذي يحاول فرض نفسه على واقع المجتمعات المتسعمّرة. كما أنه تمّ ترجمت الاختبارات النفسية -حرفياً- من الانجليزية إلى العربية، وبالتالي فهي بحاجة إلى فحص ؛ لأنها لم توضع (أو تبني) في سياق عنيف قائم ، وسياق احتلال يفرض نفسه ويؤثر على مجريات الحياة اليومية للأفراد والجماعات، بل وضعت في دول غربية رأسمالية، لا يتعرّض سكانها لهذه الظاهرة، فكيف ستكون المصادقية في هذا الإختبارات صحيحة وعالية أو حتى أخلاقية في سياقنا الفلسطيني عند تطبيقها؟! فلختبار "بيك"، الذي يقيس الاكتئاب -على سبيل المثال- وغيره من الإختبارات، هي ثنائية التفرع ؛ أي تقوم بلختزال التجربة الإنسانية الفلسطينية وحالتها النفسية بالاجابة: نعم/ لا، أو الاجابة على اختيار بين متعدد.

إن الأعماد على المقاييس النفسية الغربية تقع ضمن المقياس العالمي للصحة النفسية . وهنا، يأتي تساؤل هل هذه المعايير العالمية موحدة لكل البشر وتطبق على كل الثقافات؟ هل نفهم هنا الاكتئاب كما يفهمه الأمريكيان

مثلاً؟ فهذه المقاييس بالأساس تعد وتجهز في بلاد تختلف ، في سياقها الثقافي والفكري ، عما هو موجود في مجتمعنا وواقعنا الفلسطيني. لذا؛ عند الحديث عن مواءمة هذه الاختبارات للبيئة المحلية الفلسطينية، لا ينبغي فقط ملاءمتها لغوياً أو لهجياً ، كي تتناسب مع لغة المتحدثين في المناطق المختلفة ، بل الأجدر إعادة صياغة وتقويم اختبارات عربية ملائمة للسياق الاقتصادي والسياسي، أو إلغاء تطبيقها من الأساس.

لقد صممت أدوات القياس النفسي ، المعروفة بالاختبارات المستخدمة في المراكز النفسية، على أساس انها عابرة للقارات والثقافات، وهنا تبرز قضية للجدل: كيف يناقض علم النفس نفسه أحيانا؟ فهذه الاختبارات من المفترض أن تكون عالمية ، على أساس أن البشر يستجيبون للأحداث الصادمة المؤثرة بشكل سلمي وتؤثر على حياتهم وتوافقهم النفسي، والوج ه الآخر من علم النفس يحاجج أن الإنسان نتاج بيئته، أي أن البيئة هي التي تشكل طرق تعاملنا واستجابتنا للأحداث المؤلمة التي تعكر مزاجنا ، وينتج عنها قلق أو إحباط أو إكتئاب، أو ردات فعل أخرى ، والأدوات المستخدمة والتوجهات النفسية العلاجية يجب أن تصاغ على هذا الدعاء . لأن معاناة طفل أسير وهو مدرك للقضية ودوره في النضال والصمود، ليست لمعاناة طفل في الولايات المتحدة نتيجة وجوده في بيت للرعاية البديلة.

إذاً، حتى لو ظهرت المؤشرات التي شُخص فيها الأفراد، إلا أن العلاج يختلف كلياً عن ما يمارس به في مناطق أخرى. وهذه الأدوات والمقاييس لا تعطي التجربة حقاها ، فهي تجرد المشاركين، أي المنتفعين، عن المحتوى الثقافي والفكري؛ لأنه يخرج المشكلة النفسية التي يعانون منها من سياقها العام وتحصرها في الفرد خارج جماعته التي تتعرض لممارسات عنيفة جراء الاحتلال.

إن الاختبار الحقيقي، الذي يجب الإعتماد عليه، يجب أن يكون كلمات الراس ودلالاتها بالأساس وتعابيرهم الثقافية بعمقها عندهم ، حسب سياقهم الاجتماعي وه ويتهم بشقيها: الذاتي، والجماعي . لأن هذه الاختبارات تفرض اللغة، التي يجب أن يعبر عنها المنتفع عن نفسه بوصف خاص ومتروم وليس العكس . إذ أن اللغة والتعبير هي التي تعطي مؤشرات للقياس حول صحته النفسية.

## تحويل الحالات

فيما يتعلق بمسألة التحويل، وإيجاد الحالات التي يتم تقديم الخدمات لها، أشار (و، س) إلى مصدر التحويل للحالات بقوله:

"مصدر التحويل يأتي باتجاهات متعددة وهذا بصير بتحول كل سنة يعني التدخل من خلال الميدان أو حالات تأتي إلى المكتب، وتقريبا 50% من الحالات هي التي يتم تحويلها من الميدان، ويوجد لدينا طاقم عاملين يقدم هذه الخدمة للفئات المتضررة، يعمل على نوع من المسح والتقييم للأشخاص الذي يتم إطلاعهم من داخل السجون وبالتالي نتيجة هذه المعاينة يتم التحويل للحالات التي بحاجة للخدمة."

تعبيراً على أن نصف الحالات يتم تحويلها من الميدان، فإنه يحمل دلالتين:

الأولى: أنه يتم تقبل الخدمة النفسية؛ مما يساهم في الإشارة إلى تغيير في الوصمة الاجتماعية حول مفهوم الصحة النفسية والتدخل النفسي، وذلك من خلال تواجد الأخصائيين في السياق الثقافي والاجتماعي للأشخاص الذين هم بحاجة إلى هذه الخدمة ويعملون على تسهيل الوصول إليها.

والدلالة الثانية: قد تشكل خطراً، في حالة عدم وضوح مفهوم الخدمة النفسية للأشخاص، وبالتالي تكون الدلالة الأولى دلالة زائفة ووهمية؛ حيث أن الأخصائيين يعملون عمل مندوب التسويق للخدمة النفسية، ويعرضون إيجابيتها ويحاولون استخدام لغة معينة، بمفهوم إيجابي، كي يقنعوا الأشخاص بالمنتج النفسي الذي يروجون له (السلعة النفسية)، وعليه يبقى التساؤل مفتوح حول مدى مهنية وأخلاقية التدخل النفسي بهذه الطريقة.

وعند سؤال الباحثة لأحد الأخصائيين حول طبيعة العمل العلاجي: إذا ما كان يتم بشكل فردي، أم جماعي، كون الأخير أسهل ربما للأخصائي، في بعض الأحيان، للعمل على المجموعات المتجانسة مختصراً للوقت والجهد والطاقة وغيره من الأمور، يقول (م، ع):

"هذا التوجه ليس بأيدينا نحن ننفذ حسب ما يطلبه المشروع، إذا المشروع مطلوب فيه العمل على مجموعات منعمل مجموعات، وعددها يكون محدد مسبقاً بمجموعات مشكلة من 10 أو 15 كعدد والفتة محددة سابقاً أطفال أم نساء أم أسرى."

بهذا؛ نرى أن الأخصائي (أو العامل النفسي) يكون دوره سلمي، هو وملتقي العلاج أو الخدمة، كونهما الاثنان لا يتحكمان بمساح تم الخاصة؛ لأن البرنامج يحدد طبيعة عمل الأخصائي وبناء عليه يعمل الأخصائي مع المنتفع.

وحول قضية العلاج يضيف (خ، ب):

"ما حصل في المركز ، والذي أدى لانهياره هو المخطط الاستراتيجي، ولكن أفهم أنا أن العلاج النفسي هو علاج طويل وبجاجة لمتابعة وطاقم عمل، تحويل الحالة للعلاج الدوائي هذا بالنسبة لي قضى عليه، وهذا ما يحدث . أصبح التوجه أكثر بالمركز للدواء لأنه يعطي مفعول أسرع ولكن انتكاس متكرر وقريب، وإذا حصل واستلزم الدواء فهو يجب أن يكون بمعدلات أو جرعات منخفضة ومتابعة مستمرة بالتزامن مع العلاج النفسي . بالنهاية نحن نريد من المنتفع أن يتكيف ويندمج بحياته الطبيعية، لا أرغب بخلق راحة نفسية للأهل والمجتمع القريب من الحالة عبر تحديده بالأدوية. إتجاهي كان الرغبة في تطوير العلاج الفردي والعائلي والجماعي والروائي، على الرغم من أن العاملين هم مهنيين جدا إلا أنه م من ذوي العقل الموجه، شعرت العلاج بوقتها يأخذ منحى العلاج الفردي والدوائي، أكثر من الوسائل العلاجية الأخرى."

إن منحى العلاج الفردي والدوائي كل منهما يعكس دلالة معينة في إطار بنية المؤسسة، وذلك لأن حسب نظام التسجيل للحالات فإن تسجيل المجموعات التي تتكون من (10-15) عضواً تسجل في نظام البيانات على أنها جلسة علاجية واحدة، في حين أن العلاج الفردي أكثر عائداً من الناحية الرقمية ؛ لأنه يتم تسجيل كل جلسة واحدة مع كل فرد. وعليه، فإن التوجه الفردي يضمن استمرارية المركز والتسويق لاستجلاب التمويل.

بهذا، يأتي المركز ببرامج جديدة وهذه البرامج يتم تنفيذها حسب شروط الممول ، مع الحفاظ على الخدمة الأساسية للتدخل النفسي الفردي ، باعتباره الحاجة الملحة والضرورية . كما أنه من وجهة النظر العلمية والعملية ، يعتبر العمل مع المجموعات جزءاً من العمل المجتمعي ، وعلاج مجموعة من الأشخاص في وقت واحد، و بالتالي يتم تحقيق الخدمة في وقت واحد لمجموعة من الأفراد وتعمل على إختصار الزمن . أما العلاج الفردي فيعمل على الدائرة الأصغر، علاج الفرد كبنية تحتاج إلى تدخل طويل الأمد كي تصل إلى مراحل التغيير ، بمعنى أن العلاج الفردي يحتاج إلى مدة زمنية طويلة، وبالتالي استمرارية المؤسسات غير الحكومية لفترات أطول. أما العلاج الجماعي فيشكل تحدياً لهذه الاستمرارية إذا تم اعتماده كمنهج . ناهيك عن أن العلاج الجماعي يخلق روحاً ولحمة اجتماعية نفسية ، فيها تحرر من الإ اعتماد على المعالج النفسي ، ويحدث لها انتقال علاجي ، بحيث تكون لديها حالة من اعتماد الأفراد على بعضهم البعض كمجموعة داعمة ، ويتم الاستغناء (في الغالب) عن المعالج النفسي . في حين أن العلاج الفردي يعمل على تكريس الاعتماد على الأخصائي النفسي ، وبالتالي خلق ضرورة لوجود الأخصائي النفسي والمركز ، من أجل حصول الفرد على المساعدة التي يحتاج إليها ، وهذا ما يصب في صالح المؤسسات غير الحكومية الممولة.

كما يبرز تساؤل حول الأشخاص الذين يرتادون عيادة الطب النفسي في المركز، والذين يشكلون نسبة محدودة من مجمل الحالات التي يتم تقديم خدمة العلاج النفسي لها، خاصة الذين يحتاجون إلى أدوية وتتم متابعتهم من قبل المركز، هم -في الغالب- الأشخاص الذين يعانون من الاضطرابات النفسية المزمنة، وهنا يتبين أن هذه النسبة المحدودة تشكل دخلاً لهذه المؤسسات لان الامراض المزمنة تعني حاجة مستمرة للمتابعة الدوائية ومراجعة العيادة النفسية، والتي ربما تفسر لماذا يوظف المركز استقبال هذه الحالات لديه وتقديم الخدمة لهم ( وهم بطبيعة الحال من الفئة التي يتابعها المركز)، مع العلم أن العلاج الدوائي للحالات النفسية المزمنة مقفر ويتم تغطيتها من قبل عيادات الصحة النفسية التابعة لوزارة الصحة الفلسطينية . وكما تم ذكره في مكان آخر من هذا الفصل فإنه يتم تحويل بعض الحالات ليتم متابعتها في المركز عن طريق عيادات نفسية خارجية ، والتي تعود ملكيتها لأطباء نفسيين

يعملون في نفس المركز، وربما في هذا تفسير آخر لفحوى تقديم الخدمة لهد ه الفعات المزمته، وبذلك نستنتج أنه لربما هناك تقاطع في المصالح.

### واقع العمل في المركز: التحديات والثغرات

أصبح هنالك أصوات ترتفع من قبل العاملين، لتندد بتقل العمل وتعبير عن حالة من عدم الرضا الوظيفي، وتنشد التغيير وتحقيق نوع من العدالة . وعن هذا تحدث (خ، ب) الذي كانت تصله الشكاوي عبر بريده الالكتروني الخاص: "بدأت المشاكل تظهر من الأخصائيين في الميدان في أنهم ملزمين بعدد حالات معينة بالأسبوع يجب أن يغطوه، وهذا يعكس على نوعية العلاج الذي يمارسه الأخصائي، ولكن المركز ركز على عدد الحالات التي يراها الأخصائي بغض النظر عن نوع العلاج المقدم له، ولكن هذا من متطلبات الممول (ان تحدد عدد الخالات ليس لأنها حالات بل لأن الممول يطلب رقم لتغطية تمويله وتجديده وإلا فلا أموال ) تسجيل عدد الحالات المستفيدة . أصبحت المسألة عبارة عن حسبة كم عدد من السحارات تم بيعها أو تسويقها . اعترضنا على ذلك وقلنا إن الحالة يجب أن تأخذ وقتها وهذا كان وجه الخلاف" .

نلاحظ، ملم سبق، ان الذي دفع بأصوات العاملين الى الارتفاع والاعلان : أن إدارة المؤسسة أولت الاهتمام للكم المطلوب ضمن أجندة المشاريع ، ولم تأخذ بعين الاعتبار الطاقة النفسية والجسمية والمهنية للأخصائيين في القدرة على القيام بهذا العمل ، في ظل خصوصية العمل الميداني المرهق، فتحمل العاملين فوق طاقتهم حسب الشكوى المذكورة. وقد أضاف (خ، ب) حول الإجراءات والخطوات التنفيذية من قبل مجلس الأمناء بهذا الشأن:

"تحدثنا مع رئيس المركز بذلك إما أن يتفرغ للمركز وإما يستقيل، كما طلبنا منه أن لا يوظف الأقرباء والنسايب . حيث قمت بتبني ههأن الممول هدفه تنميط العلاج الفردي والدوائي في هذا

البلد وأنت تحدم أهدافه والمركز باتجاه الفشل ، نتيجة لذلك قدم كل منهم الاستقالة أمام الهيئة العامة."

كما وأكد ما ورد في كتاب الاستقالة هذه التجاوزات وتحويل المؤسسة لمؤسسة الفرد الواحد ، والقي يستفيد منه فئة محدودة من الناس ، وقد ظهر أن المدير العام غير متفرغ، وكذلك نائب المدير العام ليس متفرغاً أيضاً ، وهو المدير المهني في المركز، ويقوم بالتدريس في الجامعة، مبررة الإدارة له ذلك؛ بأن المركز بحاجة إلى إنشاء علاقات مع الجامعة . وأوضح نص هذا الكتاب "أن راتب المدير العام عال جدا، وكذلك راتب نائب المدير العام ، الأمر الذي تحققت منه الباحثة من خلال اطلاعها على كشوفات الرواتب لسنوات مختلفة . وقد برزت اشكاليات وقضايا أخرى، منها: كثرة تواجد المدير العام في عيادته الخاصة، وذلك بحجة الجواب السائد حين يُسأل عنه "أن مريضا في عيادته قد تمحجج فاضطر الى مغادرة المركز بسرعة " ، ومع غياب المدير العام في الخارج يقوم أحد أطباء المركز بالدوام في عيادته الخاصة.

يتبين مما ورد أعلاه ان المؤسسات غير الحكومية تفرز طبقتين : طبقة الإنسان العامل المهدور والمقهور ، وطبقة أخرى مستفيدة من مكائنها وتعقق رأسمال رمزي ، وتخلق لنفسها حالة الاستثناء، بمعنى أن ما يحق للطبقة الادارية لا يحق لغيرها ، وهذه الاستفادة لها أوجه عديدة ، منها: تشغيل الأقارب والمعارف ، وتعزيز الملكية الفردية الخاصة لهذه المؤسسات وكأنها ملك الفرد الواحد ، وإهدار وقت المؤسسة للعمل في المصالح الخاصة ، أو العمل في وظائف أخرى، حيث أنهم القائمون على المؤسسة ضمن وصفهم الوظيفي بوظيفة كاملة، ولكنهم يستفيدون من هذه الوظيفة الكاملة بأنهم يشغ لون مناصب ووظائف جزئية أخرى في أماكن عمل أخرى، إضافة إلى أنه يتم استخدام بعض العاملين المشغولين في المؤسسة ، ليقوموا بأعمال في خدمة مصالح الفئة المستفيدة في عملها الخاص خارج المؤسسة، وكأنها جزء من مهام عمل وظيفتهم.

يشير هذا الى تحالفات مصالح معينة، مع العلم أن هذه الخروقات ، التي تنضوي في باب تحقيق المنفعة الفردية داخل المؤسسة، لا يتوافق مع قانون سلوك المؤسسات الأهلية في فلسطين، حيث ورد في كتاب استقالة المجلس:

"لقد فعل المركز خيرا عندما قبل استقالة المراقب المالي الذي هو أخ زوجة المدير العام، لكن المركز سرعان ما عين محاسب المركز الذي يرتبط بصللة قرابة بالمدير الاداري".

وأضافت الأخصائية (م. ز)، مؤكدة على هذه التجاوزات:

"كان مدير دائرة التخطيط والتطوير مستفيد من مركزه من المؤسسة ، ووظف ابن خالتو وعينو في منصب المدير المالي، وأكد هذا الموضوع تم بالت نسيق مع ... (الهيئة الادارية ) لأن بتجمعهم مصالح ويغطوا على بعض ". ومما يؤكد هذه الإدعاءات ما ورد في نص استقالة المجلس : "المدير الإداري يحمل شهادة لغة انجليزية، ورغم أنه يبذل قصارى جهده في العمل في المركز، إلا أن الانطباع السائد بين الموظفين أنه يتصرف بتناغم مع المدير العام وبمزاجية مع هذا الموظف أو ذاك".

وبناء على ما ورد أعلاه، نجد ان مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب بصفته منظمة غير ربحية يعمل في الواقع التطبيقي الممارس على أجنحة ربحية من خلال تحقيق مكاسب عينية ، والارتزاق من تحقيق رأسمال مادي ومعنوي واجتماعي ومكانة رمزية محلية وعالمية ضمن سوق العنف والخطاب التمويلي (سمارة، 2003).

### الوعي بالخصوصية الثقافية للمجتمع الفلسطيني

ورد في أكثر من موقع في هذا الفصل، من خلال عرض البيانات وتحليلها، أن المؤسسات غير الحكومية ووعي بالخصوصية الثقافية والسياسية للمجتمع الفلسطيني الذي تعمل فيه، ولكنها لا توظف هذا الوعي في عملها، لان أجنحة الممول تعمل على إستدخال ثقافتها ومفاهيمها الخاصة التي تعزز الثقافة الفردية . فعلى سبيل المثال : ثقافة المجتمع الفلسطيني مبنية على ثقافة الحج لد والصمود ، في حين أن الثقافة المستدخلة هي ثقافة الصدمة والمرض النفسي.



وفي حديث (م، ع) حسب خبرته الميدانية فيما يتعلق بالوعي والمعرفة بالثقافة الفلسطينية في سياق العمل النفسي للمركز، أشار إلى مجمل أبعاد ما يتعلق في حالة الوعي بالخصوصية الفلسطينية، بقوله:

"أنه يشوف أن المراكز مش واعية بخصوصية الثقافة الفلسطينية، وإذا كان هناك وعي فهو فردي، لأن المراكز هي أصلاً تتعامل مع المشاريع التي بصدور إلها من مصادر الممولة بمعنى ما بتكون أغراب المشاريع مبنية على إحتياج على أرض الواقع وإحنا منعمل مشروع بناء على الإحتياج الموجود على أرض الواقع. هي في غالب الأحيان ، مش كلها ، أغلب المؤسسات التي تعمل في مجال الصحة النفسية، حلينا نقول، هي تشتغل بناء على مشاريع تصدر إليها من الخارج، وبالتالي هذا الذي يخلق مشكلة؛ لأن أغلب الخدمات التي يقدمها المركز خصوصاً لما تروح على الميدان نلاقي أن فيه الخدمة المقدمة ما بتتناسب مع الإحتياج الموجود على أرض الواقع، فالأصل دائماً لما بدنا نعمل خدمات ونخدم شرائح مختلفة من المجتمع، الأصل أن يتم دراسة المشكلة في مجتمعها ويتم بناء خطة تدخل بناء على الإحتياج والبيئة الموجود فيها الأف راد مع مراعاة السياق الثقافي اللي هم موجودين فيه لأن إحنا في نفس المجتمع نلاقي اختلافات من قرية لأخرى ومناقص في اختلافات من مدينة لأخرى ومن مخيم لآخر . الشيء المقبول في منطقة معينة غير مقبول بأخرى، والشيء المباح في منطقة هو محرم في منطقة أخرى ، وهكذا ينطبق من مكان لمكان ومن ثقافة لأخرى، الأحصائي النفسي في المركز مقيد فهو بد هيتبع فلسفة ورؤية المركز كيف المركز بد هيتعامل هو بد هيتقيد فيه."

## إسقاطات عمل المركز على مناهضة الاستعمار

بناء على ما سبق ، نلاحظ أن الإشكالية تتمثل في سياق تنفيذ العمل للتدخل النفسي ، باستخدام خطاب حقوق الإنسان والترويج للعلل النفسية التي يجب معالجتها ل يتمتع الأفراد بالصحة النفسية، من وجهة نظر مفهومها المطبق في السياق العالمي، باعتبار أن الحالة الفلسطينية ولادة للعنف؛ نتيجة فلسفة المقاومة، والتي يعرفها المجتمع الغربي على أنها فلسفة الانتقام والتأثر في السياق الاستعماري المفروض على واقع الحياة للشعب الفلسطيني .

فتعريف المؤسسة يتطرق إلى تناول السلوك الانتقامي وفلسفة الانتقام، وفي هذا الصدد يقول المدير التنفيذي<sup>41</sup> :

"إن نشاطنا العلاجي والنفسي لا ينفصل عن الترويج لحقوق الإنسان والدفاع عنها في المنطقة ...

إني لا أدعو إلى احترام حقوق الإنسان للإنسان الفلسطيني فحسب، بل احترام حقوق الإنسان للجميع ... وإني أتعاطف مع الأبرياء الذين يقتلون لدى كلا الطرفين، كما أتعاطف مع كافة أولئك الذين يخشون العيش والمضي بحياتهم الطبيعية رغم التأثيرات المروعة للعنف والصدمات".

يتبين من هذا الحديث أن الخطاب المستخدم هو خطاب إنساني ، وهو أكثر قبولاً ، ولكن هذا الخطاب يساوي بين الجلال والضحية، ويتصل من روح المقاومة وحق الأرض، ويخفف من معاناة الطرف الآخر المستعمر، وهذا خطاب موجه للممول؛ لكي يقنعه باستمرارية التمويل.

ويستكمل القارئ لهذه المقالة (العلاقة بين العلاج النفسي وحقوق الإنسان ) المنشورة في أحد كتيبات المركز أنها اشتملت في نصها على طرح مفاهيم مثل العنف السياسي أو عنف بشكل عام ، خارجة عن سياق العنف الاستعماري، وليس بوضعه ضمن إطار حالة المقاومة في السياق الفلسطيني والذي ينفي صفة العنف عنه، حيث نجد في المقال: "الهدف الثاني: أننا نسعى إلى أن لا يتحولوا هم أنفسهم إلى مصدر للعنف، فعندما يتعرض الرجال والنساء إلى العنف والاعتقال أو العنف السياسي، فإننا نرغب في الاهتمام بهم كي لا "يفرغوا ذلك العنف الذي تعرضوا له" في عائلاتهم..."

<sup>41</sup> مقالة (العلاقة بين العلاج النفسي وحقوق الإنسان). مقالة أصدرت له في كتيب في العلاج الروائي 2014

أم فيما يتعلق بمسألة الانتقام، فنهضيف المقالة:

"نسعى إلى فتح الآفاق للناس كي يتفهموا أنه لو قام أحدهم بتعذيبك فإن ذلك لا يشكل هوية الأمة برمتها. وأني لأجد في ذلك مسؤولية أخلاقية، بلُذ أمنح فضاء لأي من تعرضوا للتعذيب أو التنكيل كي يستشعر بأن الآخرين أيضا يعانون من الأزمة التي تعصف بالمنطقة وأنهم أيضا لديهم صدماتهم النفسية الخاصة بهم . وإذا ما أردنا أن يقر بآلامنا وصدماتنا، يتوجب علينا أن نمتلك الشجاعة والحكمة الكافية للإقرار بصدمتهم . ونحن نسعى جاهدين من خلال عملنا أن نوطد فلسفة الانتقام . " وفي هذا دلالة أخرى وتأكيد على أن الخطاب الإنساني للمؤسسات غير الحكومية يعكس في ثناياه خطورة مساواة الطرفين من حيث القوة والسلطة والأذى الواقع. ولست أدري ما هو وقع هذه العبارات على ضحايا التعذيب الإسرائيلي إذا ما وقعت امام ناظرهم أو ترددت على مسامعهم!؟

وبذلك يتم تحويل القضية الفلسطينية إلى ما بعد الاستعمار (Post Colonial). وبالتالي، يتم التعامل مع الذوات في المراكز التي تقدم خدمات الصحة النفسية بهذه العقلية، التي تنعكس على عمل الأخصائيين، على تثبيت هذه الذهنية Mind Set في إطار ما بعد الاستعمار، وكأن المحتل في بلد ونحن في آخر. بهذا؛ يكون عمل المؤسسات بعيدا عن التنمية التحررية المرتكزة على الناس (نخلة، 2011)، وبعيدا عن فكر المقاومة والنضال الوطني، إذ تسعى هذه السياسات الحالية إلى ترسيخ الاحتلال؛ من خلال تقييد السوق والتعامل مع الاحتلال على أنه شريك في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما تسعى الدول المانحة إليه، أي أنها تسعى إلى جعل هذه المؤسسات، الحكومية وغير الحكومية، ومن ضمنها العاملة في المجال النفسي، تنتهج هذا المنطق من خلال نشاطات تطبيعية يكون فيها الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي شريكان في وضع خطة أو تنفيذ مشروع (نخلة، 2011).

ويستكمل المدير التنفيذي قوله فيما يخص محاسبة الجناة: "ولكن لشديد الأسف، فإننا في وضع لا يمكننا من إحضار منفذي هذه الأفعال إلى العدالة، لكننا نحاول أن نوفر سبلاً متاحة للضحايا كي يوثقوا ما حصل معهم، ونحاول أن نجد أشكالاً للإقرار بما تعرض له هؤلاء الأشخاص ونحاول أن نجد فضاء لفهم أهمية ربط العدالة بالشفاء بدلاً من التفكير بالانتقام والمزيد من العنف."

### النظرة إلى الذات ومعنى الصحة النفسية في السياق الاستعماري المعمول به في المركز

من خلال ما جرى التطرق إليه في الصفحات السابقة، نجد أن ثقافة المركز في العمل تتبنى نهج المماثلة ، وتعكس فلسفة الاستسلام -نوعاً ما- للظروف العامة المحيطة، وهو الخطاب الذي يأتي به الممول ، ويسعى من خلاله إلى ترسيخ احترام حقوق الإنسان، وحرية التعبير وعقلانية الإدراك للصورة المثالية عن الإنسان والآخر ، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المجتمعية. وتخرج من بهذا الخطاب صورة معينة عن الذات؛ بأن لا حول لها ولا قوة تملكها من أجل المطالبة بحقوقها ، ولذا مطلب تحقيق العدالة عملية طويلة الأمد ولها تداعياتها، ويترك المركز نفسه من هذه العملية بقناعة أن السلطة الوطنية التي تمثل تسعى لذلك، وهذا ليس بغريب كون خطاب المؤسسة متأثر -بل متعاون- مع الخطاب السياسي العام في المنطقة ، والذي ينادي بالحل السلمي والمفاوضات الطويلة، ولكن الخطورة تكمن في أن المركز يعمل بهذه الطريقة على تثبيط مشكلة الفرد بأسلوب معين ، وفق مضمون العلاج التقليدي المتمركز على الفرد ولا يسعى لمقاومة الظلم والاضطهاد والاستعمار بل يرسخ الحالة والوضع ... ويسلب من الفرد أدنى طرقه لنكرانه العنف الموجه ضده ، ويحاول أن يضعه في قالب معين لكي يعبر عن آلامه ، بطريقة لا تزج الآخر أي المستعمر الصهيوني.

وكان للأخصائية (م. ز) رأي نقدي في هذا الموضوع عند سؤالها عن الرؤية التي يتبناها المركز، حيث قالت: "يعتقد المركز انه اللي بتعرض للعنف بصير عنيف وبمارس العنف على غيره وبظل عنده رغبة بالتأثر والانتقام وبعض الأشخاص المعنفين يمكن يصير عندهم تماهي مع المعتدي،

وبالتالي سلسلة العنف بظلمتها مستمرة من وجهة نظرهم . بهاي الطريقة عقلية المركز والذهنية اللي كان يفكر فيها بلحظة من اللحظات كأنه ساوى ما بين الضحية والجلاذ . وكأنه العلاج والتوعية النفسية والاجتماعية عملية ترويض إن الإنسان يبطل عنيف . باعتقادي إحنا كشعب فلسطيني في التعامل مع الاحتلال لازم نحافظ على عقلية عنيفة مش نتجرد أو نتعري منها لأنه العنف في حالتنا يمكن بعكس اضطراب نفسي بس من جهة ثانية هو أداة مهمة وسلاح قوي في الحفاظ على روح المقاومة وإذا ما احتفظنا بجزء من هالعدوانية والعنف مع المحتل وصفينا نتقبل كل شي بصبر على انه عادي علشان نكون يعني أصحاب نفسيين على سبيل المثال ، يكون صعب علينا نحرر أرضنا . الذهنية السلمية ما بتبني وطن بعد التجارب، وخلينا مرضى أحسن إلنا من مفهوم صحة يمكن يعيد احتلالنا ويكرسه وإحنا مش دارين . أنا بحكملك هاد الحك ي بعد ما صرت واعية إله."

من أبرز القضايا التي تمت الإشارة إليها هو استخلاص مفاده أن تطبيق مفهوم الصحة النفسية من منظور عالمي في السياق الفلسطيني يلعب دور المتواطىء مع المستعمر ضد المستعمر، ويشكل أداة استعمار جديدة، من حيث أن دور المؤسسات غير الحكومية ب بنيتها الحالية أصبحت رهينة بأيدي الممول الذي يوجه مشاريعها المختلفة، لأن وجود هذه المؤسسات مرتبطة بتدفق المال الخارجي المشروط.

وفقاً لما تم التطرق إليه من مفهوم حالة الضحية، فإن معاناة الشعب الفلسطيني يتم تسليعها (التسليع يتم من خلال حالة الضحية للممارسات الاستعمارية وليس من خلال المقاومة)؛ نتيجة الزوج تحت ن ير احتلال وانعكاساته على واقع الفرد الفلسطيني الحياتي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي، على أنه ذاك الفقير والذي يحتاج إلى إسناد من الاستعمارات المختلفة في السوق الرأسمالي اللانساني العالمي.

إذا علمنا أنه من أهم بنى الصحة النفسية في أي مجتمع هو الماء والهواء والفضاء، فكيف سيضحي حال الإنسان الفلسطيني في سياقه المحتل، الذي يجيأ في حينما يكون الاستعمار ليس لحرته وأرضه فقط، وإنما لكل

فضاءاته التي يحتاجها ليتمتع بالرفاه النفسي الذي يتمتع به أي إنسان آخر في أي بقعه أخرى على هذه الأرض. باعتقادي أن ما ينجم عن هذا الواقع من المعاناة اليومية التي تصنف على أنها اضطرابات نفسية أو ينظر إلى من يعانون منها على أنهم ضحايا (ردود فعل طبيعية لواقع غير طبيعي، وهذا وفقاً للمنظور العالمي للاضطرابات النفسية حسب الجمعية الأمريكية العامة للأمراض النفسية في كتابها DSM5)، هو رد فعل طبيعي لواقع كل ما فيه ليس له صلة بالحالة الطبيعية ولا ينسجم مع مقومات الصحة النفسية. وحيث أن "مصائب قوم عند قوم فوائد" يسعى أولئك الرأسماليون الذين هم بالأساس صانعو المصائب والمهتفدون منها، إلى البحث عن سمسار ثقافي جديد، (تحت ما يسمى أجددات وممارسة التمويل حسب نخلة)، للخدمات التي يحتاجها الإنسان الفلسطيني الرازح تحت الاستعمار، والذين ضمن مفاهيم الترويج التمويلية، يتم وضعهم في خانة "الضحية"، التي هي بحاجة إلى انتشال ومساعدة من التأثيرات الناجمة عن واقعهم ومعاناتهم، على خلفية تضحياتهم ومقاومتهم للاستعمار.

بإتباع المنظومة المعرفية التي تتبناها المؤسسات غير الحكومية، التي تعتمد علم النفس التقليدي الفردي، الذي تعمل هذه المؤسسات على تطبيقه - نصاً وحرفاً- في السياق والواقع الفلسطيني، بحيث تكون عملية بناء وتشكيل الذوات الفلسطينية وفقاً للسياق الغربي وليس وفقاً للسياق الفلسطيني، مما يعزز أيديولوجية الفردانية دونما النظر للكلية الاجتماعية (رفيدي، 2010)، بحيث تصيغ خطاب ممنهج يهدف إلى تحويل خطاب المقاومة للذات إلى خطاب لذات مستكينة بحاجة للمساعدة (فرج، 2011).

## الباب السابع: إفرازات الخطاب الاستعماري وأثره على العاملين في المؤسسة

بعد إجراء المقابلات في المركز، يمكن الاستنتاج أن أحد أهداف المركز أو الرؤية العامة له أنه يهتم بالقضايا ذات الصلة بالصراع السياسي بالدرجة الأولى، ولا شك أن هذا الصراع يحظى باهتمام الكثير من الباحثين والعاملين في مجال الخدمات النفسية، خصوصاً من حيث تأثيراته على الأطفال والنساء، والشريحة المهمشة مجتمعياً. ولقد استطعت ملاحظة أمر مهم، وهو تبني المركز للنموذج الطبي دون التعمق بفحص القضايا المتعلقة بالآثار النفسية لدى الأطفال الذين يعيشون الصراع السياسي من وجهة نظر أو سياق تاريخي اجتماعي؛ لأن الأخصائيين بالدرجة الأولى يصبون الاهتمام على فهم الضحايا والأزمة النفسية، نتيجة التعرض للعنف السياسي ونتائجه، على افتراض أن الصحة النفسية للأطفال في خطر كبير!! كما أن خطط تدخلهم مع الأطفال في المخيمات الصيفية السنوية هي لمعالجة ردود أفعال الأطفال لواقعهم على أساس أنها مرضية في تشخيصها، بناء على معايير الصحة النفسية العالمية وليست خاصة أو عادية نتيجة الظروف المحيطة.

## العلاقة بين صانعي القرار في المؤسسة والعاملين فيها

يعتبر مجلس أمناء المؤسسة، المكون من تسعة أعضاء، اللاعب الرئيسي في اتخاذ القرارات، ويكون أعضاؤه على اطلاع بإستراتيجية المركز، ومتابعة الإستراتيجية والخطط، وكتابة رؤية وأهداف المركز. كما أن مجلس الأمناء هو الذي يصمم الإستراتيجية والمشاريع، وأعضاؤه ذوي عقلية رأسمالية تسعى إلى تحصيل الأموال، ويعكس هذا على البرامج المقدمة للناس؛ لأنهم بعيدون عن الناس واحتياجاتهم، كونهم يرسمون الخطط أحياناً بعيداً عن الخصوصية الثقافية للمجتمع الفلسطيني الذي يتم العمل فيه بالأصل، وبهذا تُخلق فجوة بين الأفكار المطروحة من المجلس، الذي يعتمد على الخطط والإستراتيجيات المقدمة للدول المانحة، وبين الأخصائيين الذين ينفذون هذه الخدمات ويشرفون عليها، مع العلم أن معظم الموظفين في المركز لم يلتقوا بأعضاء مجلس الأمناء، وحلقة الوصل بينهم هو المدير التنفيذي للمركز.

هنا؛ يبرز السؤال: لماذا يعمل مجلس الأمناء كسلطة تشريعية في المركز في حين أن الأخصائيين هم المنفذون؟ لماذا لا يكون هناك دورا للمنفذ بأن يشرع البرامج حسب الاحتياجات التي يراها في الميدان؟ فهم الذين ينزلون إلى الميدان ويتعاملون مع أفراد الشعب الفلسطيني، وبالتالي هم أدري باحتياجاتهم ونوع الخدمة التي يحتاجونها وتخدمهم. كما أن أهم سمة للثقافة الفلسطينية، أننا نعمل مع الصدمة النفسية الناتجة عن الاحتلال، فهذه هي الخصوصية التي تميز المجتمع الفلسطيني، فهو مجتمع متعدد الصدمات. وبعد القيام بتنفيذ هذه الخطة والعمل مع ضحايا الاستعمار الصهيوني وفقاً لاحتياجات المنتفعين من المركز، قلص الدعم فأنتار المركز وتم تقليص عدد الموظفين. فنفسهم من هذا أن عندما تم العمل وفق خطة تدخل تختلف عن أجندة الممول وتتواءم مع احتياجات المجتمع، قلّ الدعم المالي للمركز مما دعا المركز لتقليل عدد العاملين فيه، وتقليل الخدمات التي يقدمها للمجتمع، حيث حدث هذا الأمر في نهاية عام 2012.

بالاستناد إلى دراسة سمارة، (2003)، يتضح أن العاملين في المراكز غير الحكومية يعملون فيها لأنها توفر فرص عمل، في حين أن المدراء يعملون وفقاً لإرادة الممول الاجنبي، ويتقاضون رواتب عالية؛ تخلق فجوة طبقية بين العاملين والمدراء في المؤسسة، ليتشكل بذلك توجه مزدوج لتشكيل المعرفة والذات للعاملين في نفس المؤسسة. لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي دور العاملين في هذه المؤسسات، فإن العاملين والأخصائيين النفسيين في ممارستهم للمهنة تكون نواياهم حسنة وصادقة مع المنتفعين، ولكن ما تركز عليه هذه الدراسة ليس النوايا الحسنة وتقييم العاملين، لأن عملهم ينصب ضمن الخطط والفعاليات المرتبطة بالأهداف المرسومة من قبل المنظمة مما تعرف بخلق وتنفيذ الخطة الاستراتيجية للحفاظ على استمرارية المؤسسة، بل الممارسات وإسقاطاتها وطرق تمثيلها للذات الفلسطينية، عبر محاولة فهم المنطق الذي يبرر سلوكهم ونشاطهم في العمل، وبالتالي الخطاب الذي يؤثر في عملهم مع المنتفعين.

### نظرة العاملين للفئة المستهدفة ولذواتهم والتحديات التي يواجهونها



من المهم فهم كيف يرى العاملون أنفسهم في حقل العمل الذي يقومون به، ومعرفة مدى تأثير الخطاب الأجنبي للممول على رؤية الأخصائيين في تعاملهم مع الفلسطينيين لم تضررين من العنف الاستعماري . يعبر أحد العاملين عن شعوره في العمل بعد ثماني سنوات أمضاها بالمركز وشاهد الكثير من التغيرات على طبيعة العمل، بقوله (م.ر):

"أنا بشوف من وجة نظري، بشبه العامل في المجال النفسي والواقع زي دكتور البنج بكون عندي مشكلة بعالجهاش، بس يجي أعطيه إبرة بخفف الألم وبعد فترة برد يرجع، كثير في أشياء كنا نحاول نغيرها ولكن كنت اصطدم بالكثير من العقبات، وإذا غيرت إشي فهو بشكل فردي مش مؤسسي".

وهنا يبرز مفهوم يعكس العجز وعدم القدرة على التغيير المؤسسي، واقتصار التغيير على الجانب الفردي فقط.

كما يضيف (م، ع):

"الأخصائي بالمركز مقيد بعدد من الحالات التي يجب عليه رؤيتها، ويومياً يجب علينا أن نرى أربع حالات ع الأقل، فالآلية التي نعمل بها بتخلينا أشخاص مبرمجين على نظام معين . "وهنا يطرح الأخصائي تحدياً كبيراً، وهو حجم العمل الكبير جداً برأيه ويشكل ضغطاً عليه ويعكس ذلك على الحالات التي يعمل معها، إذ يقول: "الطريقة التي اعمل بها مرات مطلوب مني 4 حالات وانزل أحياناً ميداني على بلد معين ويكون فيها مشاكل متراوحة بين الأشخاص، وهذا عبء آخر مما يشعري بالاحتراق الوظيفي وينعكس على نفسي كأخصائي نفسي ويؤثر على حياتي". مع العلم أنه يذكر أنه مخلص جداً ومتفاني في عمله ولكن لا يقدر عليه . ومفهوم آخر يبرز هنا عن ذات الأخصائيين، أنهم روبوتات مبرمجة على نظام عمل آلي لدرجة أنهم غارقون تحت حجم

العمل المطلوب وأعباءه، التي تنتج ذاتاً محترقة وظيفياً وبالتالي يصبح عملها و إنتاجها في نطاق العلاج إنتاجاً وهمياً للخدمة المقدمة".

هنالك إشارة إلى وجود خلل في الاشراف المهني الذي يتلاقاه الاخصائيون، بحيث لا يشتمل على مساحة لتحريرهم من مشاعرهم الغارقين بها سواء من عبء العمل أو من طبيعة العمل مع الحالات بصدماته المعقدة، مما يترتب عليه تشكيل ذات تعاني من الضغط النفسي ، حيث يطرح مشكلة عدم وجود إشراف كافي على الأخصائيين، حيث يقول:

"يحصل الإشراف من داخل الطاقم وليس من خارجه بحيث لا يوجد إشراف خارجي من خارج الموظفين على الأخصائيين، فقط يوجد إشراف مهني لمناقشة الحالات ونقاش تقدم أو تحديات العلاج، أما إذا شعر الأخصائي انه مضغوط سواء من أمور شخصية أو عملية لا يوجد إشراف عليه لكي ينزل إلى الميدان ويتعامل مع الحالات في أحسن وجه".

وفي هذا الصدد تضيف (م. ز):

"قضية الإشراف عندنا بالمركز كانت قضية مهنية من ناحية التعامل مع الحالات وكيفية الشغل معها، وكان يصير مؤتمر عرض حالة لنقاش الحالات المعقدة، شيء كان مفيد . بالمقابل، إحنا الأخصائيين بنعيش في واقع عمل مع الحالات بأثر علينا وبلامس حياتنا في كثير من الأحيان، وطبيعة الشغل تاعنا مع الناس إحنا بنكون فيه جزء من العملية التفاعلية وبتأثر فيه، وما تنسي طبيعة العمل بتضغط سواء من الحالات أو من حالنا أو من التعامل مع المؤسسة الواحد منا بكون مخنوق مش طايق حاله ونفسه يخنق المدير لما يضغطه، وقال إيش بالآخر بكون مديره هو اللي بعمله الإشراف، هاد شي مش مهني وما بريح، بالعكس يزيد الضغط".

وأبرزت (م، ز) العديد من القضايا المهمة المتعلقة بسياسة المؤسسة حول موضوع الاشراف الذي تقدمه

للعاملين بما ، والذي هو جزء لا يتجزأ من البرنامج العلاجي في المركز . وهذه النقاط ، في مجملها ، تخلق ذاتاً

مستنزفةً وبجاجة ربما الى التدخل النفسي معها (مع العلم ان الاشراف المهني الفردي هو حق مهني للعاملين في مجال الصحة النفسية، جنباً الى جنب مع تلقيهم الاشراف الجماعي)، حيث قالت:

"مع العلم إننا طالبنا كثير بضرورة وجود مشرف خارجي إلنا كمجموعة عاملين بعيدا عن التعامل مع المدراء والبيروقراطية، بحيث يصير إشراف إلنا فردي وجماعي نشعر فيه بالتححر والتطور النفسي، بس للأسف المؤسسة كل مرة كانت تعطي ذان طرشة لطلبنا وكأهم ما سمعوا، "قد أسمعت إذ ناديت حياً لكن لا حياة لمن تنادي "، بعرفش ليش، يمكن كانوا ما بدهم يدفعوا تكاليف لمشرف خارجي لأنه المشرف الداخلي الإشراف جزء من مهامه الوظيفية اللي تلقائياً بتقاضى راتب عليها وما في داعي يندفعها، وهيك بكون شوية توفير مادي من جهة، ومن جهة ثانية يمكن أو غالباً يخافوا ما بدهم إيانا نحكي ونفضفض لمشرف خارجي، لأنه مهم المهم نظل مضغوطين بلاش نرتاح وتفتح عيننا، بنظل مشغولين بالتفكير في ضغطنا وفي كيف بدنا نخلص عبء المهام المطلوبة، وبنصل لمرحلة من الشعور كأننا روبوتات ما بنحس، يعني إحنا طنر بنفسيتنا، المهم الشغل مع الحالات وبس، مع العلم يعني هذا بشكل تحلل في التدخل النفسي مع الناس، لأنه تخيلي كيف بدنا نساعد الناس تتحرر من ضغوطاتها النفسية وإحنا نفسنا مضغوطين وماكلين هوا، مستحيل إلا يكون في خلل مهما كنا مخلصين في عملنا مع الحالات".

ومن التحديات التي تواجه الأخصائيين: القلق العام من العمل مع بعض الحالات، إذا كان الشخص مراقباً أو مطارداً، فأحياناً النظرة المحلية للأخصائي في بيئة معيثة قد يكون مشكوك فيها وطبيعة عمله مشكوك فيها، إذ يمكن أن يقال انه يسرب معلومات سرية أو يتعامل مع الاحتلال، خصوصاً وأن الأسير المحرر لا تعرف ما قام به بالضبط. كما أنه في العمل يشك الأخصائي بلأن بعض الحالات هم عملاء، ولكن لا يقول شيئاً حفاظاً على سلامته الشخصية، وفي هذا الصدد يقول (م. ر):

"المركز لا يجهز من لي سلامتي وإذا حصل واعتقل الشخص أو تعرض للأذى، إذا سريت معلومات عنه يخون فيها الوطن قد ادفع أنا الثمن ، كون وظيفتي تحتم علي السرية العالية وكنتم ما يقال في الجلسات مما يدخلي في حالة صراع وأ حاول في الجلسة تفادي الحديث والابتعاد عن أي شيء يتعلق بالأشياء الأمنية والسياسية، مثال إذا انسجنت الحالة التي اعمل معها بعد عدة جلسات أضع نفسي في موضع خطر ويشكك الآخرون بالأخصائي".

وبهذا الشأن تضيف (م. ز):

"إن وقوع الأخصائي أحيانا في عمله في منظار أخلاقيات المهنة نفسها، نجد ان ه يؤثر في خلق ضغوط نفسية، لأنهم مجبرون على الحفاظ على السرية حتى في الحالات التي تسبب إحراج، أو نوع من التوتر، أو الخوف".

وتنسخ هذه التحديات ذاتاً قلقاً على أمنها الشخصي ، وعلى صورتها الاجتماعية وأخلاقياتها المهنية ، التي تجعلها دائما تعاني من جملة من التوترات والمخاوف المرتبطة بهذه القضايا . و قد يؤثر هذا على عملية التدخل النفسي مع الاشخاص الذين يقعون في فخ الأسر في السجون الإسرائيلية، ويخرجون منه وهم متعاونين مع الكيان الاستعماري (العلاء-العصافير)، وهذه نتيجة لا بد من مواجهتها في أجنحة السياق الاستعماري ال ذي يسعى بالطرق كافة إلى ي هدم الذات الفلسطينية، وتشويه معالمها الوطني، وتدمير الهوية النفسية لها. وعليه ، فإن العمل في هذا السياق المليء بهذه التوترات والمخاوف ينتج ذات أ غير راضية ولا تتمتع بالرضى الحقيقي عن أدائها وتشعر بعدم العدالة وانه ا ذات تقف على المحك المهني بين أخلاقيات التقبل وصورة الذات الوطنية في السياق الفلسطيني، ذات تعاني من التناقض بين الخطاب الإنساني المهني وبين الخطاب الوطني المحلي في السياق الاستعماري الفلسطيني.

فقد ذكرت الأخصائية (م. ز) أن حالة عدم الرضا للأخصائي وأثره على تقديم الخدمة ينعكس في الأداء، مثل: عدم وجود رواتب مرضية، وعدم وجود إشراف مهني، وغيرها، لأنهم أشخاص كغيرهم يمرون بنفس التجربة التاريخية، وجزء من الثقافة يتأثرون بها، حيث تقول:

"في حالات خاصة من نوعها مثل العميل أو الجاسوس الذي يأتي للمساعدة أو يذهب الأخصائي عنده في الميدان ، فعند معرفة الأخصائي بهذه المعلومة فإنها تشكل لديه حالة من الصراع الداخلي، وتناقضات بين اتجاهه المهني والأخلاقي للوظيفة وبين اتجاهه للقضية الوطنية، حيث يشعر انه غير محمي كأخصائي من المركز أو المجتمع إذا تعرض للإساءة نتيجة علاجه للعميل. ولكن يجب أن ندرك أن العميل يعتبر ضحية نتيجة الاحتلال لذا يتوجب عليك كمهني أن تعمل بأخلاق المهنة وتستقبله، فكل الأشخاص الذين يعانون من الصدمات هم جزء من المجتمع، لذا يتحتم أن يتم تفهم وضعه وان يتجرد الأخصائي من إطلاق الأحكام على الآخرين وتقبل كل الحالات بغض النظر عن كل شيء، لأن المجتمع بالخارج يجلد العميل، وتصبح المزادات كبيرة، ولكن إذا جاء بصفته حالة بحاجة إلى مساعدة نفسية وقام بهذا العمل المخالف للثقافة النضالية يجب عليك أن تساعده، وهذا الشيء يخلق لدينا نوع من التناقض والاضطراب الداخلي، كإنسان تقع في فخ الصراع بين عملي المهني وتربيتك الوطنية، فقد ننسلك عن أنفسنا أحياناً فيما وراء الخطاب الإنساني الذي نستخدمه كعاملين في مجال الصحة النفسية."

وتضيف مثلاً من عملها، حيث قالت : "أنا اشتغلت مع أحد العملاء لدى سلطة الاحتلال ، ومن خلال زيارتها الميدانية دخلت إلى بيت الأسير (العميل الإسرائيلي)، وناقشت معه معاناته في السجن، وبعد أربع لقاءات اعترف لها انه عميل ، وأن جل صدمته النفسية مرتبطة بعمله مع الاحتلال وليس الاعتقال . فهي كأخصائية امتعضت من الفكرة، ولكن أكملت عملها معه على الرغم من تخوفها على سمعتها ونفسها من التردد على بيت

عميل، ولكنه اعتقل مرة ثانية، ولا تدري؛ فقد يكون اعتقاله مجدداً من أجل أن يواصل القيام بعمله (عصفور في سجون الاحتلال)، وأن هذا الأمر وضعها بين المطرقة والسندان؛ تارة تشعر بالتوتر والقلق، إذ تقول:

"يعني أنت بتكون مفكر حالك بتشتغل مع أسير وبالآخر بطلع عصفور، شعور مقرف بصراحة، وبعمل توتر كثير عالي، هذيك الفترة كانت من أصعب الفترات من الضغط النفسي بالنسبة إلي، وشغلنا بصراحة الميداني وزيارات البيوت فيه مخاطرة كبيرة وأنا بعتبره مش عمل آمن وغالبا ما بحقق مفهوم السلامة والأمن والحماية النفسية والثقافية والاجتماعية إلنا لأخصائين".

### طبيعة العلاقة مع السلطة الوطنية الفلسطينية

يعمل المركز مع وزارات السلطة الفلسطينية، مثل: وزارة الأسرى، ووزارة الداخلية، ووزارة الصحة، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة التربية والتعليم؛ في إطار الدخول لإجراء محاضرات توعية في مجال الصحة النفسية، وحقوق الإنسان في المدارس، في مناطق منتشرة في الضفة الغربية، إضافة إلى التدخل وقت الأزمات مع الطلاب في حال فقدان أحد الطلبة، نتيجة الأسر والاستشهاد أو في حال حدوث أي حوادث، سواء متعلقة بالصراع العام القائم أو نتيجة كوارث طبيعية تم فيها فقدان أشخاص بشكل مروع، مثل: حادث باص الروضة الذي مات فيه أطفال في طريقهم إلى رحلة مدرسية في منطقة جبع، ويظهر الشكل الحقيقي للعلاقة مع السلطة على أنه لا يوجد تنسيق في التخطيط والتفاوض في السياسات العامة، ولا يوجد شراكة في المشاريع الممولة من العاملين، وتبقى العلاقة محصورة في مجال تقديم وتحويل حالات صحية للمركز من قبلهم أو تسهيل بعض المهام للمركز أو حضور تشريفي وتكريمي لفعاليات المركز الاحتفالية من مؤتمرات ومناسبات وغيرها من الأمور الأخرى.

يقول (خ، ب) بخصوص العلاقة مع السلطة:

"أنا لما أجت السلطة الوطنية ما بقدر أتعامل معها ويكون مرجعي فقط معاهدة جنيف الرابعة التي تتعلق بحماية المدنيين وقت الحرب، وبدورها هذا تقوم بتنظيم سلوك المحتل على المدني الخاضع تحت الاحتلال، لذا هي ليست مرجع لنا هذه المعاهدة ولكن القوانين المرجعية لنا هي التي نصت قبل الاحتلال أي القانون الأردني في الضفة، وفي قطاع غزة القانون المصري، وأيضاً القانون الدولي الإنساني . بحيث أكد على أن دورنا في المؤسسات أن لا ننتظر حين يتم اختراق هذه المعاهدة ولكن للمساهمة في تدريب الأجهزة الأمنية على حقوق الإنسان وكان هذا منتقد بالأول خوفاً من مسؤولية المركز أمام أي انتهاكات مع العلم أن المركز حالياً وكل مؤسسات حقوق الإنسان تقوم بهذا الدور التوعوي."

#### اشكالية السلطة ومواقفها

الاحتلال هو أحد وأهم الأسباب الذي يضرب بمفهوم الصحة النفسية ، ومحاولات المؤسسات غير الحكومية العاملة في المجال النفسي ، وفق أجنادات الممول وتدخلاتها عرض الحائط، والتي تحول دون بناء مقومات الصحة النفسية، لأن الصحة النفسية يتم تناولها ومعالجتها بعيدا عن السياق الاقتصادي والسياسي، فأى معنى للحدوث هنا عن الصحة النفسية في واقع تصادر فيه مقومات الحياة ! فالعمل بهذا المنطق ، وهذه الحاجة ، هو ادعاء زائف ومضيق للجهود البشرية، وعملية مجهضة ؛ لان البيئة الحاضنة لهذا المشروع بيئة رخوة، كون السلطة الفلسطينية أخفقت في خلق أي فرص حقيقية للسعى للتنمية، فهي لا تملك رؤية وبرنامج لرسم ملامح الدولة المستقلة وذلك لمحدودية قدراتها السياسية والاقتصادية في الاطار الممول.

والجانب الثاني ، هو عملية تحالف المؤسسات غير الحكومية مع السلطة ووزاراتها المختلفة في تنفيذ البرامج في القطاعات التي تعمل فيها مثل تقديم الخدمة النفسية والعلاج للسجناء داخل سجون السلطة، هذا من أحد أوجه

التحالف وذلك لأن هذا المؤسسات ترى نفسها ودورها في أن تكون المشارك والمسد اند في دعم السلطة الفلسطينية، غير القادرة على تقديم كافة الخدمات بنفسها. ولا بد من الإشارة إلى أن العلاقة بين المؤسسات غير الحكومية والسلطة الفلسطينية هي علاقة يتم فرضها من الجهات الخارجية والدول المانحة، التي بدورها تقرر دور كل من الاطراف، كما وتقرر درجة التنسيق بينهما؛ لكي تسيران وفق الأجنحة الدولية التنموية على خط واحد (كتاب واخرون، 2010).

وعليه، يمكن تحقيق التوافق والتعاون الخلق لى توجه آخر بين الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في الميدان والمؤسسات في التشبيك والربط، كونهم ناشطين في تكوين حركة اجتماعية، لأن طبيعة عملهم تحتاج لإنشاء علاقات جيدة مع الناس، ليكونوا هم المشاركون في عملية تغيير ظروفهم، التي يعمل العلاج النفسي على أن يتكيفوا ويتعايشوا معها، وفهم الأهداف الجوهرية التي يراود تحقيقها. لأن معاناتهم وحدها، دون وضعها في السياق العام، ليست كافية لتوليد العمل، بل زيادة وعيهم للأسباب الاجتماعية والسياسية، وبالتالي النفسية، هي التي تؤدي إلى تحررهم.

التحرر يبدأ من الذات أولاً، قبل أن يتحول للأشياء المادية، وهذا ما نحتاجه لكي نخلق أو نعيد صورة الفلسطيني لنفسه، الصورة المقاومة والمناضلة والصامدة وليست صورة الذات الممتأثرة من العنف ويحتاج لعلاج نفسي سريع.. الخ، صورة ذات تتطابق مع صورة الذات الليبرالية الرأسمالية، التي يستدخلها بطريقة منهجة التمويل للمراكز، وبالتالي تنعكس على عمل الأخصائيين لانفصامهم في سياقهم الثقافي.

فالذات الفلسطينية، في الوقت الراهن، تتأثر بالخطاب السياسي الاقتصادي العام المتمثل بالتنازلات والمفاوضات "واسترجع حقلك بالقانون والملح أكم الدولية" وغيرها، كما تأثرت في السابق في فترة من الفترات وبالأخص فترة السبعينات والثمانينات بخطاب الثورة والنصر، الشهادة والموت. هي كغيرها تتأثر بالبنية السياسية الاقتصادية، ولكن في توجه علم النفس المجتمعي في العمل فإنه، لا شعورياً، يعيد الموازين إلى نصابها، بحيث أن الذات ببنيتها النفسية هي التي سوف تقلب البنى السياسية الاقتصادية مجتمعة، بشكل مجموعات. إذا تم العمل



على إعادة روح الجماعة والقيم الجماعية، التي عملت المنظمات وغيرها على تفتيتها من خلال خطابها الموجه ضد حالة المقاومة والحق الفلسطيني في سياساتها الازدواجية المنهجة التي تمارسها على أرض الواقع.

## الفصل الرابع

### الإستخلاصات والنتائج

يعرض هذا الفصل النتائج التي توصل اليها هذا البحث، إذ يتم إستعراض نشوء مؤسسة مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب وتوضيح أسباب وجوده وأهميته . ان مناقشة النتائج لها أهمية من جانب التطبيق اذ تمهد لوسم وتخطيط رؤية جديدة لآلية العمل في الجانب النفسي في المؤسسات غير الحكومية. وعلى صعيد آخر فأني أرى إن هذا البحث سوف يثير اهتمام باحثين آخرين لزيادة البحث في هذا المجال مستقبلا.

يعمل مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب على تقديم خدمة العلاج النفسي (لضحايا التعذيب)، وهو البرنامج الأكبر الذي يستند إليه في عمله، ومن خلاله يساهم في انسلاخ الذات الفردية عن ذاتها الفلسطينية ، عبر توظيف نمط العلاج النفسي يخضع لأج ندادات التمويل وخطاب الممول الرأسمالي ، في إطار ما يسمى حقوق الانسان والصحة النفسية الليبرالية التي تدعي أنها ترفع عن حقوق هؤلاء الاشخاص وعمل على تحريرهم ولكنه في الحقيقة لا يتعدى كونها أداة تعزز من سلبية العمل الاجتماعي والنفسي واستمرارية الحالة الاستعماريّة وتوطيدها ، كما أنه يشكل "سوقاً سوداء" لتحويل م ا يسمى المجتمع المدني الرزاح تحت وطأة الاحتلال؛ من أجل تحقيق المنفعة الاقتصادية لمجموعة من الاشخاص أو الجهات ، ولا يحقق على أرض الواقع أي نتيجة أو تغيير مجتمعي في مفهوم العلاج والصحة النفسية وتحرير الذات من وصمة الاضطراب النفسي أو المرض النفسي.

لقد حاولت هذه الدراسة فهم ظاهرة المؤسسات غير الحكومية وكيف تقوم ببنيتها الاعتمادية على مصادر التمويل الخارجي من الدول المانحة في تبني رؤية محددة عن الدوات الفلسطينية في ظل السياق الاستعماري . ربما يكون قانون: "إن الاس تعمار يشوه الطبيعة الإنسانية، ويضيق الانسان" صحيحا لكن في حالتنا الفلسطينية التي تخضع للاحتلال الاسرائيلي، يتلون الاستعمار الجديد ب ألوان أخرى مدعياً فيها التنمية والتطوير، ممولاً فيها المؤسسات غير الحكومية في كافة قطاعاتها وبضمنها تلك التي تعمل في المجال النفسي.

إن القوة الحقيقية تكمن في ا لتجمع البشري الساعي للنهوض والتنمية ، بغض النظر عن عدم امتلاكهم لمصادر اقتصادية توازي فيها الدول الرأسمالية والمسيطر، ولكن إرادة الشعوب ووعيها كفلين بالتخلص من الاستعمار، ونستدل على ذلك من خلال تجارب الدول التي نجحت في تجربتها ب في التحرر من الاستعمار ، مثل الهند والجزائر وفيتنام حيث علمت دول المركز فيها باعتبار أن وعي الإنسان المضطهد والمظلوم هو أكبر تحديد لرأسماليتها ومركزيتها.

فالمؤسسات غير الحكومية أو "ظاهرة الأنجزة" حسب سمارة ، (2003)، ومنها العاملة في المجال النفسي : عبارة عن تسلل الاستعمار إلى أذهان الناس ، حيث تدعي هذه المؤسسات أنها وجدت من أجل أن تقي الناس من أضرار العنف المحيط الذي يتعرضون له من قبل قوات الاحتلال ، وهي في نفس الوقت لا تتقبل أيأ من النقد والتغيير على البرامج التي تقدمها للناس ، كي لا ينقطع عنها التمويل، حيث يعمل الممول المستعمر ر على تقديم "صدقة" تأخذ شكل الامتيازات بهذه المؤسسات ، التي تعمل على تقديم الخدمة النفسية بالطريقة التقليدية المتبعة التي سبغ في ماهيتها خدمات نفسية زائفة؛ لأنها لا تقوم على أسس عزز وتمكّن المتفجع أو متلقي هذه الخدمة كي تجوله من متضرر من العنف إلى إنسان نشيط فعال (فاعل اجتماعي) في محيطه وفي حياته، كي لا يبقى حبيس الاحتياج للخدمة النفسية ، وكي لا تشخص عوارضه بأسماء وتصنيفات مرضية، بل عوارض احتلال أو امراض استعمارية، فهذه هي التسمية الصحيحة التي يجب أن يتم فهمها في سياقها.

يبين من خلال المعطيات البحثية أن المركز يتعدد بالتعريف عن نفسه، تعريفه عن نفسه على الموقع الالكتروني باللغة العربية الذي يختلف عن ذلك الذي يقدمه عن نفسه باللغة الإنجليزية على الموقع ذاته. فلا يوجد ذكر لمفهوم "الصدمة" في تعريفات المركز باللغة العربية بنفس ال صيغة، من حيث إبرازها والتأكيد عليها كما هو في التعريف باللغة الإنجليزية. وثم أنه لا يتم تحديد جهة المعذب ( الجلاد) في العمل فيما يتعلق بقضية التعذيب، بل يعم التركيز على أساليب التعذيب النفسية والجسدية والآثار المترتبة على هذه التجربة، بدون وضع ملامح المعذب في الصورة العلاجية.

هكذا؛ يتم تقنين وتحويل التجارب الفلسطينية مع التعذيب إلى أرقام في برامج الإحصاء والحاسوب، حسب عمل المركز التوثيقي. كما تظهر النتائج أن هناك هيمنة للطب النفسي في العمل مع الحالات، بحيث يشار إلى الأعراض بمصطلحات ومفاهيم الطب النفسي، من بدء العمل في التشخيص والتقييم والمسح لفحص التكيف النفسي. وتطرق رواية النشأة للمركز إلى العديد من التناقضات، فهناك رواية أصلية ورواية سطحية لا يصرح عنها، ولا تعكس فلسفتها بالعلاج المعمول به. إذ يعتمد المركز بشكل أساسي على التمويل الخارجي من الدول المانحة، ويتبع المناهج النفسية التابعة لعلم النفس التقليدي الغربي، بحيث يقوم المركز باعتماد واستخدام اختبارات نفسية عالمية للمساعدة بالتشخيص والعلاج.

وعليه؛ يمكن تحديد ملامح اقتصاد الصدمة تحت الاحتلال وفقاً لمخرجات البحث، بحيث يتم تشكيل قطاع من المؤسسات قائمة بحد ذاتها تعنى بافتراض حتمية الصدمة في المناطق التي يوجد فيها عنف، وبالتالي نستدل على ملامح هذا الاقتصاد الجديد، من خلال وجود قطاعات ومؤسسات غير حكومية تعمل في المجال النفسي في المدن الرئيسية في الضفة وقطاع غزة، تشغل العديد من الأيدي العاملة من أخصائين نفسيين واجتماعيين، واعتمداً على التمويل الخارجي كمصدر أساسي لاستمرارية عملها، والتنسيق والتعاون المهني مع مؤسسات غربية لتبادل "الخبرات".

بهذا؛ فإن الخطاب الذي يقوم عليه المركز والذي أنشئ من أجله ويحافظ على وجوده، هو خطاب تمويلي نفسي ليبرالي، يدعي أنه يريد معالجة ومساعدة الفئة المتضررة من التعذيب بكافة أشكاله وأنواعه، ويطمح برؤيته إلى إيصال المجتمع الفلسطيني لمجتمع خال من التعذيب. وفي حقيقة الأمر يسعى المركز لذلك، ولكن عند العمل يستخدم خطاب ولغة ومصطلحات علم النفس التقليدي والطب النفسي، الذي يهدف إلى تشخيص الناس وقياس عوارضهم على هذا الأساس، وهذه الطريقة في العمل سوف تؤدي إلى تغيير الخطاب والثقافة المناهضة للاستعمار إلى خطاب الصحة النفسية المحض، وبالتالي تستدخل مفاهيم وقيم جديدة وهجينة على ذاتنا وهويتنا

الفلسطينية التي تعترض بنضالها، وتحوله إلى خطاب ومفاهيم نفسية وأمراض بحاجة إلى العلاج وتصبح العلاقة علاقة مريض ومعالج خارجة عن السياق السياسي والاجتماعي المعاش.

لذا نستطيع أن نؤكد خطاب المؤسسات غير الحكومية ، وآلية عمله ، لنستنتج في النهاية أنه خطاب السماسرة، الذي لا يسعى إلى الخلاص من العنف بل يستفيد منه، لأن الملامح والتكوينات النفسية التي تشكلت في سياق عنيف وسياق قائم على العنف ، لا يمكن الخلاص منه إلا من خلال المؤسسات غير الحكومية، وما تعمل به في العلاج النفسي هو تأكيد هذه الملامح التي تجعل من الإنسان لا يقاوم مصادر عنفه؛ لأنها تخشى العنف ولا تريده، حيث أن الأفراد الذين تعرضوا للعنف يدركون جيداً ويشعرون بالأمر في أعماقهم وذواتهم، هذه الحقيقة.

يعرف الممول هذه الحقائق من خلال تمويله للمؤسسات غير الحكومية ، حيث يريد استبعاد أي ردود عنيفة من قبل ضحايا العنف، وبهذا لا يزيد نشاط المؤسسات غير الحكومية عن خطابات ودورات ومواقف تنشد فيه حقوق الإنسان وانها كاتما وغيرها من المواضيع، فهذا هو الحيز الذي يريدها الممول أن تتحرك في فلكه. لا يكتفي الممول بأن يحول طبقة المثقفين عن الهم الوطني ، بل ويعددهم عن القضية الوطنية (شعورياً أو لا شعورياً) ويجعلهم وسيطاً بين المتضررين وبين الـ ناة (الاحتلال)، بلن يدبجهم بنشاطات مشتركة (التطبيع) وينصحهم باللاعنف، وهذا ما وقعت فيه بعض المراكز أو كادت، ومنها مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب.

نبله على ذلك، فإن هناك مؤسسات غير حكومية لا تعدوا -في واقع الأمر- على أنها تتواطأ بصورة غير واعية ضد الشعب الفلسطيني المتضرر من العنف الاستعماري ، التي تسميهم (ضحايا التعذيب) مع جلاديه في هذه المرحلة المتمثلة (بالتنمية والسلام) ؛ فهي تجهض أي محاولات نفسية للأفراد قبل أن تشكل المناهضة للاحتلال ، وتسقطها قبل آوانها؛ من خلال تسوية نفسية وجلسات تستخدم فيها مناهج غريبة عليهم.

وترى الباحثة في هذا النهج، من استخدام العلاج النفسي المتبنى من الغرب والوسيط له، إسقاط لمهالم الدولة أو المؤسسة على مشاعر وعواطف الناس وردود افعالهم؛ بحيث أن كل هذه العواطف، التي تنتج من قبل الاحتلال

ضمن إطار المؤسسة، ويتم العمل على ترويضها واخضاع ذاتها المقاومة، في سياق استعماري نفسي، هدفه الاول والأخير: الحفاظ على الحالة الاستعمارية، والكيان الصهيوني، وتقويض معالم الهوية والذات الفلسطينية؛ بحيث تصبح ردود فعل الاشخاص المقموعين والمضطهدين، الذين يكابدون الاحتلال، ردود فعل مأسسة حسب القالب الاستعماري.

عندما يتم دمج ضحايا الاحتلال في الجلسات العلاجية، ويصنفون ضمن مسمى أو وصف "حالات مرضية"، فإن الأفراد يتنازلون عن ملكية كلمتهم، وعن حقهم في التعبير، ويعطونه للمعالج، وبالتالي للمؤسسة التي تعتاش على أوجاعهم وعلى مآسيهم وآلامهم لكي تمتلهم أمام الممول وفي المؤتمرات الدولية والمحلية التي تنادي بمناهضة التعذيب.

إن المقاومة والنضال، حسب الممول هو سلوك عنيف، نتيجة تعرض الناس للعنف، وبالتالي فإن المشاكل النفسية التي خلقها هذا السياق سوف تنتهي من فورها، إذ أن الإنسان يدرك بالفطرة مفهوم العدالة، ويسعى الى تحقيقها من خلال الحصول على حقوقه التي قد يسلبها منه السياق الذي يعيش فيه.

أن نصح المؤسسات غير الحكومية الذي يدعي التنمية هو عبارة عن وهم وحقيقة مزيفة لأنّه بالأساس لا تمتلك مقومات التنمية، بل هو تابع واعتمادى على الممول وتبقى قيد سلطته، وبالتالي فالمؤسسات غير الحكومية متخلفة، بهذا المعنى، وليست متجهة نحو انتاج معرفة تساعد على النهوض والتحرر النفسي من الاستعمار العنيف. كما أن مدراء ورؤساء هذه المراكز لا يمتلكون حساً ولا نفساً للتجديد والنهوض، بل تكتفي المؤسسة والمتنفذين فيها بلعب دور الوكيل، وبهذا لا تكون رؤيتها ورسالتها أن تسعى الى تغيير الوضع النفسي للفئات التي تعمل معها، أو أن تعزز قيم النضال والمقاومة لديها وتمكنها منها، وإنما تعمل من حيث أنها تلعب دور الوسيط الذي يجعل بين الناس وبين الممول الرأسمالي، الذي يضع على وجهه قناع الاستعمار الجديد؛ بملامح نفسية وإنسانية، تهدف الى ترسيخ ثقافة العجز واستدخال مفاهيم الليبرالية الفردانية، التي تقصي الفرد عن قضيته التاريخية وعن دوره النضالي.

فالنفسية الفلسطينية، ومقوماتها وتكوينها، يجب أن تُستمد من نضال شعبها الذي عانى وناضل وقاوم لسنوات طويلة أشكال القمع كافة التي اقترفتها الإحتلال الإسرائيلي، من هدم وتشريد وقتل. هذه النفسية التي يجب أن تُعزَّز، وهذا هو الدور الذي يجب أن يعيد للفرد توازنه بأن يوضع في سياقه التاريخي، وهذا هو الحقل / الصعيد النفسي، الذي يجب أن يكون به نُهج الإحصائيين العالمين في المؤسسات غير الحكومية، وإن كان وعي العاملين لا يلتقي مع أجندة الممول. فعمل الإحصائيين في هذا الوقت مع الناس يسلبهم حقهم في امتلاك (الكلمة)، أي تجربتهم في الأسر والنضال، التي تم وصفها "ضحايا التعذيب"، فهم (يستعبرونها) لمصالحهم لكي توظف في عملية تسويقهم للذوات المعنفة، من أجل الحصول على التمويل من الجهات المانحة.

وبهذه النزعة الانسانية النفسية التي تدخل المراكز من أبوابها على نفسيات وذوات الافراد، فانها تخلق ثقافة "الصحة النفسية" الزائفة بوجهها هذا، لانها تريد استدخال قيم جديدة، لان القيم النضالية والصمود المناهضة للاستعمار لا تناسب حقيقة تواطئهم مع المشروع الاستيطاني الصهيوني، كونهم لا يستطيعون ان يلغوها ولا يستوعبونها، فما كان لهم الا ابتكار طريقة جديدة من خلال تمويلهم لمراكز الصحة النفسية، وباستخدامهم المناهج علم النفس التقليدي التي هي بالأساس خلقت لتخدم التوجهات الايديولوجية للكيان الاستعماري.

قال جون بول سارتر: "إن على المستعمرة أن تناضل ضد نفسها من أجل ان تناضل ضدنا، أو قُل ان هذين النضالين ليسا الا نضالا واحدا". وعليه، فقد هدف هذا البحث، بلأساس، إلى نقد المؤسسات غير الحكومية، ونقد المناهج التقليدية في علم النفس التي تمارس على ارضنا وعلى شعبنا، إذ أن هذا النقد يأتي من اجل زيادة وعي العاملين للسياق الاستعماري، الذي نحن بصدده، ولكن بوجهه الجديد الكاذب حول الخدمات التي يمولها لتقديمه العلاج النفسي. وجاء هذا النقد لأجل إعطاء نظرة بديلة كنظرية وممارسة؛ لأنه إذ ما تصدينا لسياسة وآلية عمل هذه المؤسسات، كي تحول الى سياسة تعمل على تمكين الافراد والمجتمع نحو النضال الاكبر بتحرير الذات أولا وتحرير الارض ثانياً وكلاهما توجه واحد.

المؤسسات غير الحكومية، بملتها هذه، ما هي الأداة من أدوات التزييف للوعي باستخدام أداة نفسية تتبع التوجهات التقليدية في العلاج. إذ أن هذه المؤسسات تدخل بيوت الناس، وتقترب منهم، ليسمعوا منهم ويبحثوا في مصائبهم، وهذا التواجد يهيؤونه لوكالتهم (المؤسسات غير الحكومية)؛ كي تحتضنه وتحميه، تحت شعارها "العلاج النفسي والتأهيل"، ومن أجل العمل على التوثيق بأن ضحايا التعذيب في هذا السياق لا يحتاجون إليها، بمعنى لا يحتاجون إلى توثيق قصصهم ولا تجربتهم الاليمة، لكي يحتفظ بها بسجلات ويتم تحويلها إلى أرقام، وتنادي بها المنظمات الإنسانية الدولية تحت خطابي حقوق الإنسان والصحة النفسية. إن شهادات ضحايا التعذيب وضحايا العنف الاستيطاني الاستعماري هي شهادات موثقة؛ إذ أنهم يعرفونها من خلال معاناتهم وقيود أطفالهم، وهذا ما يجعل شهادة الضحايا صادقة وحقيقية أكثر من أن توثق في استمارات لكي تخصى كمياً ورقمياً. فهم بحاجة لأن يتذكرونها دائماً وإن تكون أمامهم نابضة؛ كي لا ينسون الآخر (المستعمر) كما تحاول التدخلات النفسية أن تنسيهم إياه أو تلونه لهم بلون إنساني.

أن "الحجل، كما قال ماركس "عاطفة ثورية"، والمغزى من ذلك أن هَذَا حجل الإحصائيين بهذا العمل، وهم واعين لخصوصية هذه الثقافة فإنه (الحجل) أول بوادر التغيير. لأن التغيير يبدأ من الذات، وهذه هي الرسالة التي تسعى هذه الدراسة إلى إيصالها، وهو العمل مع الإحصائيين العاملين في الميدان والدراسين مجال علم النفس في الجامعة حالياً، وفي المستقبل، مع ضرورة أن يكون لديهم وعي وإدراك للرواسب النفسية الاستعمارية، التي يسعى الممول إلى طمسها؛ كي لا تتور، وإنما يعمل على إعطائها مسميات لا تتوافق مع الحالة الاستعمارية التي نعيش فيها. وبالتالي، فإن نقطة الانطلاق تكون إدراك المغزى الذي يقبع ما وراء التمويل الذي يتخذ من الإنسانية وحقوق الإنسان حججاً تبرر تدخله الاستعماري الهادئ، الحبيث الناعم، الذي يتسلل إلى انفسنا، وعقولنا وتنبهنا دون أن نشعر، فتكون هذه المؤسسات غير الحكومية هي أداة من أدوات الاستعمار الجديد!

وإذا أردنا الاستفادة من مفاهيم وفلسفة فريدي حول التعليم، في سياقنا الفلسطيني الذي لا يعاني بالدرجة الأولى من ارتفاع الأمية، وتعليم الناس القراءة والكتابة، ولكن في نطاق العمل على تحويل العاملين والأخصائيين



النفسيين والمجتمعيين ، ليكون دورهم فعال ونشط من اجل المساهمة في عملية التغيير، يجب ان يكونوا على وعي ثقافي كبير بطبيعة السياق الاستعماري والرأسمالي ، الذي تسلل إلى مجتمعنا على أنه مجتمع فئات مقهورة، تسعى للقمع العجش وتعاني من التفاوت الطبقي واستلاب ارضهم وكرامتهم، فيقعون تحت تهديد مستمر للوجود في ظل كيان صهيوني عنصري ، يحاول التخلص من السكان الاصليين ، او أن يضعهم في مناطق محددة . لذا يتوجب عليهم، من خلال العمل وفق اليات التدخل النفسي ، ان يعملوا على تمكين المقهورين من انفسه م، فيما تعرف بصيرورة الوعي ، حسب فريدي ، التي تشكل مفهوم اساسي في فلسفته التحررية ، ولكنها عملية تتطلب أكثر من تعليم الناس القراءة والكتابة، وإنما تمكين المقهورين (ضحايا التعذيب ) من قراءة واقعهم وكتابته بأنفسهم، فهم الاهم من اجل الوصول الى تحرر نفسي من جميع الاضطرابات والمشاكل النفسية التي تعيق، او تعمل على تغريب الفرد عن واقعه في هذا الاطار .

ان اثر العنف الذي تحاول ان تعالجه هذه المؤسسات بهذا النهج التقليدي هو الوقود والطاقة ؛ لكي تتخلص من (العنف الحقيقي ) وهو الاحتلال؛ ولتحافظ على خضوعهم وتجردهم من ذواتهم ومن مضامين النضال والمقاومة . ويتم العمل على ذلك من خلال إحلال لغة علم النفس محل لغاتهم (تجاربهم) مع الاحتلال، ويتم العمل على تفعيل وتنشيط ثقافة العوز النفسي من خلال خلق الحاجة له ، وتعزيز الاقبال عليه عوضاً عن تعزيز ثقافة الصمود ، وترسيخ النسيج المجتمعي، بعمله على ترويض نفسي من اجل ان يحول الافراد لاشخاص تحتم بذواتهم فقط (اللهم الا نفسي).

وعليه، فان معالم السيد والعبد ما زالت قائمة ، وبنفس عقلية الرجل الابيض . فالعبد هنا هو المؤسسات غير الحكومية، والسيد هو الممول بطريقة غير مباشرة ولا شعورية . وبهذه الطريقة، التي تعمل بما المؤسسات على إعادة تدوير العنف، انطلاقاً من أنها تعمل على علاج الناس من اثر العنف الممارس ضدهم . ولكنها، في المقابل، تقوم بممارسه العنف من خلال استخدامها أدوات عنف أخرى (المناهج والقوالب الجاهزة ) أدوات المحتل والمستعمر (بمعنى أن السم واللقاح من نفس المصدر). وبهذا فان الوصفة التقليدية النفسية تبني عنف على عنف ، وتروج

للعنف والمعنفين والذي تسعى لعلاجه والتخفيف من حدوثة ، ولكنها في حقيقة الامر تستدخل ادوات نفسية عنيفة تعمل على تراكمية العنف . وبهذا، فان هذا العلاج هو عبارة عن علاج (عنفهم بعنفهم)، بمعنى أن العلاج المقدم للاشخاص الذين تعرضوا للعنف المباشر يتم من خلال استخدام أدوات نفسية، تعزز ممارسة العنف بشكل غير مباشر (داويها بالتي كانت هي الداء) كما يقول ابو نواس؛ لان الممول الذي يقدم التمويل للمؤسسات غير الحكومية من اجل ان تعمل على تقديم الخدمات للاشخاص المتضررين من الاحتلال ، هو ذات الممول الذي يدعم (الجاني المعترف) الاحتلال الذي يقوم بممارسة العنف بحق الشعب الفلسطيني.

## قائمة المراجع والمصادر

- أحمد، غريب (2004)، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي. دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية، مصر.
- إيان، كريب (1999) النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس . عالم المعرفة عدد 244 - الكويت .
- الفصل الحادي عشر مدرسة فرانكفورت: البحث عن مخرج للأزمة ترجمة محمد حسين غلوم
- بركات، حلیم (2000) المجتمع العربي في القرن العشرين : بحث في تغيير الأحوال والعلاقات . مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان.
- بدوي، أحمد (2009) ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو . مجلة اضافات العدد 8، ص: 9-.....
- بكير، رنا (2012) التحولات في اللحمة الاجتماعية والمفهوم السيكولوجي المجتمعي في السياق الفلسطيني بين الانتفاضة الاولى والوقت الراهن. رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت- فلسطين.
- الترتير، علاء (2012). القطاع الخاص ودوره التنموي في فلسطين المحتلة: "تنمية في اتجاه واحد؟! . رام الله: مركز بيسان للبحوث والانماء.
- حمدان، آيات (2010)، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني . مركز بيسان للبحوث والانماء . رام الله، فلسطين. حنفي، ساري وليندا طبر (2006)، بروز النخبة الفلسطينية المعولة : المانحون والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية المحلية. رام الله مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- حسين، عقيل (1999) فلسفة مناهج البحث العلمي . مكتبة مدبولي، جمهورية مصر العربية.
- الخطيب وأحمد الخطيب (2011). الاختبارات والمقاييس النفسية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.
- رشوان، حسين (2003). أصول البحث العلمي. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

رفيدي، وسام. الخطاب الفكري للمنظمات غير الحكومية- ايصال المرأة لموقع القرار نموذجاً . في التراث والمجتمع-

جمعية إنعاش الاسرة عدد 74.

الزين، خليل (1999). العلاقة بين المنظمات المجتمعية والسلطة الوطنية . المجلة السياسية الفلسطينية، العدد

24. ص: .....

الزغلول، عماد (2003). نظريات التعلم، عمان: دار الشروق.

زيماردو، فيليب (1974) تجربة السجن. مجلة نيويورك تايمز عدد 242. ص: .....

سعيد، أدوارد (1978) الاستشراق. ترجمة كمال ابو ديب.....

سمارة، عادل (2011). الاطروحة الام للمجتمع المدني . سؤال في شروط وجود مجتمع مدني ودور الانجزة محلياً :

مجلة كنعان، عدد 146، ص 67-97.

سمارة، عادل (2003)، منظمات غير حكومية أم قواعد للاخر؟ رام الله : منشورات مركز المشرق للدراسات

الثقافية والتنمية.

شويكي، آية وآخرون (2013) إثر التخطيط الاستراتيجي السليم على أداء المؤسسات الفلسطينية غير الربحية .

بحث غير منشور، جامعة القدس- فلسطين.

الشوا، سلمى (2000)، التأقلم مع الغير : دراسة حالة لاربع منظمات أهلية فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع

غزة (1994-1998)، منتدى أبحاث السياسات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، رام الله.

صبيح، صبيح (2011)، مقاتلو التنمية : بين خرافة التطبيق وعقائدية الخطاب والتصوير . رام الله: مركز بيسان

للبحوث والائماء.

غامم، محمد(2007).القياس النفسي للشخصية، المكتبة المعرفية،الإسكندرية: مصر.

فرج، محمد (2013)، الرؤى الشمالية وأمناء الهيمنة الجديدة. عمان: دار الفارس للنشر.

- فريزي، باولو (2002). نظريات في تربية المع ذبين في الارض.ت: مازن الحسيني . دار التنوير للترجمة والتوزيع  
والمركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية.
- قطامي، يوسف وعدس، عبد الرحمن (2002). علم النفس العام، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- كتاب، أيلين وآخرون (2010)، وهم التنمية- في نقد خطاب التنمية الفلسطيني . مركز بيسان للبحوث  
والانماء. رام الله، فلسطين.
- كناعنة، مصلح، وتتلاند ماريت (2003) أعماق الذات المنفضة- السيرة الذاتية النفسية والاجتماعية للشباب  
الفلسطيني الذي نشأ في جو الأمل والاحباط بين الانتفاضتين : صدر عن الجمعية النرويجية  
الفلسطينية (نوردباس) حيفا.
- لداودة، حسن وآخرون (2001)، علاقات المنظمات غير الحكومية الفلسطينية فيما بينها ومع السلطة الوطنية  
الفلسطينية والممولين. رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس).
- مجموعة باحثين (2012)، دراسات نقدية في واقع التنمية في فلسطين. رام الله: مركز بيسان للبحوث والانماء.
- نخلة، خليل (2004)، أسطورة التنمية في فلسطين- الدعم السياسي والمراوغة المستديمة، ترجمة ألبرت أغازريان .  
رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- نخلة، خليل (2011)، فلسطين وطن للبيع. ترجمة عباب مراد. رام الله: مؤسسة روزا لوكسمبورغ.
- الوقفي، راضي (2003). مقدمة في علم النفس. عمان: دار الشروق.

## المراجع بالانجليزية

- Fassin, D. & Rechtman, R.(2007). The empire of truma: an inquiry into condition of victimhood. Princeton and Oxford: Princeton University Press
- Khamis, Vivian.(2008). Post- traumatic and psychiatric disorders in Palestinian adolescents following intifada- related injuries. Elsevier 67,1199-1207
- Makkawi, I. (2009). Towards an emerging paradigm of critical community psychology in Palestine. The Journal of Critical Psychology, Counseling and Psychotherapy, 75-85
- Meari, L. (2015). Reconsidering " Trauma" towards a Palestinian community Psychology. Journal of Community Psychology, vol 43, No. 1, 76-86.
- M Monterno & NV Diaz (2007), Latin American Community Psychology: Development, Implications, and Challanges Within A Soical Change Agenda. International Community Psychology pp 63-98 Springer.
- M Seedat & S Lazarus (2011), Community PPsychology In South Africa: Origins, Developments, And Manifistations. Journal of Community Psychology, Vol.39, No. 3, 241-257
- Nelson, Geoffery & Prilleltensky Isaac (2005), Community Psychology In Pursuit Of Liberation And well Being. 2nd edition. Palgrave Macmillan, New York.
- Naido, T (N.D) Reconstructing the teaching of community psychology and campus -community engagement: A south African case study. Paper presented in The International Community psychology Conference Global Perspectives , Local Practices. Birzeit University, Palestine may-2013
- Parker, Ian (2007) Critical Psychology: What it is and What Its Not, Social and Personality compass 1/1: 1-15
- Painter, D & Terre, M (N.D) Critical Psychology in South Africa: Looking back and looking forwards. <http://www.criticalmethods.org/collab/critpsy.htm>
- Pualo, Freire. (1993) Pedagogy of the Oppressed. New Yourk: continuum.

## مواقع الشبكة العنكبوتية:

<http://www.humanitarianibh.net/conferences/abla.htm> 2014/10/13 تاريخ الدخول /

[http://en.wikipedia.org/wiki/Project\\_MKUltra](http://en.wikipedia.org/wiki/Project_MKUltra)

[http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%B1\\_%D8%B3%D8%AC%D9%86\\_%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B1%D8%AF](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%B1_%D8%B3%D8%AC%D9%86_%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B1%D8%AF)

[http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%B1\\_%D9%85%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%85](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%B1_%D9%85%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%85)

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D8%B3%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A9> 2014/11/13 تاريخ الدخول

[www.ohchr.org/Documents/Publications/training8Rev1ar.pdf](http://www.ohchr.org/Documents/Publications/training8Rev1ar.pdf)

[www.refworld.org/cgi-bin/texis/vtx/.../opendocpdf.pdf?reldoc=y&docid](http://www.refworld.org/cgi-bin/texis/vtx/.../opendocpdf.pdf?reldoc=y&docid) . تاريخ  
الدخول 2014/23/11

<http://www.mltaka.com/forums/multka174338/> 2014/25/11 الدخول تاريخ

[www.mltaka.net](http://www.mltaka.net)

<http://khadhraoui.unblog.fr/2011/01/09/3/> 2014/11/5 تاريخ الدخول ،

<http://www.trc-pal.org/>